افاناسييف

أسس الاشتراكية العلمية

افاناسييف

أسس الاشتراكية العلمية

دار التقدم
موسكو

ترجمة سليم توما

В. Г. Афанасьев

ОСНОВЫ НАУЧНОГО СОЦИАЛИЗМА

На арабском языке

طبع فى الاتحاد السوفييتى

A $\frac{10504-218}{016(01)-80}$ 504—81 0302030000

تنبيه من مكتبة الشيوعيين العرب!

هذا الكتاب ليس من نسخ الصوت الشيوعي، بل من نسخ آخرين. وقد عثر عليه الصوت الشيوعي اثناء بحثه في الإنترنت.

وقد قامت مكتبة الشيوعيين العرب بتطهيره من شيوعية الخائن خروشوف المزيفة وشوفينية الدولة العظيمة، وذلك من خلال ما يأتي:

١) حذف كل الفقرات والنصوص ذات العلاقة؛

٢) حذف صفحات كاملة ذات علاقة من الكتاب؛

٣) اعادة صياغة بعض عبارات وجمل الكتاب، من خلال التصرف بها، بما يجعلها تتفق مع النهج الماركسي – اللينيني الثوري؛

٤) ازالة عناوين الفقرات المحذوفة من فهرس الكتاب.

هذا وقد اضفنا بعض الملاحظات الشارحة او التوضيحية بواسطة خيار Sticky Note الذي يتيحه محرر ملفات PDF.

كذلك، وزيادة في الفائدة، قمنا بالآتي:

أ) اضفنا "مقدمة المؤلف" لطبعة أقدم من هذا الكتاب، صدرت باللغة العربية في العراق تحت عنوان: "فصول في الاشتراكية العلمية"، منشورات مكتبة بغداد، ترجمة عبد الرزاق الصافي، التاريخ غير مذكور. هذه المقدمة تمتد من ص ٣ الى ص ٧ من النسخة الورقية لهذه الطبعة الأقدم.

ب) إدراجنا – بالإعتماد على النسخة الأقدم من هذا الكتاب المشار اليها في (أ) أعلاه – فقرة هامة قام المؤلف بحذفها من نهاية الفصل الخامس من هذه الطبعة، بما يتفق مع تحريفية أسياده ومهادنتهم الدنيئة للغرب الإمبريالي. هذه الفقرة تحمل عنوان "للدافع عن مكتسبات الاشتراكية"، وهي تشغل الصفحتين ٢٠٣ و ٢٠٤ من النسخة الورقية للطبعة الأقدم. وقد اوردناها كما هي فيما عدا حذف اول ثلاث أسطر منها.

لذا أقتضى التنويه.

الصوت الشيوعي

مقدمة المؤلف

(لطبعة سابقة من هذا الكتاب – ملاحظة الصوت الشيوعي)

ان الكتاب الذي المبسط الذي بين يدي القارئ يمثل عرضاً منتظماً لأسس الشيوعية العلمية. ويُبحث فيه بالتتابع: ظهور وتطور الشيوعية العلمية، والمهمات الأساسية الثلاث للبناء الشيوعي – إنشاء القاعدة المادية والتكنيكية للشيوعية، وتكوين العلاقات الإجتماعية الشيوعية وتربية الإنسان الجديد، وخصائص العملية الثورية المعاصرة.

وان عدداً من المسائل التي يبحثها هذا الكتاب (مثلاً عن مبادئ القيادة العلمية للبناء الشيوعي، وعن تطور احتياجات الإنسان وغيرها)، لم تجد حتى الآن عرضاً كافياً في المراجع.

والكتاب مُخَصَّص لكل الذين يهتمون بنظرية الشيوعية العلمية.

ماذا تبحث نظرية الشيوعية العلمية؟

لقد أقامت جهود جماهير الشغيلة إنتاجاً متقناً راقياً، وخلقت علماً وتكنيكاً يتطوران بوتائر لم يسبق لها مثيل. وان مستوى تطورهما قد ارتفع لدرجة حققت فيها البشرية سيطرة كبيرة على قوى الطبيعة، اعطتها أمكانية واقعية لتؤمن بشكل كامل حاجات جميع الناس على وجه الأرض، المادية منها والثقافية. ويقدر الإختصاصيون بأن كوكبنا الآن قادر على ضمان حياة غنية لكل سكان الأرض اذا ما استُخدِمَت كل القدرات الإنتاجية ومنجزات العلم والتكنيك كما ينبغي طبعاً.

فما العمل إذن؟ ومن المسؤول عن واقع ان واحد بالعشرة فقط من سكان العالم غير الاشتراكي يحصل على طعامه بشكل اعتيادي في حين يبقى التسعة الآخرون دون شبع، وان ما يقرب من نصف السكان الراشدين على وجه الأرض لا يعرفون القراءة والكتابة؟ ومن المسؤول عن انهار الدماء التي أُريقت وتراق الآن في الحروب التي لا مبرر لها لصالح حفنة ضئيلة من الناس وعما يخيم على الأرض من غيوم الإنفجارات النووية المرعبة التي تسلب ظلالها البسمة من وجوه الناس، وعن ان التحضير للحرب النووية المدمرة يستنزف مبالغ طائلة. ومن المسؤول عن ان أروع إبداعات الطبيعة – الإنسان الموهوب بمختلف القابليات الخلاقة لا يزال محروماً في أجزاء كثيرة من الأرض ليس فقط من إمكانية إظهار هذه القابليات وإنما يعاني الإنسحاق من الإستغلال والظلم الإجتماعي ويدمره الجوع والأمراض ويختنق بين براثن البطالة والبؤس والغلاء، من المسؤول عن واقع ان في العديد من البلدان

التي تفتخر بغطرسة بحضارتها، يُنظَر الى البشرة السوداء على إعتبار انها مظهر من مظاهر نقص الإنسان؟ ومن المسؤول عن ان جزءاً كبيراً من البشرية كان قد تعرض للنير المخزي للكولونيالية، هذا النير الذي لا تزال ينوء تحته حتى يومنا هذا عشرات ملايين الناس؟

ان المسؤول عن كل هذا هو الرأسمالية التي قادت التضاد بين الفقر والغنى الى حده الأقصى وجعلت من الحروب والعبودية الإستعمارية والعنصرية سياسة رسمية، وبذرت أموالاً وجهوداً لا حصر لها لصالح حفنة من الإحتكارات، وحقرت الإنسان الكادح مستخدمة أكثر من مرة أحدث منجزاته في العلم والتكنيك على الضد من صالحه.

فلأجل استخدام الثروات الهائلة التي تتمتع بها البشرية، ولأجل استغلال القدرات الإنتاجية الضخمة، والمنجزات المرموقة في العلم والتكنيك المعاصرين لصالح الشغيلة، لابد من ظروف اجتماعية محددة. لابد من القضاء على الرأسمالية المكروهة من قبل الشعوب، وإقامة مجتمع جديد على الأرض، هدفه الأسمى والوحيد هو أن يؤمن لكل الناس حياة انسانية حقيقية سعيدة، حرة. مجتمع يخلص البشرية الى الأبد من الحروب والتبذير.

وهذا المجتمع الجديد هو الشيوعية. وان العلم الذي يعطي صورة متكاملة عن الشيوعية وقوانين نشوئها وتطورها يسمى نظرية الشيوعية العلمية.

لنبحث هذا التعريف القصير بشيء من التفصيل.

ان أي مجتمع طبقي متناحر لم يستهدف التطوير الشامل للإنسان الشغيل. فالشغيل في مجتمع كهذا أداة لتحقيق أهداف أخرى، كالحصول على أقصى الأرباح كما هو الحال في الرأسمالية مثلاً. وفي الشيوعية فقط يصبح الإنسان الشغيل «هدفاً بذاته» للتطور الإجتماعي (كارل ماركس). ونظرية الشيوعية العلمية تكشف الشروط (الإقتصادية والإجتماعية والروحية) التي بها فقط يمكن أن يتحقق التطور الشامل المتناسق للإنسان والتعبير الأكمل والأكثر حرية عن جميع ظواهره الحيوية.

ولكن قبل أن تُخلَق ظروف إزدهار الإنسان يتوجب القضاء على النظام الإجتماعي القديم – الرأسمالية. وهذا يعني ان نظرية الشيوعية العلمية تبحث مسألة الإطاحة بالرأسمالية بصورة ثورية وخلق المقدمات، عن هذا الطريق، لتحرير الإنسان. إن الشيوعية العلمية تدلل على الحتمية التاريخية لفناء الرأسمالية الناشيء عن نشاط القوانين الموضوعية الملازمة لها وتناقضاتها الداخلية. والشيوعية العلمية تكشف القوى الثورية التي تقوض وتقلب

الرأسمالية وتشير الى الثورة الاشتراكية ودكتاتورية البروليتاريا كوسيلة ضرورية لتصفية المجتمع الرأسمالي القديم.

ان مسألة الإطاحة الثورية بالرأسمالية تحتل مكاناً هاماً في نظرية الشيوعية العلمية. ولكن الإطاحة بالرأسمالية تجري في الواقع لتمهيد التربة للمجتمع الجديد – الشيوعية. ومن هنا تبرز مهمة أخرى هامة للشيوعية العلمية هي دراسة قوانين إقامة المجتمع الشيوعي ودراسة هذا المجتمع نفسه كترتيب إجتماعي معقد. وفي المجتمع الشيوعي ودراسة هذا المجتمع نفسه كترتيب إجتماعي معقد. وفي مركز المجتمع الشيوعي يقف الإنسان بكل علاقاته المتنوعة وقابلياته، مواهبه واحتياجاته وإمكانياته الإبداعية والجسمية، وليس صدفة أن يكون الشعار البرنامجي الأساسي لحزبنا هو الفكرة الإنسانية العظمى: «كل شيء بإسم الإنسان ولخير الإنسان». وطبيعي فان المجتمع الذي يقف الإنسان في مركزه لا يمكن إلا أن يكون علم إقامة الظروف الإقتصادية والإجتماعية والثقافية لخلق الإنسان المتطور من جميع النواحي. إن نظرية الشيوعية العلمية تبحث الإنسان بأن تُعَمِم وتؤلف بين الحقائق العلمية الموجودة عنه حالياً كذات للعمل والعيش والمعرفة، كحلقة في نظام إجتماعي وكحلقة في نظام الطبيعة.

إن نظرية الشيوعية العلمية تبحث كذلك الإقتصاد – الإنتاج المادي، التبادل والتوزيع والإستهلاك في ظروف المجتمع الشيوعي – ولكن فقط بالمقدار الذي تخدم به الإنسانية كشروط إقتصادية لتطوره الشامل. وهي تبحث كذلك العلاقات الإجتماعية والحياة الروحية في المجتمع، وهنا أيضاً تبحثها (كظرف) كشرط للتطور الإجتماعي والروحي (الثقافي)، وكمظهر لنشاطه الخلاق.

ان الشيوعية العلمية تبحث النظام الإجتماعي – الإقتصادي الشيوعي ككل مترابط، وفي وحدة بين جوانبه الإقتصادية والإجتماعية والروحية وتوجِّه اهتماماً خاصاً للكيفية التي «يعمل» بها كل جانب من هذه الجوانب منفرداً وكلها مجتمعة، لأجل الإنسان، وتساعد على الوصول الى الهدف الأسمى للتطور الإجتماعي.

إن المجتمع يتطور بقوة فعل قوانين موضوعية. ولكن فعالية استخدام القوانين هي في آخر الأمر تتعلق بالناس أنفسهم وبعمق تغلغلهم في جوهر الظواهر الإجتماعية وإندفاعهم في تحقيق أهدافهم ومدى تنظيمهم. وان تطور المجتمع يمثل بالتالي التحاماً معقداً وتفاعلاً بين القوانين الموضوعية والعامل الذاتي.

ولغرض الوصول الى الوحدة بين الشروط الموضوعية والعامل الذاتي لتطور المجتمع لابد لجماهير الشغيلة أن تعرف القوانين الموضوعية وأن تستوعب الكيفية التي تنشط بها هذه القوانين، ومن الضروري أن تتعلم كيفية التوفيق بين نشاطها ومتطلبات تلكم القوانين، وأن يجري توجيه تنظيم الناس نحو استخدام القوانين بصورة أكثر فعالية لصالح الإنسان.

ومن هنا تنبثق مهمة أخرى هامة لنظرية الشيوعية العلمية – وهي البحث عن طرق ووسائل الوصول الى التوفيق بين النشاط الذاتي للناس ومتطلبات القوانين الموضوعية، طرق ووسائل استخدام القوانين لصالح الإنسان. وإستناداً الى معرفة القوانين الموضوعية تشير نظرية الشيوعية العلمية الى الميول التقدمية في تطور المجتمع، او الى حلقاته المنفردة وتوَجِّه وتضبُط حركة المجتمع بالإنسجام مع هذه الميول وتكشف العقبات التي تعيق الوصول الى هذا الهدف او ذاك وتساعد الناس على إزالة هذه العقبات. وبكلمات أخرى فإن نظرية الشيوعية العلمية تبحث عملية القيادة الواعية الهادفة، وتوجيه العمليات الإجتماعية وتنظيم البناء الشيوعي.

وهكذا فان الشيوعية العلمية هي علم طُرُق ووسائل القضاء على الرأسمالية، وقوانين خلق المجتمع الشيوعي الجديد والشروط الإقتصادية والإجتماعية والروحية لتطور الإنسان الشامل، علم المجتمع الشيوعي كتركيب إجتماعي معقد، علم القيادة الواعية الهادفة للعمليات الإجتماعية لصالح الإنسان.

وفي هذا بالضبط تكمن خاصية الشيوعية العلمية كجزء مكون من الماركسية اللينينية ووجهها المميز لها عن الأجزاء الاخرى – الفلسفة الماركسية والإقتصاد السياسي الماركسي.

ويجب أن نشير هنا بأن نظرية الشيوعية العلمية، وكذلك الماركسية اللينينية ككل، لم تظهر في الفراغ، إنها ورثت الأفكار الشيوعية في الماضي، الأفكار التي خلقتها على مر القرون أرقى عقول البشرية. ولذا يجب أن نبحث ولو بإختصار تاريخ الفكر الشيوعي في الماضي وأن نتعقب طريق حركته من طوبوية الى علم.

مدخل

بوسع كوكبنا اليوم ان يؤمن العيش الرغيد لجميع سكان الارض . فلقد بلغت السيطرة على قوى الطبيعة ، وتطور الانتاج ، والعلم والتكنيك ذلك المستوى الذى باتت فيه امرا ممكنا تلبية المتطلبات المادية والروحية لجميع الناس على الارض .

ولكن ، ماذا نشاهد فى الواقع ؟ ولماذا لا يحسن زهاء نصف سكان الارض الراشدين القراءة والكتابة ، ولماذا يجوع كل تسعة اشخاص من اصل عشرة من سكان العالم غير الاشتراكى ؟ ومن المذنب فى ان انهار الدم البشرى اهرقت ، ولا تزال حتى الآن تهرق بين حين وآخر ، فى حروب لا معنى لها تدور رحاها باسم مصالح اقلية ضئيلة ؛ وفى انه ارتفعت فوق الارض سحابة الانفجار النووى المشؤومة التى يبعث ظلها التجهم فى وجوه الناس ؛ وفى انه تنفق مبالغ طائلة على الاستعداد للحرب الحرارية النووية الرهيبة ؟ ومن المذنب فى ان ابداع الطبيعة الرائع – الانسان ، الممنوح ، بسخاء ، اكثر المواهب الخلاقة تنوعا ، ليس انه محروم فقط ، فى جزء هام من العالم ، من امكانية اظهار هذه المواهب بل ومسحوق بالاستغلال والاجحاف الاجتماعى ، وهو يهلك من الجوع والامراض ، ويختنق فى كماشات البطالة والفقر والغلاء ؟ ومن المذنب فى ان لون البشرة غير الابيض فى عدد من البلدان ، التى تفاخر بمدنيتها ، يُعتبر دليلا على نقص الانسان ؟ ومن المذنب فى ان نير الاستعمار المخزى ، الذى تعكر آثاره حتى يومنا

هذا حياة شعوب عشرات البلدان ، قد وضع على عنق القسم الاكبر من البشرية ؟

ان الذنب كله هو ذنب الرأسمالية التى اوصلت التباينات بين الفقر والغنى حتى آخر حدودها ، ورفعت الحروب والنهب الاستعمارى والعنصرية الى مستوى السياسة الرسمية ، وتنفق موارد مادية وبشرية لا تحصى بصورة غير منتجة لصالح حفنة قليلة من الاحتكاريين ، واذلت انسان العمل ، ولا يندر ان تستخدم احدث منجزات العلم والتكنيك بما يعود بالضرر عليه .

فمن اجل استخدام الثروات الضخمة ، التى تملكها البشرية ، والقدرات الانتاجية والمنجزات الرائعة للعلم والتكنيك المعاصرين لصالح الشغيلة تلزم شروط اجتماعية معينة . من الضرورى القضاء على النظام الاستغلالى واقامة مجتمع جديد على الارض ، هدفه الوحيد والاعلى – تأمين حياة سعيدة ، حرة ، انسانية حقا ، لجميع البشر .

وهذا المجتمع الجديد هو الشيوعية ، اما العلم ، الذى يعطى فكرة كاملة عنه وعن قوانين اقامته وتطوره ، فيسمى **نظرية الشيوعية العلمية .**

ان نظرية الشيوعية العلمية هى علم طرق ووسائل القضاء على الرأسمالية ، وقوانين اقامة مجتمع جديد ، شيوعى ، والشروط الاقتصادية والاجتماعية والروحية لاجل تطور الانسان فى كافة النواحى ؛ علم المجتمع الشيوعى كجسم اجتماعى معقد ؛ علم الادارة الواعية ، الهادفة ، للعمليات الاجتماعية لما فيه خير الانسان .

والمجتمع الشيوعى هو المجتمع الوحيد الذى يعتبر فيه خير الانسان الكادح هدفا للتطور الاجتماعى . ان نظرية الشيوعية العلمية تبين الشروط (الاقتصادية ، الاجتماعية ، السياسية) التى يمكن فى ظلها فقط التطور الشامل والمتناسق للانسان والتعبير الاكثر كمالا وحرية عن جميع مظاهر حياته .

بيد انه ينبغى ، قبل تهيئة الشروط لاجل ازدهار الانسان ، الاطاحة بالنظام الاجتماعى القديم – الرأسمالية . ان الشيوعية العلمية تبين الحتمية التاريخية لهلاك الرأسمالية كنتيجة لفعل

القوانين الموضوعية الملازمة لها ولتناقضاتها الداخلية ، وتكشف القوى الثورية التى تنسف الرأسمالية وتطيح بها ، وتشير الى ان الثورة الاشتراكية تستطيع وحدها ان تقضى على النظام القديم ، الرأسمالى .

وثمة مهمة هامة اخرى امام الشيوعية العلمية : دراسة قوانين قيام المجتمع الشيوعى ، دراسة هذا المجتمع نفسه بصفته جسما اجتماعيا معقدا . ان المجتمع يتطور بحكم مفعول القوانين الموضوعية . الا ان فعالية استخدام القوانين تتوقف فى نهاية المطاف على الناس انفسهم ، على عمق نفاذهم الى جوهر الظواهر الاجتماعية ، على استهدافهم وانتظامهم . وهكذا يتجلى تطور المجتمع كتشابك معقد وتفاعل متبادل بين القوانين الموضوعية والعامل الذاتى .

ان وحدة الشروط الموضوعية والعامل الذاتى لتطور المجتمع امر ممكن اذا ادركت الجماهير الكادحة القوانين الموضوعية وامتلكت آلية مفعولها ، واذا كان تنظيم الناس موجها نحو الاستخدام الاشد فعالية ما امكن للقوانين لما فيه خير الانسان .

ومن هنا تنبع مهمة هامة اخرى لنظرية الشيوعية العلمية هى مهمة تعيين سبل ووسائل التنسيق بين النشاط الذاتى للناس وبين متطلبات القوانين الموضوعية . ان نظرية الشيوعية العلمية تساعد الناس فى توجيه وضبط حركة المجتمع طبقا لهذه الاتجاهات ، وتكشف العقبات القائمة فى طريق بلوغ هذا الهدف او ذاك ، وتساعد فى ازالة هذه العقبات . وبكلمة اخرى نقول ان نظرية الشيوعية العلمية تستقصى عملية القيادة الواعية والهادفة للمجتمع وادارته ، وادارة البناء الشيوعى .

ان نظرية الشيوعية العلمية ، شأنها شأن الماركسية-اللينينية ككل ، لم تنشأ من العدم ، لقد ورثت افكار الماضى الشيوعية التى تمخضت بها قرونا وقرونا خيرة عقول البشرية ، لذا فمن الضرورى ان نتناول ، ولو بصورة مقتضبة ، تاريخ فكرة الماضى الشيوعية ونتعقب طريق حركتها من الطوباوية الى العلم .

الفصل الاول

من الطوباوية الى العلم

١ ــ الاشتراكية الطوباوية ومكانها فى التاريخ

فى القرون السادس عشر ــ الثامن عشر حلت الرأسمالية فى عدد من بلدان اوروبا الغربية محل الاقطاعية ، مما استوجب تطورا عاصفا للانتاج والتكنيك والعلوم الطبيعية . ومكان المشاغل الحرفية غير الكبيرة نشأت المصانع والمعامل والمناجم . واخلت طاقة عضلات الانسان والماء والهواء المكان لطاقة البخار الجبارة ، ومن ثم للكهرباء ايضا . بيد ان الرأسمالية لم تخفف وطأة عمل الانسان الكادح : فالاستغلال بقى بصورة لا تقل قساوة ولاانسانية مما كان عليه فى ظل نظام الرق والاقطاعية . وبالنتيجة ازداد استياء الجماهير واحتدم الصراع الطبقى . ولم يكن بوسع هذه التغيرات الاجتماعية الا ان تؤثر على الحياة الروحية للمجتمع . وكان احتجاج الجماهير الشعبية على الاوضاع الاجتماعية القائمة يتجلى فى التعاليم الاشتراكية التى كانت فكرتها المركزية فكرة الانسانية ــ احترام الانسان والاهتمام به .

كان احد اوائل الاشتراكيين ـ الطوباويين فى اوروبا رجل الدولة والمفكر الانجليزى **توماس مور** (١٤٧٨ــ١٥٣٥) .

منذ العهود المبكرة لقيام الرأسمالية تمكن توماس مور من رؤية جوهرها الاستغلالى ، من رؤية ان المجتمع الرأسمالى عاجز عن تأمين للكادحين الحياة الانسانية حقا ، وانها عبارة عن مؤامرة من جانب الاغنياء الذين يدافعون عن منافعهم الشخصية ليس الا .

توصل توماس مور – وفى هذا اعظم فضل من افضاله – فى كتابه «الطوباوية» الى الاستنتاج القائل بان مساواة وسعادة الناس وتطور مزاياهم الجسمانية والعقلية ، وبالقدر نفسه العدالة الاجتماعية والتسيير الرشيد للشؤون الاجتماعية ، لا يمكن تصورها ما دامت الملكية الخاصة قائمة وما دامت الثروة ، التى يخلقها عمل الاكثرية ، تقع فى ايدى الاقلية .

وبعد طرح فكرة القضاء على الملكية الخاصة رسم توماس مور لوحة المجتمع الواحد ، المدار بطريقة ديمقراطية ، المجتمع المنظم والقائم على الملكية الجماعية والعمل الجماعى لجميع اعضائه .

وفى هذا المجتمع ، الذى وضعه توماس مور فى جزيرة الطوباوية المجهولة ، لا يعرف الناس سلطة النقود ولا يعانون ظلم الاثرياء . وجميعهم يشتغلون سوية ، عاكفين لدى ذلك على العمل الجسدى والعمل الفكرى ، ولا يطيقون الكسالى ، ويسلّمون ثمار عملهم الى المستودعات الاجتماعية التى يحصلون منها على كل ما يحتاجونه دون مقابل . لقد اقترب توماس مور من فهم المبدأ الشيوعى للتوزيع حسب الحاجات ، ولو ان الحاجة يفسرها بصورة محدودة جدا على انها الشىء الضرورى فقط .

واطلق الطوباوى الايطالى **تومازو كامبانيللا** (١٥٦٧–١٦٣٩) ، احد القادة البارزين لحركة التحرر الشعبى فى ايطاليا ، تسمية مدينة الشمس على مجتمع المستقبل . فسكان مدينة الشمس ، كما الحال فى جزيرة الطوباوية لتوماس مور ، لا يعرفون الاستغلال وسلطة المال . ويعتبر ثمينا للغاية سعى تومازو كامبانيللا لاستخدام العلم من اجل الادارة الرشيدة لشؤون المجتمع لاهداف التقدم الاجتماعى . وليس من وليد الصدفة ان يكون العالم ، الذى يملك معارف واسعة وخبرة عملية ثرة ، حاكما رئيسيا للمدينة .

لقد لعبت افكار توماس مور وتومازو كامبانيللا ، اللذين عالجا لاول مرة تنظيم المجتمع بدون الملكية الخاصة والاستغلال ، دورا بارزا فى انتقاد الايديولوجيا الاقطاعية ومارست تأثيرا ملحوظا على التطوير اللاحق للفكر الاشتراكى .

كان **جان ميليـــه** (١٦٦٤-١٧٢٩) واضع اساس الاتجاه الثورى للاشتراكية الطوباوية فى فرنسا .

قضى جان ميليه حياته كلها تقريبا فى الريف حيث شاهد بام عينيه الفقر الرهيب وعذابات الفلاحين وعملهم الثقيل الوطأة من اجل الاقطاعيين . وخلف مخطوطة كبيرة بعنوان «الوصية» لم تنشر الا بعد مرور سنوات عديدة على وفاته . ويتضمن هذا الكتاب فضحا لا رحمة فيه للاستغلال الاقطاعى وللاوضاع الملكية وللكنيسة . كان جان ميليه يدرك ادراكا رائعا ان المضطهِدين لن يتخلوا بملء الخاطر عن امتيازاتهم وخيراتهم ، ولذا فلقد دعا الى الاطاحة الثورية بالاوضاع القائمة ، بيد انه لـم يقدم اى مخطط مرسوم ما لتنظيم المجتمع القادم .

وقام بخطوة هامة الى الامام فى وضع الافكار الشيوعية المفكر الفرنسى **غبريال مابلى** (١٧٠٩-١٧٨٥) الذى نادى باقامة مجتمع يؤمن لكل مواطن «**اكبر كمية من الملذات والسعادة**» . وهذا المجتمع لا يمكن بلوغه الا عن طريق القضاء على الملكية الخاصة . وكان غبريال مابلى يعتقد بان تقسيم الممتلكات كان اعظم جريمة اذ انه افسد اخلاق الناس واثار الطمع الى الربح . وكان مابلى ، رغم اعترافه بحق المضطهَدين فى الثورة ، يعتقد ان الطريـق الاكثر ملاءمة من اجل تخليص الانسان من قباحة عادات الملكية الخاصة هو طريق الاصلاحات التى تجريها الجمهورية الديمقراطية . وكان مابلى يعتبر هذه الجمهورية كحلقة اتصال ، كمرحلة انتقال من مجتمع الملكية الخاصة والاستغلال الى المجتمع الشيوعى .

وابتداء من مابلى نهض السؤال التالى امام الفكر الاجتماعى التاريخى للبشرية : كيف الوصول الى المجتمع الجديد – أعن طريق الثورة ام عن طريق الاصلاحات ؟

الثورة ، الاسقاط القسرى للنظام القائم ، من جانب فريق من المتآمرين الشجعان المخلصين للشعب والذين يكنون حقدا متأججا على الاستغلال والثروة – ذلك هو الجواب القاطع ، عن السؤال المتعلق بسبل بلوغ الشيوعيـة ، الذى اعطاه الثورى

الفرنسى **غراكوس بابيف** (١٧٦٠-١٧٩٧) وانصاره الذين من المعتاد تسميتهم **البابيفين** .

كان بابيف زعيما لحركة الفلاحين الثورية فى سبيل الكومونة لعامة البلاد - «جمهورية المتساوين» . ودفعت الحياة نفسها البابيفيين الى فكرة الانتفاض والاستيلاء على السلطة . وكانوا شهودا ومشاركين فى الثورة البرجوازية الفرنسية الكبرى (١٧٨٩-١٧٩٣) ، الا انهم سرعان ما فهموا ان هذه الثورة لم تقض على اشكال الاستغلال بل غيرتها فقط . وكان البابيفيون يقولون انه يجب ان تحل محل الثورة البرجوازية ثورة جديدة ، شعبية ، يستولى الشعب بنتيجتها على السلطة ويقيم دكتاتورية ثورية وينظم «مجتمع المتساوين» الذى لن يكون فيه لا اغنياء ولا فقراء ، ولن يستأثر احد بالملكية ، وسيعمل كل شخص حسب مقدرته لما فيه خير الجميع .

والشيوعية حسب تصور البابيفين هى عبارة عن مجتمع رفيع التنظيم وممركز ، قائم على الملكية الجماعية وموحد على نطاق البلد بأسره .

الاشتراكيون-الطوباويون من القرن التاسع عشر

قضت رأسمالية القرن التاسع عشر على الكادحين بالفقر الفظيع وبالعمل فوق طاقتهم فى الاشغال الشاقة بالمعامل . والى جانب ذلك ولدت الرأسمالية البروليتاريا التى غدت شيئا فشيئا اكبر طبقات المجتمع البرجوازى عددا . وادى الاحتجاج غير الواعى فى البداية على الاوضاع الرأسمالية الى احتدام الصراع الطبقى بين العمل والرأسمال . واخذ هذا الصراع يصبح اهم مصدر ومحتوى للتقدم التاريخى .

وكانت تعاليم اشتراكيى القرن التاسع عشر سان-سيمون وفوريه واوين انعكاسا لنضال البروليتاريا ضد البرجوازية ولاحتجاجها غير الواعى على العبودية الرأسمالية الاجيرة .

تحدّر **هنرى كلود سان-سيمون دى روفروا** (١٧٦٠-١٨٢٥)

من البيئة الفرنسية الارستقراطية ، الامر الذى لم يمنعه من ان يصبح مدافعا متحمسا عن المضطهَدين . كان سان-سيمون يضع الانسان وحاجاته ومؤهلاته فى مركز المجتمع الاشتراكى المقبل . وكان يعتبر افضل تركيب اجتماعى ذلك التنظيم للمجتمع الذى يؤمن اسعد حياة لغالبية الناس ويقدم لهم اقصى حد من الامكانيات لاجل تلبية حاجاتهم ، لاجل تطوير جميع مؤهلاتهم .

وكان سان-سيمون يتصور المجتمع الاشتراكى المقبل بمثابة رابطة حرة يتحد فيها الناس من اجل التأثير الواعى المشترك على الطبيعة ، من اجل ضمان الرفاهية والازدهار الشاملين . وفى هذا المجتمع يعمل كل انسان حسب قدرته ويتلقى حسب عمله ، ولا وجود هنا للاستغلال ولسيادة الاقلية على الاكثرية ، اما وظائف ادارة الناس فتحولت الى وظائف لادارة كافة اعمال المجتمع .

الا انه لم ير ، رغم عدد من التخمينات العبقرية بصدد مجتمع المستقبل ، الاسس المادية لتطور المجتمع ، وكان يبشر بفكرة التعاون السلمى بين المضطهِدين والمضطهَدين . وسعى الى «حث» الملوك على استخدام السلطة ، التى منحهم اياها الشعب ، من اجل القيام بتغييرات سياسية ضرورية . وكان سان-سيمون يرهب الصراع الطبقى ، وينفى الثورة ، ويعلق آماله الرئيسية على التبشير بافكار الاخوة بين جميع الناس ، وعلى القوة العجائبية للاصلاحات التى تحقّق من فوق .

كانت الناحية الاقوى للاشتراكى-الطوباوى الآخر – **فرانسوا مارى شارل فوريه** (١٧٧٢–١٨٣٧) ، وهو ابن تاجر ثرى اصيب بالافلاس فيما بعد – انتقاد النظام الرأسمالى . ان فوريه يصم بالتهكم القتال رياء ونفاق النظام البرجوازى واولئك الذين يدافعون عن «العجل الذهبى» ويزخرفونه بعد ان باعوا انفسهم له . وهو يفضح ميكانيزم الاقتصاد والدولة للمجتمع البرجوازى الذى لا يعمل الا على نهب الفقراء واثراء الاغنياء .

كان فوريه يدرك جيدا ان تفاقم التناقضات الاجتماعية قادر على الايصال الى الثورة الشعبية التى ستكنس الرأسمالية . الا انه كان يهاب الثورة ونضال الجماهير السياسي المستقل ،

ولهذا صمم الطريق السلمى لاقامة نظام جديد يسود فيه «الانسجام الاجتماعى» . وكان فوريه يتصور المجتمع المنسجم عبارة عن وحدات انتاجية تدعى كتائب . ويعيش اعضاء الكتيبة ، ويبلغ عددهم ١٦٠٠-١٧٠٠ شخص ، فى بناية ضخمة واحدة تدعى فالانستر ، حيث يشتغلون ويقتاتون ويرتاحون . وهم يتعاطون ، بصورة رئيسية ، الزراعة ، وبدرجة اقل كثيرا العمل الصناعى ، الحرفى فى الغالب . يختار عضو الكتيبة العمل حسب مؤهلاته ، وتتوفر له امكانية الانتقال الحر الى عمل آخر ، وبهذا يتحقق تطوره المنسجم .

بيد ان نظرات فوريه الى المجتمع الجديد والى طرق بلوغه لم تتجاوز اطارات الطوباوية . فان فكرة فوريه عن انسجام مصالح المالكين والمعوزين كانت فكرة طوباوية ، حيث انه كان يسلّم بتواجد الملكية الخاصة واصحابها - الرأسماليين فى الكتائب معتبرا ان نتاجات عمل اعضائها توزّع ليس حسب العمل والموهبة فقط بل والرأسمال ايضا . وعن طريق مثل هذا التوزع فقط يمكن ، على حد زعمه ، بلوغ انسجام الطبقات والتحالف الوثيق بين الرأسمال والعمل والموهبة . وكما يتبين فان فوريه لم يلغ الملكية الخاصة ، كما لم يلغ معها انقسام المجتمع الى اغنياء وفقراء . وتصورات فوريه عن سبل بلوغ المجتمع الجديد هى تصورات طوباوية ايضا . فقد كان يعتقد انه يمكن بلوغ ذلك عن طريق الترويج لافكار الاشتراكية ، عن طريق التحويل الاصلاحى التدريجى للمجتمع الرأسمالى .

كان الطوباوى الانجليزى **روبرت اوين** (١٧٧١-١٨٥٨) اول اشتراكى-طوباوى يشارك مشاركة نشيطة فى حركة الطبقة العاملة ، وكان منورا بارزا لعمال بلاده .

اثناء عمله مديرا لمعمل نسيج كبير فى نيو-لانارك حسّن اوين الظروف المادية المعيشية لحياة العمال ، حيث خفض يوم العمل الى ١٠,٥ ساعات بدلا من ١٣-١٤ ساعة مألوفة آنذاك فى انجلترا ، ولاول مرة فى العالم نظم دار حضانة وروضة لاطفال العمال وفتح مدرسة نموذجية وانشأ صندوقا للاستشفاء . وفى وقت لاحق ، وقد نبذه المجتمع الرسمى جزاء افكاره الاشتراكية ،

عمل طوال ٣٠ عاما فى وسط الطبقة العاملة مباشرة ساعيا بكل قواه الى تخفيف اوضاع العمال . ونظم حملة اجتماعية واسعة دفاعا عن حقوق العمال ؛ ولعبت جهوده دورا كبيرا فى انه اتخذ فى انجلترا اول قانون يقيد استخدام عمل الاولاد والنساء .

انتقد اوين النظام الرأسمالى انتقادا لاذعا ، الا انه كان يعتبر ان التناقضات الاجتماعية للرأسمالية هى نتيجة للجهل ولمتاهات الوعى البشرى . فبنشر التعليم يحوّل الناس انظارهم الى المجتمع الجديد الذى يؤمن افضل الشروط لاجل معيشة الانسان وكماله الاخلاقى .

وكان اوين يعتبر الملكية الخاصة العقبة الرئيسية فى طريق انشاء هذا المجتمع . وكان يؤمن ايمانا راسخا بحلول ذلك الزمن الذى سيُفهم فيه تفوق نظام الملكية الاجتماعية على نظام الملكية الخاصة . اما المبدآن الاساسيان لمجتمع اوين المنظم تنظيما عقلانيا فهما : جامعة الملكية وجامعة العمل . الا انه كان يخاف من النضال الطبقى ويعتبر امرا ضروريا تفادى التحطيم القسرى للحياة الاجتماعية ، الممكن حدوثه تماما فى ظروف فاقة الكادحين المتعاظمة على الدوام ، وطرح مشاريع اصلاحات الحياة الاجتماعية على اسس شيوعية .

الاشتراكيون-الطوباويون فى روسيا

تطورت افكار الاشتراكية الطوباوية فى روسيا ايضا ، وبخاصة فى مؤلفات الديمقراطيين الثوريين الروسيين أ . هرتسين ون . تشيرنيشيفسكى .

انتقد الكاتب والفيلسوف الروسى الشهير **الكسندر هرتسين** (١٨١٢–١٨٧٠) الرأسمالية فى اعماله انتقادا لاذعا واعرب عن الثقة الراسخة بانتصار الاشتراكية فى روسيا . وكان يعتقد ، لدى ذلك ، ان روسيا ، خلافا للغرب ، ستصل الى الاشتراكية متخطية الرأسمالية التى تجلب للشعب حرمانات وعذابات جديدة ، وذلك من خلال المشاعية الفلاحية .

وكانت الاشتراكية تتراءى لهرتسين اشتراكيـــة فلاحية ، مجتمعا تسود فيه الثقة العميقة بين الناس واحترامهم لبعضهم البعض . ولم ير ان الرأسمالية قد تسربت الى المشاعية الروسيه ايضا محطمة العلاقات البطريركية ، وانه قد نشأت مع الرأسمالية الطبقة العاملة ، ولم يستوضح ، بصورة أولى ، دور هذه الطبقة الثورى فى المجتمع .

ان ايا من الاشتراكيين-الطوباويين لم يرسم ، على ما يبدو ، لوحة المجتمع الشيوعى بهذا القدر من التأثر واليقين ولم يكن قريبا الى هذا الحد من الفهم الصحيح لسبل بلوغه كالكاتـــب والمفكـــر الروسى الكبيـــر **نيقولاى تشيرنيشيفسكى** (١٨٢٨-١٨٨٩) .

كان تشيرنيشيفسكى يتصور المجتمع الاشتراكـى القادم كفيدرالية موحدة «للاتحادات الانتاجية» التى يديرها النـــاس انفسهم ، والخالية من الاستغلال ، وحيث العمل إلزامى بالنسبة للجميع . واولى تشيرنيشيفسكى اهتماما شديدا لتطوير الصناعة الكبيرة والتكنيك والعلم فى المجتمع الجديد والتى تضمن انتاجية عمل رفيعة ورفاهية الشعب على هذا الاساس . وبوصفهم اسيادا لمصائرهم سوف يعمل الناس فى هذا المجتمع بصورة مشتركة ، علما بان الآلات ستأتى لمساعدتهم فى العمـــل . وبعملهـــم الجماعى سيحولون الارض الى جنة زاهرة حيث سينعمون بجميع ملذات الحياة .

صحيح ان تشيرنيشيفسكى ، شأنه شأن هرتسين ، كان يعتقد بان روسيا ستصل الى الاشتراكيـــة من خلال المشاعية الفلاحية التى ينبغى نقل مبادئها للتركيب الجماعى ، فى رأيه ، الى المدينة ايضا ، الى الصناعة . بيد انه لم يكن يعتبر المشاعية على الاطلاق الشكل الجاهز للاشتراكيـــة ، وكان بعيدا عـــن التصور بان الاشتراكية يمكن بناؤها على اساس الاتفاق الطوعى بين الطبقات . لم يكن تشيرنيشيفسكى نظريا للاشتراكية فحسب بل وثوريا فى الممارســـة يربط تطور الاشتراكيـــة بالثورة الشعبية . وتتضمن مؤلفاته نداءا حارا الى النضال ضد القيصر والملاكين العقاريين ، وفى سبيل النظام الاجتماعى الجديد .

فيمَ يكمن فضل الاشتراكيين-الطوباويين ، وما هى اهمية الاشتراكية الطوباوية ؟

اولا ، اعطى الاشتراكيون-الطوباويون انتقادا عميقا للنظام الرأسمالى ، وفضحوا عيوبه ، وسعوا للبرهنة على حتمية هلاك الرأسمالية واستبدالها بمجتمع جديد ، شيوعى . كانت اكثريتهم تربط بين اقامة المجتمع الجديد وبين القضاء على الملكية الخاصة وتأكيد الملكية الاجتماعية ، الجماعية ، التى تستطيع وحدها ان تصلح اساسا للحرية الحقيقية والمساواة . وطرحوا المسألة المتعلقة بسبل ووسائل القضاء على المجتمع الاستغلالى .

ثانيا ، استشف الاشتراكيون-الطوباويون بعض ملامح مجتمع المستقبل ، وفى ذلك كانوا ينطلقون من دوافع انسانية عميقة : كان همهم الرئيسى تأمين الشروط للانسان فى المجتمع الجديد من اجل الوجود الانسانى حقا ، من اجل تطوير واستكمال مواهبه .

ثالثا ، طرح الاشتراكيون-الطوباويون لاول مرة مسألة الادارة الواعية والهادفة للعمليات الاجتماعية ، علما بان كثيرين منهم ربطوا امكانية الادارة باقامة الملكية الاجتماعية ، بانشاء اقتصاد موحد ومنظم تنظيما مبرمجا .

لقد طرح الاشتراكيون-الطوباويون العديد من تلك المسائل التى جرى حلها فيما بعد حلا علميا من جانب كارل ماركس وفريدريك انجلس وفلاديمير ايليتش لينين . وكتب لينين يقول ان الاشتراكيين-الطوباويين «كانوا السابقين بصورة عبقرية الى كثرة كبيرة من الحقائق التى نبرهن نحن اليوم على صحتها علميا» * . وليس من وليد الصدفة ان الاشتراكية الطوباوية ، ولا سيما طوباوية القرن التاسع عشر ، كانت واحدا من **المصادر الفكرية للماركسية والسلَف المباشر للشيوعية العلمية** .

قدر مؤسسو الشيوعية العلمية عالى التقدير اعمال الاشتراكيين-الطوباويين ولكنهم كشفوا ايضا محدوديتها التاريخية

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٦ ، ص ٢٦ .

واشاروا الى السوائية الفظة والتقشف العام والطابع الباطل لما يقترحونه من سبل ووسائل لاجل بلوغ الاشتراكية . وكان كثيرون من الطوباويين اخصاما للصراع الطبقى والثورة .

ان اسباب محدودية نظرات الاشتراكيين الطوباويين تقبع فى الظروف الاجتماعية التاريخية لذلـــك الزمن – فى عدم نضوج العلاقات الاجتماعية ، فى عدم تطور البروليتاريا التى لم تكن قد وعت بعد رسالتها التاريخية . وكتب انجلس يقول : «ان الوضع غير الناضج للانتاج الرأسمالى والعلاقات الطبقية غير الناضجة كانت تطابقها نظريات غير ناضجة» * .

وفى غضون ذلك كان الزمن يسير الى امام ، وتتعمق تناقضات الرأسمالية ، وتتطور البروليتاريا ويتصلب عودها فى النضال الطبقى متحولة الى قوة حاسمة للتطور الاجتماعى . لقـد طرح التاريخ نفسه امام العلم الاجتماعى مهمة وضع النظرية التى من شأنها ان تكون مرشدا مأمونا للعمل بالنسبة للطبقات الثورية . ونفذ العلم الاجتماعى بشخص افضل ممثليـه – كارل ماركس وفريدريك انجلس – هذه المهمة : لقد وُضعت نظرية الشيوعية العلمية .

٢ – تحول الاشتراكية من الطوباوية الى علم . كارل ماركس وفريدريك انجلس

بدأ النشاط العلمـــى والثورى **لكارل ماركس** (١٨١٨–١٨٨٣) **وفريدريـك انجلس** (١٨٢٠–١٨٩٥) فى المانيـــا فى الاربعينات من القرن الماضى . كان ذلك زمن التطور العاصـــف للرأسمالية التى رسخت اقدامها بثبات فى عدد من بلدان اوروبا واميركا الشمالية ، زمن تطور الطبقة الجديدة – البروليتاريـــا الصناعية ، وولوجها طريق النضال الثورى . فبعد ان تغلبـــت البرجوازية على الاقطاعية وثقت بانتصار ورسوخ مبادئ الملكية الخاصة التى وضعتها .

---

* ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ٢٠ ، ص ٢٦٩ .

لقد كان يخيل للناس ان سيطرة البرجوازية خالدة لا آخرة لها . الا انه فى هذا الوقت بالذات ، فى عام ١٨٤٨ ، دوت كلمات «بيان الحزب الشيوعى» الذى اصدر فيه ماركس وانجلس الحكم على الرأسمالية . فقد بينا ان المجتمع الرأسمالى ، القائم على الملكية الخاصة والاستغلال ، يجب عليه ان يخلى المكان لمجتمع محرر من الاستغلال والعبودية ، وان البشرية تسير فى اتجاه الثورة الشيوعية العظيمة . وبصدور هذا المؤلف انتهى زمن الاشتراكية الطوباوية وبدأ زمن الاشتراكية العلمية .

ان الخلاف الاساسى لاشتراكية ماركس وانجلس العلمية عن الاشتراكية الطوباوية يكمن فى انها لا تقوم على التركيبات التأملية والتمنيات الطيبة بل **على ارضية الواقع الفعلى ، على الادراك العلمى سواء لقوانين تطور المجتمع ام لجوهر الانسان نفسه .**

حتمية الاستعاضة الثورية عن الرأسمالية بالاشتراكية

لقد جلبت الرأسمالية معها ، باقامتها اقتصادا قويا فى البلدان الاكثر تطورا ، التطور العاصف للقوى المنتجة ، وقضت على الحواجز الاقطاعية ، ونشرت نظام الاستغلال فى العالم بأسره وجعلته قاسيا ومدمرا خاصة بالنسبة لشعوب البلدان المستعمرة . وكان النمو السريع للقوى المنتجة يرتبط بحافز جبار لتطور الانتاج هو حافز الربح الرأسمالى . فالبرجوازى ، فى ركضه وراء الربح ، يوسع الانتاج ويتقن التكنيك ويحسّن التكنولوجيا فى الصناعة والزراعة . بيد ان هذه العلاقات نفسها قد ولدت القوى التى وضعت النظام الرأسمالى تحت طائلة الهلاك .

كشف ماركس وانجلس التناقض الاساسى للرأسمالية — التناقض بين الطابع الاجتماعى لعملية الانتاج وبين شكل التملّك الرأسمالى الخاص . فالانتاج فى ظل الرأسمالية يرتدى طابعا اجتماعيا جليا اذ تشترك فيه ملايين من الجماهير الكادحة

المتمركزة فى مؤسسات ضخمة فى حين تستولى على ثمار عمل هذه الملايين حفنة ضئيلة من كبار الملاكين . ان هذا التناقض الملموس بين القوى المنتجة وعلاقات الانتاج يولّد الازمات والبطالة ، ويثير الصراع الطبقى الذى لا هوادة فيه بين البرجوازية والبروليتاريا والذى **تعتبر الثورة الاشتراكية والاستعاضة عن الرأسمالية بالاشتراكية** نتيجة له .

وعليه ، فان الثورة الاشتراكية تتجلى كحتمية تاريخية اذ انها تستند الى اساس اقتصادى محدد – التناقض فى الانتاج الرأسمالى . ان نفس الطبيعة الاجتماعية لعلاقات الانتاج تتطلب القضاء على الملكية الرأسمالية الخاصة واقامة الملكية الاجتماعية ، الجماعية .

وهكذا ، فان تحليل القوانين الموضوعية للتطور الاجتماعى والديالكتيك الموضوعى للرأسمالية والتناقضات الداخلية الملازمة لها قد قادت ماركس وانجلس الى الاستنتاج المتعلق بالثورة الاشتراكية بوصفها الوسيلة **الضرورية والوحيدة** للاستعاضة عن الرأسمالية بالاشتراكية . وبهذا بُددت اوهام الاشتراكيين-الطوباويين بامكانية الطريق الاصلاحى لتحويل الرأسمالية الى اشتراكية على اساس بلوغ «التناسق» بين المصالح الطبقية . ان الفهم المادى للتاريخ اتاح لماركس وانجلس ليس فقط كشف الجوهر الحقيقى للبيئة الاجتماعية التى يعيش فيها الانسان ويتطور ، وليس فقط الاشارة الى طريق تغييرها لصالح الانسان بل وكشف جوهر الانسان نفسه ومكانه فى منظومة العلاقات الاجتماعية ، فى اطار ذلك العالم الاجتماعى الذى ينتمى اليه .

جوهر الانسان واتجاهات تطوره

ان كل انسان ، هو ، بالطبع ، كائن بيولوجى . بيد ان المنشأ البيولوجى لا يستنفد جوهر الانسان . اكيد ان الطبيعة قدمت مادة بيولوجية معينة لاجل تكوين الانسان ، الا ان تحول

هذه المادة الى جسم بشرى كان نتيجة لعوامل ذات طابع اجتماعى ، وبالدرجة الاولى نتيجة لعامل النشاط الانتاجى . كتب انجلس يقول ان العمل ، بالمعنى المحدد ، هو الذى خلق الانسان . كما ان العمل وجد تجسيدا له فى بنيـة الجسم البشرى . لذا ، فالانسان انسان لانه قادر على العمل والتفكير والنطق ، قادر على انتاج ادوات العمل والتأثير على العالم المحيط به ، على الطبيعة ، بمساعدة هذه الادوات ، لانـه قادر على الانخراط فى العلاقات الاجتماعية مع الاناس الآخرين ابان العمل .

نبذ ماركس وانجلس عبادة الانسان المجرد ، الانسان على العموم ، الانسان خارج الزمان والمكان . فالانسان فى تصورهما هو دائما انسان **واقعى ملموس** ، وينتمى دائما لوحدة اجتماعية محددة تاريخيا – لتشكيلة اجتماعية ، لوحدة اجتماعية معينة – طبقة ، امة ، جماعة . والنشاط الانتاجى ، المادى للمجتمـع ، والعلاقات الاقتصادية التى تنشأ ابان عملية الانتاج ، تعين مَن يكون الانسان : عبدا او مالك عبيد ، فلاحا او اقطاعيا ، عاملا او رأسماليا .

والبيئة الاجتماعية التى ينتمى اليها الانسان ، تخلق فيـه سمات وتصرفـات واعمالا ، وافكارا وتطلعات ، ومتطلبات ومؤهلات مختلفة وغير ذلك من الصفات النفسية (الطبع ، المزاج ، المشاعر ، العادات ، الخ .) . وجميع هذه السمات بوحدتها وتفاعلها هى التى تكون الانسان الفعلى ككل .

فلماذا ، اذن ، تتواجد فى ظروف نفس البيئة ونفس المجتمع انواع متعددة للفرديات البشرية ، ولماذا لا يجسد هذا الفرد او ذاك كل سمات الوحدة الاجتماعية ، اما ما يجسده منها فليس بنفس الدرجة ؟

المسألة هنا تنحصر ، بالدرجة الاولى ، فى ان كل انسان بمفرده يتطور فى ظروف بيئة **ملموسة** («بيئة مصغرة») يمـت اليها اختصاص ونوع الاشغال ، وخصائص الجماعة الانتاجية او غيرها من الجماعات ، والاسرة ، الخ . . و«البيئة المصغرة» هى بالذات ذلك الموشور الذى ينعكس من خلاله تأثيـر البيئـة الاجتماعية العامة – العلاقات الاقتصادية وغيرهـا من العلاقات

الاجتماعية ، والحياة الروحية للمجتمع على الفرد . وبما ان الاحوال التى تكوّن «البيئة المصغرة» هى احوال متنوعة للغاية فالافراد هم ايضا كثيرو التنوع رغم انهم يعيشون ويعملون فى نفس المجتمع ، فى نفس البيئة الاجتماعية العامة .

وهكذا ، فان سمات كل انسان فعلى ملموس تعينها البيئة الاجتماعية الواسعة من خلال «البيئة المصغرة» . وفى هذا تتجلى السنة العامة لتطور الانسان الذى تتميز طريقة وجوده ، كما كتب ماركس ، «اما بمظهر اكثر **خصوصية** واما اكثر **عمومية** للحياة العشائرية» * .

ان مؤسسى الماركسية ، لدى اشارتهما الى ان الانسان هو نتاج البيئة ، لم يذيبا الفرد ، مع ذلك ، فى المجتمع . فالانسان يكوّنه المجتمع ، تكونه الظروف ، الا انه يكوّن المجتمع نفسه وفى الوقت نفسه يكوّن ذاته بعمله ، بنشاطه السياسى ، علما بان قوة تأثير الانسان فى البيئة ، فى المجتمع ، وبالتالى حرية الفرد ايضا ، تتنامى مع التقدم الاجتماعى .

واذ كشف ماركس وانجلس الجوهر الاجتماعى للانسان بيّنا ايضا الاتجاه الاساسى لتطوره ابان عملية التقدم التاريخى — الاغتناء الدائم لمختلف سمات الحياة ومظاهرها ، التطور المرتبط بتقدم المجتمع وباستكمال العلاقات الاجتماعية وبتقدم الثقافة المادية والروحية . ان بلوغ التطور الحر والتعبير الاكثر كمالا عن جميع ظواهر الحياة البشرية ، وبلوغ ارقى انسجامها ، واستخدامها الافضل ، غير المقيد (الطبيعى) ، لصالح المجتمع ، وبالتالى لصالح الانسان نفسه — ذلك هو اتجاه تطور تاريخ البشرية . وهذا الاتجاه يبرز كليا فقط فى ظل الشيوعية عندما يبدأ تطور القوى البشرية وتتهيأ الظروف الاكثر جدارة بالطبيعة البشرية والمماثلة لها . وقد كتب ماركس يقول انه مكان الثروة الاقتصادية للطبقات الحاكمة وفقر الكادحين فى ظل الرأسمالية «سيحل» فى ظل الشيوعية «**الانسان الغنى** والحاجة **البشرية**

* ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ٤٢ ، ص ١١٩ .

الغنية . **فالانسان الغنى** هو فى نفس الوقت الانسان الذى **يحتاج** الى كل كمال مظاهر الحياة البشرية ، الانسان الذى يتجلى فيه تجسده الخاص كضرورة داخلية ، **كحاجة**» * .

تحرير انسان العمل هو
الرسالة التاريخية للطبقة العاملة

لقد بين التحليل التاريخى الذى اعطاه ماركس وانجلس ان نمطين متعارضين اجتماعيا يتكونان فى المجتمع الطبقى التناحرى على اساس الملكية الخاصة ، هما : الانسان المستغِل والانسان الكادح . وهذا التعارض يبرز بوجه خاص فى المجتمع الرأسمالى حيث يقف البرجوازى من الانسان الكادح موقفه من هدف لاستدرار الفوائد – الارباح او الملذات . ان الرأسمال يسعى لتحويل العامل الى برغى خال من الحقوق فى الميكانيزم الاقتصادى .

ومع ذلك فقد حقق الانسان الكادح ، العامل ، الشىء الكثير فى المجتمع الرأسمالى . ففى الدرجة الاولى تم بجهوده الظفر بالطبيعة وانشاء قوى منتجة جبارة اتاحت خلق قيم مادية وروحية لا سابق لها . وبهذا بالذات هُيئ الشرط الاول لانشاء المجتمع الذى يعتبر هو نفسه هدفه وغايته . بيد ان العامل ، كما يؤكد ماركس ، مدعو لتحقيق الشرط الثانى ايضا لتحرير الانسان وعمله : اعتاق العمل ، الانسان ، من علاقات الملكية الرأسمالية . لقد ظفرت الطبقة العاملة بالطبيعة ؛ ويجب عليها الآن ان تظفر بالانسان . فالطبقة العاملة هى بالذات تلك القوة الاجتماعية وليدة الرأسمالية المدعوة للقيام بالثورة الاشتراكية والظفر بالانسان عن طريقها وتحريره من الاضطهاد والاستغلال . **ان اعتاق انسان العمل بواسطة الثورة الاشتراكية والقضاء على الرأسمالية واقامة المجتمع الانسانى حقا – الاشتراكية – تلك هى الرسالة التاريخية العظيمة للطبقة العاملة** . وكتب لينين : «ان

---

* ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ٤٢ ، ص ١٢٥ .

الجوهرى فى مذهب ماركس ، هو تبيان دور البروليتاريا التاريخى العالمى ، بوصفها بانية المجتمع الاشتراكى» * .

لماذا ، اذن ، توصل ماركس وانجلس الى الاستنتاج القائل بانه تعود للطبقة العاملة بالذات الرسالة العظيمة لتحرير الانسان الكادح والبشرية ؟

ذلك ، بالدرجة الاولى ، لان الطبقة العاملة هى **اكثر طبقات المجتمع الرأسمالى ثورية** . وهى **محرومة من الملكية الخاصة** لوسائل الانتاج وتعتبر **اكثر الطبقات تعرضا للاستغلال** فى المجتمع الرأسمالى . انها مضطرة ، بسبب حرمانها من الملكية ، الى العمل لحساب الرأسمالى . فاليدان العاملتان والمقدرة على العمل هى الملكية الوحيدة للعامل . ومن هنا فان مصيره ومصير عائلته واقربائه وذويه يتوقفان على لعبة الاقدار العمياء ، على ما اذا كان ثمة طلب على عمله ، على يديه العاملتين .

بيد ان الطبقة العاملة ، لنفس هذا السبب ، وليس طبقة اخرى ايا كانت ، ذات مصلحة فى القضاء على الملكية الخاصة والاستغلال ، وهذا يعنى انها **اكثر الطبقات ثورية** ، واشدها خصومة للرأسمالية . والثورة الاشتراكية ، المدعوة الى القضاء على الرأسمالية واقامة الاشتراكية ، هى القضية الحميمة للطبقة العاملة ؛ انها هدفها المنشود وغايتها .

وتعتبر الطبقة العاملة اكثر الطبقات ثورية ايضا لانها مرتبطة **بالشكل التقدمي للاقتصاد – الانتاج الآلى الضخم** . فالمستقبل لهذا الانتاج وبالتالى فان الطبقة العاملة مرتبطة بمستقبل الانتاج ، بمستقبل البشرية بأسرها . وتتميز الطبقة العاملة بقوة الجماهير ايضا ، قوة احدى طبقات المجتمع الرأسمالى الاوفر عددا .

بيد ان المسألة لا تنحصر فى ذلك . ان ظروف تطور الانتاج نفسها تجعل الطبقة العاملة اكثر الطبقات **تنظيما** ، اكثرها **انضباطا** ، اكثرها **وعيا** . فالعمال يشتغلون بصورة مشتركة ، فى مجموعات كبيرة ، ولهذا السبب يشعرون بسرعة شديدة ، وقد

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٣ ، ص ١ .

انخرطوا فى النضال ضد البرجوازية ، فى ادراك ضرورة التنظيم والانضباط الاشد صرامة . وهم يقتنعون بان ظروف عملهم وحياتهم قاسية فى كل مكان ، وبانه يواجههم فى كل مكان نفس الاستغلالى – الرأسمالى . ومن هنا ينشأ لدى العمال ويتطور الوعى الطبقى والسعى الى التوحد ليس على الصعيد الانتاجى فحسب بل والوطنى ايضا ، ومن ثم الاممى . وتنشئ الطبقة العاملة منظماتها – التعاونيات والنقابات وصناديق التأمين ، واخيرا الحزب السياسى الذى يضطلع بقيادة نضالها .

ان ظروف عمل ومعيشة الطبقة العاملة تجعلها اكثر الطبقات مقدرة على استيعاب الافكار الثورية الطليعية وامتلاك ناصية النظرية الطليعية . والواقع انه لا يوجد لدى العمال الوقت والاموال والمعارف الكافية من اجل وضع هذه النظرية . ومن هنا تنبع مهمة ايصال الوعى الاشتراكى الى الحركة العمالية ، وربط الاشتراكية بالحركة العمالية . وهذه المهمة الخطيرة انما ينفذها الحزب السياسى للطبقة العاملة .

وليست الطبقة العاملة وحيدة فى النضال من اجل تحقيق مثلها العليا . ففى هذا النضال تشارك بتحالف وثيق معها طبقات وفئات اخرى تعانى ايضا من الاستغلال ، وهى : طبقة الفلاحين الكادحين ، والحرفيون ، والبرجوازية الصغيرة فى المدينة ، وفئة المثقفين الكادحين . وقد اعار ماركس وانجلس ، ولينين فيما بعد ، اهمية كبيرة خاصة **لتحالف الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين** . ورأوا فى هذا التحالف القوة الاجتماعية المدعوة للقيام بالثورة وبناء الاشتراكية .

ومن الهام بمكان التنويه بان نضال الطبقة العاملة لا ينحصر ضمن الحدود القومية بل يكتسب طابعا **امميا** . فطبيعة الطبقة العاملة هى على نحو بحيث انه ليس لديها مصالح تولّد العداء بين الشعوب . وتواجه الطبقة العاملة البرجوازية الموحدة على النطاق العالمى بالوحدة الاممية ونضال الشعوب المشترك ضد مجتمع الملكية الخاصة والاستغلال .

ان اكتشاف ماركس وانجلس لسنن تطور المجتمع كان بمثابة مفتاح يمكّن من الادارة العلمية للعمليات الاجتماعية لما فيه مصلحة الانسان والبشرية ، والتى هى ممكنة فقط ، كما سنرى ، بعد القضاء على الملكية الخاصة واقرار الملكية الاجتماعية .

ان الاشتراكية لا تحل محل الرأسمالية من تلقاء نفسها ، بدون نضال . فهلاك الرأسمالية وقيام النظام الاجتماعى العادل هما نتيجة ليس لفعل القوانين الموضوعية فحسب بل ولنشاط الناس الذاتى ، نتيجة لتحويل المجتمع تحويلا واعيا ، هادفا . ان القضاء على الرأسمالية هو الشرط الالزامى لبداية العمل المتعلق باقامة المجتمع الجديد ، الاشتراكى .

وبين تحليل ماركس وانجلس التاريخى ان الادارة هى امر ملازم لكل مجتمع يتعاطى على نطاق كبير نوعا ، ولذا فهي موجودة فى ظروف الرأسمالية ايضا .

فقد كتب ماركس يقول : «ان كل عمل اجتماعى مباشرة او عمل مشترك يجرى بمقياس كبير نسبيا يحتاج بدرجة متفاوتة الى الادارة التى تقيم التناسق بين الاعمال الفردية وتضطلع بوظائف عامة تنشأ من حركة الجسم الانتاجى بأسره خلافا لحركة اعضائه المستقلة . ان عازف الكمان المنفرد يدير نفسه بنفسه ، اما الاوركسترا فتحتاج الى قائد» * .

واشارا فى الوقت نفسه الى محدودية وضيق دائرة الادارة فى ظل الرأسمالية . فالبرجوازية ، اذ تضبط بصورة جيدة عمل مؤسسات منفردة او حتى فروع كاملة للاقتصاد على نطاق البلاد او مجموعة بلدان ، ليس بوسعها ان تدير العمليات الاجتماعية الاقتصادية وتطور المجتمع ككل . وسبب ذلك هو سيطرة الملكية الخاصة ، وعفوية السوق ، وقوانين الفوضى والمنافسة التى تستبعد امكانية الادارة الهادفة ، المخططة ، لتطور المجتمع بأسره .

---

* ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ٢٣ ، ص ٣٤٢ .

ان الادارة العلمية للعمليات الاجتماعية تغدو ممكنة بعد انتصار الثورة الاشتراكية ، والقضاء على الملكية الخاصة ، وتعميم الانتاج فى كافة ميادين الاقتصاد الوطنى . وبانجاز التحويلات الاشتراكية فقط يتم القضاء على العفوية ويتأمن التطور المخطط للانتاج ولسائر مجالات الحياة الاجتماعية .

وكما يتضح فان ماركس وانجلس قد حلا على اساس علمى دقيق تلك المسائل الاساسية التى لم يستطع الاشتراكيون-الطوباويون الا وضعها . **اولا** ، بيّنا **حتمية هلاك الرأسمالية وانتصار الاشتراكية** ، منطلقين فى ذلك لا من تركيبات تأملية ، بل من القوانين الواقعية للتطور الاجتماعى ، من تحليل الديالكتيك الموضوعى للرأسمالية . **ثانيا** ، كشفا **الرسالة التاريخية العظيمة للطبقة العاملة** المدعوة بالتحالف مع الجماهير الكادحة الاخرى الى القضاء على الرأسمالية واقامة المجتمع الجديد ، الاشتراكى . **ثالثا** ، دلا على طريق القضاء على الرأسمالية واقامة المجتمع الجديد - **طريق النضال الطبقى والثورة الاشتراكية** . **رابعا** ، كشفا **الجوهر الاجتماعى للانسان** ، مكانته فى منظومة العلاقات الاجتماعية ، وبينا اتجاه تطور الانسان ، واشارا الى ان المجتمع الشيوعى ليس هدفا بحد ذاته بل وسيلة من اجل تحرير انسان العمل وتطويره من كافة الجوانب ، والى ان **الانسان** نفسه **هو هدف الشيوعية بذاته** . **خامسا** ، برهنا على ان **العمليات الاجتماعية يمكن ادارتها** ، وانها خاضعة لارادة الناس ، وان نفس عملية الاطاحة الثورية بالرأسمالية واقامة الاشتراكية والشيوعية هما بالذات عملية الادارة الواعية ، الهادفة ، لتطور المجتمع ، عملية تقدم الانسان والبشرية نحو المملكة الحقيقية للحرية .

ومن الضرورى ايضا التنويه بخاصة اخرى من خصائص نظرية الشيوعية العلمية - **صلتها الوثقى** بالعمل الثورى ، بالتطبيق .

وحدة النظرية والعمل الثورى

خلافا للاشتراكيين-الطوباويين كان ماركس وانجلس لا نظريين فحسب **بل وزعيمين لحركة الطبقة العاملة الثورية**

المتعاظمة، للكادحين كافة . واذ وقف ماركس وانجلس مواقف الطبقة المضطهَدة - البروليتاريا ، وضعا النظرية التى تعتبر سلاحها الروحى فى نضالها الثورى ضد الرأسمالية ، ضد الظروف الاجتماعية التى تذل الانسان وتشوهه ، ووسيلة جبارة لتغيير الواقع بايدى الانسان من اجل الانسان .

ان نظرية الشيوعية العلمية هى نتيجة الدراسة العميقة والتعميم لا للعلم فحسب بل وللممارسة الاجتماعية التاريخية ، لعمل الجماهير الثورى الذى شارك فيه صانعاها اشد المشاركة مباشرة وفعالية .

فى عام ١٨٤٧ اسس ماركس وانجلس عصبة الشيوعيين التى وضعت نصب عينيها مهمة جمع شمل المجموعات الشيوعية المبعثرة ، وتنوير العمال سياسيا ومساعدتهم فى استيعاب الافكار الشيوعية . وكان «بيان الحزب الشيوعى» ، الذى وضعاه بتكليف من العصبة والذى اعلن ولادة الشيوعية العلمية ، ليس وثيقة نظرية فحسب بل **واول برنامج لاول حزب للشيوعيين فى العالم** . وهو لم يقتصر على شرح جوهر التعاليم الجديدة بل واهاب بالكادحين الى الوحدة من اجل النضال فى سبيل تحرير الانسان ، الى القضاء الثورى على الرأسمالية .

وكتب ماركس وانجلس فى «البيان» انه لكى تكون البروليتاريا فى اللحظة الحاسمة قوية بما فيه الكفاية ولكى تستطيع احراز النصر ينبغى لها ان تنشئ حزبا سياسيا خاصا بها . وهذا الحزب يشكل طليعة الطبقة العاملة ، ويحمل الى اوساط العمال الافكار الشيوعية ، وينظّم ويقود نضالهم الثورى الفعلى .

وكان ماركس وانجلس قائدين لجمعية الشغيلة العالمية - الاممية الاولى - التى انشآها فى ايلول (سبتمبر) ١٨٦٤ والتى وحدت لاول مرة فى العالم بروليتاريى عدد من بلدان اوروبا . لقد وضعت الاممية الاولى ، التى بقيت موجودة حتى عام ١٨٧٢ ، اسس التنظيم العالمى للطبقة العاملة من اجل اعداد النضال الثورى ضد الرأسمالية .

وكانت نضالات الكادحين الثورية موضع الاهتمام الشديد

لماركس وانجلس . مثلا ، بعد تعميم تجربة الثورات الديمقراطية البرجوازية لعامى ١٨٤٨-١٨٤٩ فى اوروبا الغربية ، كتبا انه لا ينبغى للطبقة العاملة ان تعلل نفسها بالاوهام وكأن القضاء على سيطرة الرأسمال على العمل يمكن ان تقوم بـه الجمهوريـة البرجوازية . واكدا انه يمكن ان تتبع الثورة البرجوازية ثورة بروليتارية قادرة وحدها على تحرير الانسان الكادح . وقاد تعميم تجربة ماركس وانجلس الى الاستنتاج القائل بضرورة تحطيم آلة الدولة البرجوازية . اما الجواب عن مسألة بمَ يستعاض عن آلة الدولة البرجوازية «المحطمة» فقد اوحت به لماركس وانجلس الممارسة ، التجربة الثورية للجماهير . فان بروليتاريا باريس الثورية ، التى قامت ربيع عام ١٨٧١ باول ثورة بروليتارية فى العالم واقامت دولة الكادحين - كومونة باريس ، - قد قدمت نموذج دولة المستقبل ، الدولة القادرة على تحقيق الانتقال من المجتمع القديم الى مجتمع جديد .

كان كومونيو باريس يطمحون عمليا الى وضع حد لعالم الرأسمال القديم ، المتعفن والفاسد ، واقامة سلطة انسان العمل ؛ والقضاء على استغلال الانسان للانسان وجعل واجب العمل بالنسبة للجميع مبدأ راسخا . بيد ان الكومونة اصيبت بالهزيمة بفعل عدد من الاسباب ، وبالدرجة الاولى بسبب عدم النضوج التنظيمى والنظرى لدى البروليتاريا وعدم وجود حزب قوى وعدم ارتباطها بالجماهير الفلاحية . ولكن اهميتها لا تقدّر بثمن بالنسبة لنظرية وممارسة الشيوعية العلمية .

٣ - المرحلة اللينينية فى تطور الشيوعية العلمية

الطابع الخلاق للشيوعية العلمية

ان نظرية الشيوعية العلمية ، شأن الماركسية بالاجمال ، هى علم سائر فى طريق التطور ، علم خلاق . فالسمات المميزة للشيوعية العلمية هى دراسة الواقع ، والاستقصاء العميق

للعمليات الجارية سواء فى عالم الرأسمالية ام فى العالم الاشتراكى ، وتطوير وتدقيق الاستنتاجات النظرية على اساس الممارسة الثورية .

انبثقت الشيوعية العلمية فى ظروف الرأسمالية الصاعدة . وفى اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تغيرت الظروف التاريخية ، حيث انتقلت الرأسمالية الى مرحلتها الاخيرة – الامبريالية . وبلغت التناقضات الاقتصادية والاجتماعية فى ظل الرأسمالية درجة لا سابق لها من الحدة . وكانت الظروف الجديدة تتطلب منطلقا جديدا فى حل المسائل الاجتماعية الجذرية والتطوير الخلاق للماركسية . فقد كان من الضرورى تعميم التجربة الجديدة لحركة البروليتاريا الثورية ، وتجربة حركة التحرر الوطنى والحركات الديمقراطية واحدث المنجزات العلمية-التكنيكية .

فى اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين اخذ مركز الحركة الثورية العالمية ، ولا سيما العمالية ، ينتقل الى روسيا حيث كانت الرأسمالية تتطور بسرعة وتتكون الطبقة العاملة التى كانت بروليتاريا المصانع والمعامل تشكل نواتها . فالاستغلال الفاحش ، وحرمان الكادحين من الحقوق السياسية ،والوضع المجحف للاقليات القومية ، وبقايا الاقطاعية ونظام الرق والنظام الابوى ، والتبعية للرأسمالية العالمية ، ان كل ذلك جعل من روسيا عقدة تناقضات كل نظام الامبريالية الاوروبية . ويرتبط التطوير الخلاق اللاحق للماركسية وللشيوعية العلمية ، ارتباطا لا ينفصم باسم القائد العظيم للبروليتاريا الروسية والعالمية وكافة الكادحين **فلاديمير ايليتش لينين** (١٨٧٠–١٩٢٤) .

ان نشاط لينين فى ميدان تطوير الماركسية هو من العظمة والتنوع بحيث يشكل مرحلة كاملة فى تطور الافكار الشيوعية .

نظرى الشيوعية العلمية

كان نشاط لينين النظرى يرتبط ارتباطا لا ينفصم بنضال البروليتاريا الثورى وبممارسة البناء الاشتراكى فى الاتحاد السوفييتى . وهو لم يقتصر على تطوير نظرية الشيوعية العلمية

ووضع وحل كثرة من المسائل النظرية الجديدة بل وقاد التطبيق العملى لمبادىء الشيوعية العلمية . وتحت قيادة لينين تم وضع خطة بناء الاشتراكية والشيوعية فى الاتحاد السوفييتى ، وبقى لينين حتى آخر ايام حياته على رأس الشعب والحزب اللذين طبقا هذه الخطة .

لقد طرح العصر التاريخى الجديد امام الطبقة العاملة وحزبها الماركسى مهمة مباشرة هى مهمة التحويل الثورى للمجتمع والقضاء على الرأسمالية وبناء الاشتراكيـة . لذلك بالضبط اولى لينين اهتماما كبيرا بخاصة لتحليل سنن التطور الاجتماعى ، وبالدرجة الاولى جوهر الامبريالية واشد تناقضاتها حدة ، واعداد سبل ووسائل حلها . وطور نظرية الثورة الاشتراكية ، وعالـــج مسائل العملية الثورية العالمية المعاصرة التى تشمل لا الحركة الاشتراكية للطبقة العاملة فحسب بل وحركة التحرر الوطنـى ومختلف انواع الحركة الديموقراطية .

وقد نوه العديد من القادة البارزين لحركة التحرر الوطنى غير مرة بالاهمية الضخمة للتعاليم الماركسية اللينينية بوصفهـــا نظرية مارست تأثيرا على توجههم الفكرى السياسى وساعدتهم فى فهم الافق التاريخى لنضال شعوبهم . فقد اكد جواهر لال نهرو ، مثلا ، بعد وصفه لينين بانه «اعظم رجال العصر» ، اكد بصورة خاصة ان دراسة مؤلفات لينين ، شأن دراسة اعمال ماركس ، ساعدته فى رؤية التاريخ والحياة المعاصرة على ضوء جديد * . كما كتب يقول ان الماركسية «تساعدنا فى فهم الظواهر الاجتماعية لزمننا وتدل على الطريق الى العمل ، الى الخلاص» * * .

وكان انسان العمل والبحث عن سبل ووسائل تحرره وتأكيد ذاته وتطوره فى محط اهتمام لينين دائما . فالمجتمع الجديد لم يكن بالنسبة للينين هدفا بحد ذاته بل شرطا ، وسيلة لتحرير الانسان وتطويره ليس الا . وكانت تشغل باله مسألة كيفية تسخير الاقتصاد ومنجزات العلم والتكنيك لخدمـة الانسان ،

J. Nehru. The Discovery of India, 1946, p. 13. *

J. Nehru. Autobiography, p. 592. * *

وكيفية تحسين العلاقات الاجتماعية لصالح الكادحين ، وكيفية تنظيم حياة المجتمع الروحية بحيث يتأمن الازدهار العقلى للانسان واكمل تطور وظهور لمقدراته الابداعية التى لا تنضب .

وتحتل اهم مكان فى اعمال لينين نظرية الثورة الاشتراكية التى كانت اضخم مساهمة تضاف الى الشيوعية العلمية . وهذه النظرية قدمت للكادحين سلاحا فكريا فى نضالهم ضد البرجوازية ومن اجل السلطة السياسية والتحرر الاجتماعى .

تطوير لينين لنظرية الثورة الاشتراكية

لقد كشف لينين ، بالدرجة الاولى ، التناقض الاساسى للرأسمالية – التناقض بين الطابع الاجتماعى للانتاج وبين الشكل الخاص للتملك ، وبرهن على ان هذا التناقض فى ظروف الامبريالية يبلغ درجة من الحدة غير معتادة . وكتب لينين ان الامبريالية «توصل رأسا الى اعطاء الانتاج صبغة اجتماعية شاملة» ، بيد انها تحافظ على مبدأ الملكية الخاصة للتوزيع ؛ ان علاقات الاقتصاد الخاص والملكية الخاصة تؤلف «غلافا غدا لا يتلاءم مع المحتوى ، ومن شأنه ان يتعفن لا محالة . . . ولكنه مع ذلك سيزول لا محالة» * . ينجم عن ذلك ان الامبريالية هى **عشية الثورة الاشتراكية** . فالثورة الاشتراكية فى ظروف الامبريالية ليست ممكنة وحسب بل **وضرورية** ، **حتمية** ايضا ، وهى تطرح نفسها امام الطبقة العاملة كمهمة مباشرة من مهام الساعة .

ان اهم حلقة فى النظرية اللينينية للثورة الاشتراكية هى تأكيد لينين لامكانية انتصار الاشتراكية فى **بلد واحد بمفرده اولا** . وقد انطلق لينين فى سياق تعليله لهذا الاستنتاج من ان تطور البلدان الرأسمالية يجرى بشكل بالغ التفاوت ، بوثبات . فبعض البلدان ، المتخلفة سابقا ، تلحق بالبلدان المتقدمة

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٧ ، ص ٣٢٠ ، ٤٢٥ .

وتتخطاها من الناحية الاقتصادية والسياسية . ويختل توازن القوى وتنشأ النزاعات وتضعف الجبهة الموحدة للبلدان الرأسمالية . وبنتيجة ذلك تضعف مواقع الرأسمالية العالمية وتنشأ امكانية اختراق سلسلة الامبريالية فى اضعف حلقاتها .

وكتب لينين : «ان تطور الرأسمالية يجرى فى مختلف البلدان بصورة متفاوتة الى اقصى درجة . ولا يمكن ان يكون الامر على غير ذلك فى ظل الانتاج البضاعى . لذا كان هذا الاستنتاج الذى يفرض نفسه فرضا وهو ان الاشتراكية لا يمكن ان تنتصر فى جميع البلدان فى آن واحد . فهى ستنتصر اولا فى بلد واحد او فى عدة بلدان ، بينما تظل البلدان الاخرى لفترة من الزمن بلدانا برجوازية او ما قبل برجوازية» * .

وفى سياق تطوير النظرية الماركسية عن الثورة الاشتراكية كان لينين يأخذ بالحسبان الوضع المعقد للغاية فى العالم المعاصر له : وجود بلدان برجوازية وما قبل برجوازية ايضا حيث لم تحل بعد المهام ذات الطابع البرجوازي الديمقراطى ، وبلدان مستعمرة ، ووجود اكثر الطبقات والفئات الاجتماعية اختلافا فى كل بلد ، وما الى ذلك . وانطلاقا من ذلك خلص لينين الى الاستنتاج باستحالة قيام ثورات اشتراكية «خالصة» فى عهد الامبريالية . وكتب يقول انه لا يجوز التفكير على هذا النحو : ان جيشا سيقف فى مكان ما ويقول : «انا مع الاشتراكية» ، وجيشا آخر يقف فى مكان آخر ويقول : «انا مع الامبريالية» ، وهذا يكون ثورة اجتماعية . فمن ينتظر ثورة اجتماعية «خالصة» كهذه لن يراها ابدا ، انه ثورى بالاقوال وليس بالافعال . لقد كان لينين يتصور العملية الثورية على انها انفجار «للنضال الجماهيرى الذى يخوضه جميع المضطهَدين والمستائين على اختلاف طبقاتهم وفئاتهم وميولهم» * * . وهذه العملية تشمل الحركة العمالية ، والحركة الفلاحية ، وحركة التحرر الوطنى ، ومختلف الحركات الديمقراطية المناضلة ضد الامبريالية .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٠ ، ص ١٣٣ .

* * لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٠ ، ص ٥٤ .

ولم يكن لينين يعتقد على الاطلاق بان اى انفجار ثورى فى اى بلد يجب ان يكون اشتراكيا ، رغم ان مثل هذا الاحتمال وارد بالنسبة لجملة من البلدان . ففى البلدان ما قبل البرجوازية ، وفى البلدان المستعمرة او البلدان ذات الرواسب الاقطاعية القوية ، وكذلك فى تلك البلدان التى لم تنجز فيها بعد التحولات البرجوازية الديمقراطية يمكن ان تسبق الثورة الاشتراكية ثورة برجوازية ديمقراطية او ثورة تحرر وطنى تتحول ، لدى توافر الظروف المؤاتية ، الى ثورة اشتراكية . كما طرح لينين كذلك فكرة امكانية **التطور الاشتراكي** للبلدان مما قبل البرجوازية لدى وجود اشتراكية منتصرة فى بلدان اخرى .

زعيم شيوعيى العالم بأسره

ان لينين هو **مؤسس الحزب الشيوعى الثورى** . فقد كان يعتبر ان الحزب بالذات ، بوصفه اكثر فصائل الطبقة العاملة وعيا واكثرها تنظيما ، هو الذى يسلحها بالنظرية الثورية الطليعية وباستراتيجية وتكتيك الحركة الثورية . فتحت قيادة حزب الشيوعيين قضى عمال وفلاحو روسيا على الرأسمالية وانشأوا اول دولة اشتراكية فى العالم .

لم يكن لينين زعيما للطبقة العاملة الروسية فحسب بل وزعيما لكادحى العالم بأسره . وقد اكد ، لدى فضحه الجوهر الخيانى للاشتراكية-الاصلاحية ، الطابع الاممى للحركة الشيوعيه ، وعمل على تلاحم القوى الشيوعية على النطاق العالمى .

وتحت تأثير انتصار ثورة اكتوبر فى روسيا عام ١٩١٧ اخذت تولد وتتقوى مجموعات واحزاب شيوعية جديدة التأمت من ٢ الى ٦ آذار (مارس) ١٩١٩ فى موسكو ، فى عاصمة الدولة الاشتراكية الفتية ، فى المؤتمر الاول (التأسيسى) للاممية الثالثة التى لعبت دورا مرموقا فى تطوير الحركة الشيوعية العالمية . لقد وحدت الاممية الثالثة قوى شيوعيى العالم على الاساس الفكرى للماركسية-اللينينية ، ووضعت استراتيجية وتكتيك الحركة

العمالية فى الظروف التاريخية الجديدة ، وساعدت فى قيام وتطوير الاحزاب الشيوعية الفتية مغنية اياها بتجربة النضال الثورى ، وخاضت نضالا لا يعرف الكلل ضد الانتهازية بجميع اشكالها والوانها . ومارست الاممية الشيوعية تأثيرا على حركة التحرر الوطنى وعلى نضال الجماهير الشعبية الواسعة من اجل الديمقراطية ، ووقفت وسط نضال الشعوب فى سبيل السلم . وكان يعرف لينين ويحترمه احتراما عميقا قادة الاحزاب الشيوعية والعمالية المنضمة الى الاممية الشيوعية .

مناضل فى سبيل نقاوة الماركسية

اضحى اسم لينين رمزا للثورات البروليتارية ، وللاشتراكية والتقدم ، رمزا لتحويل العالم على اسس شيوعية . **ان اللينينية هى تعليم عميق الاممية ، هى ماركسية العصر الراهن .**

كان لينين يناضل دون كلل فى سبيل نقاوة النظرية الماركسية ، ضد الايديولوجيا البرجوازية واعوانها ، وضد الانتهازية والتحريفية اللتين تشوهان وتزيفان الماركسية فى محاولتهما استخدامها لصالح البرجوازية .

ولعب نضال لينين ضد التيارين المعادين للماركسية — الانتهازية اليمينية والانتهازية اليسارية — دورا هائلا فى تطوير نظرية وممارسة الشيوعية العلمية .

وصف لينين الانتهازية اليمينية ، او التحريفية ، بانها «اصلاحية برجوازية صغيرة ، اى الاستخذاء للبرجوازية المستور بالجمل الديمقراطية و«الاشتراكية»-الديموقراطية المنافقة والتمنيات العاجزة» * . ان الانتهازية تجرد الماركسية من جوهرها الثورى مستعيضة عنها بافكار الاصلاحية البرجوازية . وترفض الانتهازية التعاليم الماركسية بصدد الطبقات والنضال الطبقى والثورة الاشتراكية وتحرّف التعاليم الماركسية عن الحزب وعن

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٤ ، ص ١٠١ .

طرق بناء الاشتراكية . ومما زاد فى خطر الانتهازية انها انتشرت فى مطلع القرن العشرين فى جميع الاحزاب العمالية الاشتراكية .

اما الانتهازية اليسارية فهى ، خلافا لليمينيـــة ، لا تبشر بالافكار الاصلاحية . بل على العكس ، فانها تتستر بالجملـــة الثورية ، وقلما تهتم بتحليل الظروف التاريخيـــة ولا تأخذ بالحسبان النسبة الواقعية للقوى الطبقية .

رغم التناقض الظاهرى يوجد ثمة كثير من الامور المشتركة بين الانتهازية اليمينية واليسارية : نفس الجوهر الطبقى البرجوازى الصغير ، والعداء للماركسية والحركة العمالية الثوريـة . ان اصلاحية اليمينيين ، وبنفس القدر الثورية المتطرفة التى هى فى الجوهر روح المغامرات لدى اليساريين ، وغياب الروح التنظيمية البروليتارية والانضباط لدى هؤلاء واولئك يلحقان ضررا فادحا بقضية الثورة ، بقضية الاشتراكية ، اذ انهما يحكمان عـــلى الكادحين عن قصد بالاستسلام امام البرجوازية ، بالهزيمة .

ان تجربة النضال اللينينى ضد الانتهازية تسلح الشيوعيين فى ايامنا هذه ايضا فى نضالهم ضد الانتهازية المعاصرة .

ان نظرية الشيوعية العلمية تعبر بدأب ومثابرة عن مصالح الطبقة العاملة وجميع الشغيلة . وهى تتطور فى نضال لا هوادة فيه ضد الايديولوجيا البرجوازية وبالدرجة الاولى ايديولوجيا **معاداة الشيوعية** الـتى غدت السلاح الفكرى السياسى الاساسى للامبريالية . فالافتراء على الاشتراكية وتزوير سياسة واهداف الاحزاب الشيوعية وتعاليم الماركسيـة-اللينينية – ذلك هـو

المحتوى الرئيسى لمعاداة الشيوعية . وتستخدم البرجوازيـــة اموالا طائلة فى مكافحتها لافكار الشيوعية ، بيد ان الحياة نفسها تبرهن على جاذبية هذه الافكار . ان مزيدا ومزيدا مـن الناس الشرفاء فى العالم يطمحون الى معرفة واستيعاب افكار الشيوعية العلمية .

الفصل الثانى

طابع العصر الراهن . تحول نظام الاشتراكية الى عامل حاسم للتطور العالمى

ان الاشتراكية اليوم ليست علما ، نظرية ، فحسب ، انها مجتمع فعلى اقيم ويقام على مساحات شاسعة من الكرة الارضية ، فى الاتحاد السوفييتى وعدد من البلدان الاخرى . والعصر الذى نعيش فيه هو بالذات عصر انتقال البشرية من الرأسمالية الى الاشتراكية .

١ - طابع العصر الراهن

يمثل المجتمع البشرى بالاجمال ، فى كل مرحلة تاريخية معينة من تطوره ، لوحة معقدة للغاية من تشابك وتفاعل ونضال مختلف التشكيلات والانماط الاجتماعية-الاقتصادية ، ومختلف الطبقات والفئات الاجتماعية ، والامم والدول . لنأخذ على سبيل المثال البشرية المعاصرة . ان ثلثها يبنى الاشتراكية والشيوعية ، بينما ثلثاها الآخران يعيشان فى بلدان لاشتراكية . ويوجد بينها بلدان ذات رأسمالية متطورة - امبريالية ، وبلدان نالت استقلالها الوطنى ، وبلدان موجودة فى المرحلة ما قبل الرأسمالية من تطورها ، الخ . . ان حالة **المجتمع ككل** فى مرحلة تاريخية معينة من تطوره هى التى يعبر عنها بمفهوم «العصر» .

ان مفهوم العصر يشمل تعدد ظواهر التاريخ البشرى . وكان لينين يميز فى كل عصر بين «النموذجى» و«المغاير» ، علما بانه

كان يولى دائما اهتماما خاصا لتحليل النموذجى . ان الكشف عن هذا النموذجى ، **الرئيسى والاساسى موضوعيا** فى الظواهر التاريخية ، اى تحديد **الاتجاه** المهيمن لتطور البشرية فى مرحلة معينة والاشارة الى **الطبقة المعبرة** عن هذا الاتجاه والحاملة له ، يعنى تعيين العصر التاريخى الملموس تعيينا صحيحا . وكتب لينين : «لا يمكننا ان نعرف باى سرعة وباى نجاح سوف تتطور حركات تاريخية منفردة للعصر المعنى . ولكنه يمكننا ان نعرف ونحن نعرف **اية طبقة** تقف فى مركز هذا العصر او ذلك وتحدد محتواه الرئيسى والاتجاه الرئيسى لتطوره وخواص الوضع التاريخى الرئيسية للعصر الراهن . . .» * .

المضمون الاساسى للعصر الراهن

لم يستطع ايديولوجيو البرجوازية ، المحصورون ضمن مصالحهم الطبقية والذين لا يملكون اسلوبا علميا فى المعرفة ، ان يفهموا كنه تنوع وتعقد الاحداث الاجتماعية لزماننا . فبعضهم يقول ان تحديد طابع عصرنا وتعيين اتجاه سير البشرية المعاصرة امر مستحيل لان الاحداث الاجتماعية متقلبة لا تقبل التحديد ، كما يزعمون ، ولا تخضع لاى تقييم موضوعى او غير متحيز .

ويحاول فريق آخر من علماء الاجتماع البرجوازيين البرهنة على ان طابع العصر الراهن يتحدد بالاكتشافات التكنيكية ، وفى الدرجة الاولى ، باكتشاف الطاقة الذرية . ويضع هؤلاء العلماء فى مركز صدارة العصر الراهن . . . القنبلة الذرية لا اكثر ولا اقل ، اما العصر نفسه فيطلقون عليه تسمية «قرن التكنيك» ، «القرن الذرى» ، «قرن القنبلة الذرية» . والحال ان تطور المجتمع لا يمكن نسبه الى التكنيك والاكتشافات التكنيكية فقط رغم انها تلعب ، وخاصة فى ظروف الثورة العلمية التكنيكية المعاصرة ، دورا هائلا فى تطور المجتمع . بيد ان التكنيك يمارس تأثيره على

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٦ ، ص ١٤٢ .

العملية التاريخية لا بحد ذاته بل من خلال علاقات الانتاج السائدة فى المجتمع . فهذه العلاقات والقوى الطبقية التى تقف وراءها هى التى يجب ان تؤخذ بالحسبان لدى تحليل العصر الراهن .

واستطاعت الماركسية-اللينينية ، بفضل دراسة قوانين تطور المجتمع ان تكشف طابع العصر الراهن . وكتب لينين ان مضمون العصر الجديد للتاريخ العالمى الذى بدأ هو «القضاء على الرأسمالية وآثارها ، وارساء اسس النظام الشيوعى . . .» * . وكان لينين يعتبر **الطبقة العاملة العالمية** ، بحق ، حاملة لواء هذا العصر الجديد ، وربط بدايته بثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى التى اقامت دكتاتورية هذه الطبقة لاول مرة فى العالم . وكان لينين على قناعة بان شعوبا ودولا جديدة وجديدة سوف تلج تدريجيا طريق التطور الاشتراكى .

وحظى التعريف اللينينى للعصر الراهن بتطور شامل لاحقا فى برنامج الحزب الشيوعى السوفييتى . وقد جاء فى هذا البرنامج : «ان العصر الراهن ، ومضمونه الاساسى الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، هو عصر النضال بين النظامين الاجتماعيين المتضادين ، عصر الثورات الاشتراكية والثورات الوطنية التحررية ، عصر انهيار الامبريالية وتصفية النظام الاستعمارى ، عصر انتقال شعوب جديدة وجديدة الى طريق الاشتراكية ، عصر انتصار الاشتراكية والشيوعية على نطاق العالم كله . وفى مركز العصر الراهن ، تقف الطبقة العاملة العالمية ووليدها الرئيسى – نظام الاشتراكية العالمى» .

ان هذا التعريف للعصر الراهن يؤكده مجمل سير تطور البشرية المعاصرة وممارسة نضال الشعوب الثورى التحررى . وهو يعكس الاحداث الحاسمة فى زماننا – انتصار الثورة الاشتراكية فى مجموعة كبيرة من البلدان ، وتحول الاشتراكية الى نظام عالمى جبار ، وحالة ازمة الرأسمالية ، وانهيار النظام الاستعمارى .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤١ ، ص ٤٢٥ .

دخل اليوم الذى قامت فيه الثورة الاشتراكية فى روسيا يوم ٢٥ تشرين الاول – اكتوبر (٧ تشرين الثانى – نوفمبر) من عام ١٩١٧ ، دخل التاريخ باعتباره فاتحة عصر الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية .

لقد كان اكتساب الحق فى بناء المجتمع الجديد امرا صعبا للغاية . ان النضال العصيب ضد الحكم المطلق والملاكين العقاريين والرأسماليين قد ذهب بارواح العديد من خيرة ابناء شعب روسيا الكادح . وبذل حزب الشيوعيين الكثير من القوى والجهود من اجل رص صفوف الطبقة العاملة وجميع الكادحين وتنظيمهم وقيادتهم فى النضال ضد النظام الاستغلالى . واجتاز العمال والفلاحون فى روسيا مدرسة النضال القاسية قبل ان يحققوا الثورة بقيادة الحزب . وكلفهم قدرا اكبر ايضا من الجهود والتضحيات البالغة الذود عن اعظم انجازات ثورة اكتوبر ، الذود عن اول دولة للشغيلة فى العالم .

ان ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى لم تقم فقط بالاطاحة بنظام الاستغلال والاضطهاد وارساء بداية التحرر الاقتصادى والاجتماعى والسياسى للجماهير الشعبية وانتشال البلاد من لجة الحرب العالمية الاولى ، بل وهزت عالم الرأسمالية من جذوره ايضا .

فثورة اكتوبر ، التى انتصرت فى بلد واحد ، مارست مع ذلك تأثيرا حاسما على مجمل سير التاريخ العالمى . فقد طرحت وحلت بنجاح عددا من القضايا الاجتماعية التى لا تزال فى ايامنا هذه ايضا تمثل امام الجماهير الكادحة للبلدان غير الاشتراكية ، وكانت بمثابة تأكيد عملى لصواب الماركسية-اللينينية ، واغنت الطبقة العاملة وكادحى جميع البلدان بتجربة لا تقدر بثمن ، تجربة النضال ضد الرأسمالية ، **ومهدت امام البشرية الطريق الى المجتمع الجديد ، الاشتراكى** . ووضعت ثورة اكتوبر حدا لسيطرة الرأسمالية سيطرة مطلقة على الارض ، وشطرت العالم الى نظامين متعارضين – الرأسمالى والاشتراكى .

وبانتصار ثورة اكتوبر دخلت الرأسمالية مرحلة الازمة العامة التى ترتبط بتفاقم جميع تناقضاتها وبتقلص دائرة الاستغلال الرأسمالى . واتسعت امكانيات النضال الثورى لكادحى العالم بأسره وحركات التحرر الوطني اذ وجدوا فى شخص اول دولة للطبقة العاملة حليفا جبارا ومساعدا مأمونا .

وكان انتصار ثورة اكتوبر فى روسيا حافزا جبارا لتطور الحركة العمالية العالمية . فبفعل تأثيرها المباشر هب كادحو العديد من البلدان فى مختلف اصقاع الكرة الارضية الى النضال ضد المستغلين . واندلعت الثورات فى المانيا والنمسا-المجر وغيرهما من البلدان ، وانتشرت النضالات الثورية الجماهيرية لبروليتاريى اوروبا واميركا .

وسيرا على مثال الحزب الذى انشأه لينين وتحت تأثير انتصاره انبثقت عشرات الاحزاب الماركسية فى اوروبا وآسيا وافريقيا واميركا التى توحدت تنظيميا وفكريا فى الاممية الثالثة ، الاممية الشيوعية . لقد ارست هذه الاممية بداية الحركة الشيوعية والعمالية المعاصرة وكانت بالنسبة لشيوعيى العالم بأسره مدرسة ممتازة للنضال الثورى ضد البرجوازية .

وايقظت ثورة اكتوبر شعوب البلدان المستعمرة والتابعة التى اجتاحتها موجة عارمة من ثورات التحرر الوطنى . وبهذا بالذات وضعت بداية انهيار النظام الاستعمارى للامبريالية وهيئت المقدمات من اجل تحرر الشعوب المضطهدة تحررا تاما .

وعليه ، فنتيجة لثورة اكتوبر الاشتراكية او تحت تأثيرها المباشر تتكون **القوى الثورية الاساسية لعصرنا الراهن** ، وأرسيت ، وهذا الاهم ، بداية توحدها فى عملية ثورية عالمية واحدة تنسف وتهدم الامبريالية .

العملية الثورية العالمية وقواها المحركة الاساسية

ان العملية الثورية العالمية المعاصرة – عملية انتقال البشرية من الرأسمالية الى الاشتراكية – هى بمثابة **تيار موحد** للنضال ضد الامبريالية تصب **فيه** :

جهود شعوب النظام الاشتراكى التى تبنى الاشتراكية والشيوعية ؛

الحركة الثورية للطبقة العاملة فى بلدان الرأسمال ؛

حركة التحرر الوطنى ونضال الشعوب المضطهدة ضد الاستعمار وفى سبيل السيادة الوطنية والاستقلال الاقتصادى والتقدم الاجتماعى .

وتشترك فى كل حركة من هذه الحركات طبقات وفئات اجتماعية محددة ، وتحل كل واحدة منها مهماتها الملموسة وتستخدم من اجل حلها طرقا ووسائل خاصة بها ، الا انها تعمل جميعا على نسف دعائم الامبريالية ، وتمهد امام البشرية ، الى هذا الحد او ذاك ، الطريق نحو المستقبل الشيوعى السعيد . **ففى وحدة القوى الثورية لعصرنا ضمانة نجاح القضية العظيمة ، قضية السلم والتقدم والاشتراكية .**

ان **شعوب بلدان النظام الاشتراكى** تبنى الاشتراكية والشيوعية عارضة فى الممارسة افضليات النظام الجديد . وهى تقف بوجه الامبريالية وتذود عن السلام والاشتراكية والتقدم الاجتماعى .

والطبقة العاملة للبلدان الرأسمالية ، باستفادتها من الظروف العالمية والداخلية الملائمة (تغيُّر تناسب القوى على الصعيد العالمى لصالح الاشتراكية ، الاستياء العميق لدى الجماهير الشعبية الواسعة من الواقع الرأسمالى ، الخ .) ، توسع النضال ضد تسلط الاحتكارات الاقتصادى والسياسى وفى سبيل اجراء تحويلات اجتماعية واسعة .

وشعوب البلدان التى تحررت من النير الاستعمارى تناضل بعناد فى سبيل تعزيز الاستقلال السياسى والاقتصادى ، ومن اجل الازدهار والتقدم الاجتماعى ، حارمة الامبريالية من اهم مصادر الخامات والايدى العاملة واسواق التصريف ورؤوس الجسور الحربية ومصادر «طعام المدافع» . كما انها تساعد على تعجيل عملية هلاك الرأسمالية ، وعملية تقدم البشرية نحو الاشتراكية .

٢ – نشوء وتطور نظام الاشتراكية العالمى

نشوء نظام الاشتراكية العالمى

نشأت الدولة الاشتراكية الاولى فى العالم ، كما سبق القول ، بنتيجة ثورة اكتوبر فى روسيا عام ١٩١٧ . وفى عام ١٩٢١ نشأت جمهورية منغوليا الشعبية التى سارت ، بمساعدة شعوب الاتحاد السوفييتى ، فى طريق التطور الاشتراكي . وبعد الحرب العالمية الثانية انفصل عن نظام الرأسمالية عدد من بلدان اوروبا الوسطى والجنوبية الشرقية وآسيا تخلصت شعوبها ، فى اعقاب النضال العنيد والثورة ، من سيطرة الرأسمالية وولجت طريق بناء الاشتراكية . وفى وقت لاحق اشتعلت اول منارة للاشتراكية فى النصف الغربى من الكرة الارضية : لقد غدت جمهورية كوبا ايضا عضوا فى الاسرة الاشتراكية . ويضم نظام الاشتراكية العالمى حاليا خمس عشرة دولة كبيرة وصغيرة تمتد على مساحات شاسعة من اوروبا وآسيا واميركا اللاتينية . وخلال مهلة قصيرة تحولت اكثريتها الى دول متطورة ذات صناعة عصرية وحققت ارتفاعا هاما فى مستوى معيشة الشغيلة وتقدما سريعا للعلم والثقافة .

ان الطريق نحو الاشتراكية مفتوحة الآن ، فى عصر النمو الصاعد للقوى الاشتراكية ، امام اى بلد بغض النظر عن مستوى تطوره ، وموقعه الجغرافى ، ومساحة اراضيه ، وعدد سكانه . وحاليا تعلن شعوب عدد من بلدان آسيا وافريقيا ، متحررة من السيطرة الاستعمارية ، عن عزمها على السير فى طريق السلم والتقدم ، فى طريق الاشتراكية .

طراز جديد للعلاقات بين الدول

ان نظام الاشتراكية العالمى هو عبارة عن اسرة اجتماعية واقتصادية وسياسية لشعوب حرة ، سيدة ، توحدها جامعة المصالح والاهداف والعرى الوثيقة للتضامن الاشتراكى العالمى .

انها طراز جديد نوعيا للعلاقات الاقتصادية والسياسية بين الدول تكوّن على اساس الوحدة العميقة لمصالحها الاقتصادية والسياسية والفكرية . وتعتبر الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج الاساسى الاقتصادى للاسرة الاشتراكية . وتشكل اساسها السياسى سلطة الشعب برئاسة الطبقة العاملة واحزابها الماركسية . اما اساسها الايديولوجى فهو العقيدة الماركسية اللينينية .

والمبادئ الاساسية للعلاقات بين البلدان الاشتراكية هى المساواة التامة فى الحقوق للدول كبيرها وصغيرها ، وعدم التدخل فى الشؤون الداخلية لبعضها البعض ، واحترام السيادة الوطنية وحرمة الاراضى ، والمساعدة الاقتصادية المتبادلة ، والتعاون الوثيق فى كافة ميادين الحياة الاجتماعية .

ففى الميدان **الاقتصادى** تساعد بلدان الاشتراكية احدها الآخر بشتى الوسائل فى انشاء صناعة عصرية ، وفى بلوغ وتائر عالية لنمو الاقتصاد ، وفى تحسين الرفاه المادى والمستوى الثقافى للشغيلة ، وفى اعداد الاخصائيين والعاملين فى الحقول العلمية .

وتطور بين بلدان النظام الاشتراكى التعاون الانتاجى المباشر الذى ينعكس فى

تعاون الانتاج ، والتى يجرى تحقيقها على اساس الطوعية التامة والمساواة . ويقوم التعاون الانتاجى المباشر سواء على اساس الاتفاقيات الثنائية ام المتعددة الاطراف من خلال مجلس التعاون الاقتصادى الذى تأسس عام ١٩٤٩ ، وهو منظمة اقتصادية عالمية لبلدان الاشتراكية . وتعمل بلدان مجلس التعاون الاقتصادى حاليا على تنفيذ برنامج طويل الامد للتكامل الاقتصادى الاشتراكى . ويساعد التعاون الاقتصادى للبلدان الاشتراكية على الاستخدام الامثل لمواردها من الخامات والطاقة . مثلا ، تم بالجهود المشتركة للاتحاد السوفييتى وتشيكوسلوفاكيا وبولونيا والمجر وجمهورية المانيا الديموقراطية مد وتشغيل خط انابيب النفط الهائل «دروجبا» («الصداقة») الذى يمتد على مسافة ٤,٥ آلاف كيلومتر من نهر الفولغا ، حيث يستخرج النفط ، حتى جمهورية المانيا الديموقراطية . كما انشئت وتعمل منظومة

«مير» («السلام») الموحدة للطاقة ، والتى تستفيد منها عدة بلدان فى اوروبا . ويجرى بصورة مشتركـة بناء مؤسسات لاستخراج واستخدام الثروات الطبيعية . ويزداد التبادل البضاعى على الدوام بين البلدان الاشتراكية .

ويتسع نطاق التعاون العلمى التكنيكى للبلدان الاشتراكية اتساعا متزايدا باستمرار . وينتشر التعاون بين معاهد البحث العلمى ، واعداد وتدريب الاخصائيين ورجال العلم مـن بعض البلدان فى بلدان اخرى توجد فيها اكثر الظروف ملاءمة من اجل ذلك . ويتيح التعاون العلمى التكنيكى تعجيل وتائر الابحاث العلمية والاستخدام الامثل للكوادر العلمية التكنيكية والمعدات .

ويتسـع التعاون **السياسى والايديولوجـى** بين البلدان الاشتراكية الذى يتيح وضع نهج مشترك فى حل اهم المسائـل الاجتماعية فى الحياة الدولية والداخلية على حد سواء ، وخوض نضال مشترك ضد الرجعية الامبريالية وفى سبيـل السلـم والاشتراكية والتقدم الاجتماعى وضد الايديولوجيا البرجوازيـة والتحريفية . ويساعد على ذلك تبادل الوفود الحكومية والحزبية ، والمباحثات الودية ، وتبادل المعلومات ، وعقد الاجتماعات حول مختلف القضايا .

ويتسم **التعاون العسكرى** بين البلدان الاشتراكية بأهميـة كبيرة ، مما ينعكس فى مواصلة تعزيز واستكمال منظمة معاهدة وارسو التى تُعتبر درعا امينا يحمى مكتسبات شعوب البلدان الاشتراكية .

وتحقق بلدان الاسرة الاشتراكية ايضا تعاونا **ثقافيا** واسعا ، مما يساعد على تطوير كل من الثقافات الوطنية واغناء بعضهـا البعض .

توطيد الوحدة اكبر مهمة

تشكل **مواصلة توطيد وحدة النظام الاشتراكى العالمى على اساس الاممية البروليتارية** شرطا الزاميا للنجاحات اللاحقة لبلدان

الاشتراكية . وهذه الوحدة تتنافى مع النزعة القومية الضيقة وشوفينية الدولة العظمى التى تلحق الضرر بالمصالح العامة للاسرة الاشتراكية وبمصالح الحركة الشيوعية العالمية .

ان تكوين وتطوير الاسرة الاشتراكية هما عملية مديدة ومعقدة . انها معقدة لان الاسرة الاشتراكية تضم بلدانا تختلف من حيث مستوى تطور الاقتصاد والحياة الاجتماعية والثقافة والماضى التاريخى وتقاليد وعادات شعوبها . وانها معقدة كذلك لان الحديث يدور هنا حول تكوين تلك العلاقات بين البلدان التى لم يعرفها تاريخ البشرية من قبل ، وكل جديد ومجهول صعب ومعقد . وفى العلاقات بين البلدان الاشتراكية تنشأ تناقضات احيانا وتنهض مسائل معقدة جديدة تولدها الحياة الواقعية بكل تعقدها وتنوعها . ويجرى حل هذه المسائل على اساس الماركسية-اللينينية الخلاق وعن طريق تبادل التجربة والآراء .

ويتواصل تكوين العلاقات الدولية الاشتراكية . وارسى اساس متين لاسرة البلدان الاشتراكية ، وانشئت مختلف اشكال تعاونها ومساعدتها المتبادلة ، واكتنزت خبرة ثرة لاعمالها المشتركة على الصعيد العالمى .

ان الاخلاص للماركسية-اللينينية وللاممية البروليتارية يضمن التطور الناجح للاسرة الاشتراكية العالمية وازدياد تأثيرها على سير الاحداث الدولية . كما ان التراجع عن الماركسية-اللينينية وعن الاممية البروليتارية يجر وراءه عواقب وخيمة بالنسبة لقضية الاشتراكية وبالنسبة للمصالح الوطنية الحقيقية للشعوب .

٣ – القوة الجبارة للتطور العالمى

التناقض الاساسى للعصر

تواجه قوى الاشتراكية قوى الرأسمالية العالمية . **ان التناقض بين النظامين الاجتماعيين المتعارضين هو التناقض الاساسى للعصر الراهن .**

وتجدر الاشارة بالدرجة الاولى الى ان التناقض بين العمل والرأسمال ، بين الطبقة العاملة والبرجوازية كان ولا يزال التناقض **الطبقى** الاساسى للنظام الرأسمالى . والتناقض بين النظامين الاجتماعيين المتعارضين هو **استمرار للتناقض بين العمل والرأسمال ، بين الطبقة العاملة والبرجوازية** . وفى هذا بالذات يكمن **الجوهر الطبقى** ، السمة المميزة الاكثر اهمية للتناقض الاساسى لعصرنا الراهن .

ويمارس التناقض بين الاشتراكية والامبريالية **تأثيرا هائلا على مجمل سير التطور العالمى** . وان وجود مجموعة كبيرة من البلدان فى العالم ، التى تحررت من النير الاستعمارى ولم تحدد بعد طريقها بوضوح كاف ، لا يغير الاستنتاج حول شمولية التناقض الاساسى للعصر .

ويرتدى التناقض بين النظامين الاجتماعيين المتعارضين **طابعا متحركا ، ديناميكيا** ، علما بانه (وفى هذا تكمن اهم خاصة اخرى من خصائصه) بمقدار ما يتقدم الزمن بمقدار ما يتغير تناسب القوى على الصعيد العالمى لصالح قوى الاشتراكية وبما يلحق الضرر بالقوى الامبريالية . وتغير نسبة القوى لصالح الاشتراكية يشترطه توطد وتطور النظام الاشتراكى العالمى وازدياد جبروته الاقتصادى والعسكرى ؛ وتعمق الازمة العامة للرأسمالية العالمية وتفاقم جميع تناقضاتها ؛ ونهوض الحركة الشيوعية والعمالية العالمية ؛ ونهوض حركة التحرر الوطنى وتداعى النظام الاستعمارى للامبريالية ؛ والانتشار الجماهيرى للحركات الديمقراطية ، وبالدرجة الاولى نضال الشعوب فى سبيل السلم . ويعتبر نظام الاشتراكية العالمى مركز جاذبية جميع القوى الثورية للعصر

الراهن ، ففى نظام الاشتراكيــة العالمى بالذات اكتسبت هذه القوى الثورية اعظم قاعدة مادية وسياسية وروحية تساعد على نجاح نضالها .

ان القوى المناضلة ضد الامبريالية وفى سبيل السلم والاشتراكية والتقدم الاجتماعى ، وبالدرجة الاولى **نظام الاشتراكية العالمى ، هى التى تحدد اليوم الاتجاه الرئيسى والمحتوى الرئيسى والميزات الرئيسية للعملية العالمية .**

فلم يعد بالامكان فى الوقت الحاضر حل اية قضية هامة ، مهما كانت ، من قضايا التطور الاجتماعــى حلا ناجحــا بدون المشاركة الفعالة من جانب نظام الاشتراكية العالمى . فضلا عن انه ، بمقدار تكاثر النجاحات اللاحقة لنظام الاشتراكية العالمى يبرز دوره بقوة متعاظمة على الدوام فى الحيــاة الاقتصاديــة والسياسية والفكرية للبشرية .

الا ان ذلك لا يعنى ابدا ان نظام الرأسمالية العالمى ينبغى اسقاطه من الحساب بوجه عام . فالامبريالية تملك قوة اقتصادية وسياسية وعسكرية كبيرة لا تزال تتيح لها التدخل فى شؤون مختلف الشعوب والدول وفرض الانظمة الرجعية عليها وقمع قوى الثورة والتقدم . بيد ان الواقع يقنع بان الامبريالية عاجزة ، مهما كانت الاساليب والوسائل التى تلجأ اليها ، عن ايقاف مسيرة التقدم التاريخى والنفوذ المتعاظم ابدا للنظام الاشتراكى العالمى .

قوة المثال التثويرية

يتجلى تأثير نظام الاشتراكيــة العالمى على سيــر التطور العالمى ، بالدرجة الاولى ، فى انه **يعمل بقوة مثاله على تثويــر** العالم ويساعد تقدم البشرية نحو المستقبل الاشتراكى . وقد قال لينين : «ان الاشتراكية تملك قوة المثال . . . . يجــب تبيان اهمية الشيوعية عمليا ، بالمثال» * .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٢ ، ص ٧٥ .

ان الاشتراكية تقدم لشعوب العالم مثالا رائعا على تصفية الاستغلال وشتى انواع الاضطهاد ، والتغلب على التخلف الاقتصادى والثقافى ، مثال التنظيم الديمقراطى حقا للمجتمع وتهيئة الظروف من اجل تأمين معيشة الكادحين ، مثال حل المسألة القومية وحل المسألة الزراعية لصالح الفلاحين الكادحين ، مثال اقامة صداقة حقيقية وروح رفاقية بين الناس ، بين الشعوب ، مثال ضمان السلم وتوطيده .

وعلى الرغم من الظروف غير المؤاتية للغاية ، التى باشر فيها الاتحاد السوفييتى المباراة مع الرأسمالية فى المضمار الاقتصادى (التخلف فى التطور الاقتصادى ، الخراب الذى خلفته الحرب العالمية الاولى والحرب الاهلية ، الحصار الاقتصادى) ، تم بجهود الشعب السوفييتى بأسره التغلب على تخلف الاتحاد السوفييتى اقتصاديا عن البلدان الرأسمالية المتطورة . فبينما كانت حصة روسيا السوفييتية فى الانتاج الصناعى العالمى عام ١٩١٧ تبلغ ما يزيد قليلا عن ٤٪ ، فقد اعطت صناعة الاتحاد السوفييتى عام ١٩٧٨ خمس الانتاج الصناعى العالمى . ومن الهام بمكان التنويه بان هذه النجاحات تم احرازها لا عن طريق استغلال ونهب شعبه وشعوب اخرى ، كما حدث ذلك فى جملة من البلدان الرأسمالية ، بل بنتيجة العمل المتفانى للشعب والاستفادة من افضليات التسيير الاشتراكى للاقتصاد .

واحرزت البلدان الاشتراكية الاخرى ايضا نجاحات هامة فى البناء الاقتصادى .

ان الاشتراكية مثال ساطع بالنسبة لشعوب العالم فى حل المسائل **الاجتماعية السياسية** . وفى واقع الحال ، اين وفى ظل اى نظام اجتماعى آخر يتم بلوغ المساواة السياسية بين جميع اعضاء المجتمع حيث يتمتع كل واحد منهم ، باعتباره مالكا بالاشتراك مع غيره لوسائل الانتاج ، بحق المساهمة فى ادارة شؤون المجتمع ، ويحق له ان يَنتخب ويُنتخب الى هيئات السلطة ؟ واين فى ظل اى نظام اجتماعى آخر يمكن حل **المسألة الفلاحية** المزمنة والتوصل الى جعل المزارع يكدح فى الارض من اجل مصالحه الخاصة ومصالح المجتمع ؟ واين وفى ظل اى نظام

اجتماعى آخر يمكن حل احدى اعقد مسائل تطور البشرية واكثرها حدة : **المسألة القومية** ، بلوغ المساواة بين مختلف الشعوب ، كبيرها وصغيرها ، واناس من مختلف الوان البشرة ؟

والاشتراكية هى مثال للعالم بأسره فى حقل **البناء الثقافى** ايضا . فروسيا المتخلفة ، مثلا ، حيث كان قرابة ٨٠٪ من السكان اميين ، تحولت الى بلد ذى ثقافة عالية وطليعية . ان الاشتراكية تضع فى خدمة الانسان الكادح كنوز الثقافة الروحية التى لا تحصى . اما فيما يتعلق بالرأسمالية فهى تحرم الجمهور الواسع من الكادحين من فرص الحصول احيانا حتى على التعليم الابتدائى : فحتى فى اغنى بلد رأسمالى - الولايات المتحدة الاميركية - لا يحسن زهاء ١١ مليون مواطن القراءة والكتابة .

صحيح ان الاتحاد السوفييتى لا يزال حتى الآن متخلفا عن البلدان الاكثر تطورا من حيث انتاج المنتجات بالنسبة للفرد الواحد من السكان . بيد انه سيمر وقت وسوف يتم التغلب على هذا التخلف . وبهذا تحرز الاشتراكية الانتصار على الرأسمالية فى الميدان الحاسم للنشاط البشرى - فى ميدان الانتاج المادى . ويقوم الاقتناع بهذا الانتصار على ان الاشتراكية **تسبق الرأسمالية فى وتائر التطور الاقتصادى** . فخلال اعوام ١٩٧١-١٩٧٨ ، مثلا ، كان المعدل السنوى لوتائر نمو الانتاج الصناعى فى البلدان الاعضاء فى مجلس التعاون الاقتصادى اعلى باكثر من مرتين عما كان عليه فى البلدان الرأسمالية المتطورة وبلغت على التوالى ٧,٧٪ و٣,٤٪ . ويحتل الاتحاد السوفييتى حاليا مواقع متقدمة فى الابحاث الفضائية ، والفيزياء النووية ، والرياضيات ، والمعدات الالكترونية واللاسلكية ، والميتالورجيا ، والعتاد الصاروخى ، وبناء الطائرات ، الخ . .

يكون من غير الصحيح ، بالطبع ، الزعم بان تطور الاقتصاد والثقافة فى بلدان الاشتراكية يجرى بدون صعوبات وعلى ما يرام . فان اقامة مجتمع جديد ، ولا سيما اقامة اقتصاد اشتراكى ، وبصورة اولى فى بلدان كانت اكثريتها فى الماضى بلدانا متخلفة ، هو امر معقد للغاية . ومن الطبيعى ان تصادف فى هذه القضية الجديدة والمعقدة نواقص ومصاعب ، وليس مستبعدا وقوع

اخطاء . الا ان شعوب البلدان الاشتراكية بقيادة احزاب الشيوعيين تكتشف الاخطاء وتصححها وتزيل النواقص وتذلل المصاعب وتعمل على ادارة الاقتصاد ومجمل الحياة الاجتماعية على اساس علمى معلل .

الاشتراكية العالمية والحركة العمالية

نتيجة لتغير تناسب القوى على الصعيد العالمى لصالح الاشتراكية **نشأ وضع مؤات بالنسبة لانتشار الحركة الثورية للطبقة العاملة ، لجميع الكادحين فى البلدان الرأسمالية** . ان النظام الاشتراكى يثوّر بقوة مثاله عقول الكادحين ويلهمهم لخوض النضال ضد الرأسمالية وفى سبيل السلم والتقدم الاجتماعى ، ومن اجل انتصار الديمقراطية والاشتراكية . وان الحل الناجح فى بلدان الاشتراكية لمسائل التطور الاقتصادى والسياسى والروحى ، وكذلك استياء اوسع الجماهير الكادحة من السياسة الرجعية للامبريالية ومن وضع الازمة الاقتصادية العميقة والتضخم المالى والبطالة وسباق التسلح ، التى يقع عبئها الاساسى على كواهلها ، يوسعان القاعدة الاجتماعية للحركة العمالية . وبدأ عدد متزايد ابدا من الكادحين – الفلاحين والبرجوازية الصغيرة المدينية وفئة المثقفين التقدميين – يقتنعون بان الثورة الاجتماعية وحدها قادرة على اعتاقهم من نير الامبريالية ، وبانهم يكتسبون فى طريق الاشتراكية فقط سعادتهم الحقيقية .

ويملك الكادحون حاليا ، وهم ينهضون للنضال ، امكانيات واسعة للاعتماد على المساندة الشاملة من جانب شعوب البلدان الاشتراكية . انها المساندة المعنوية – التضامن العميق والاستحسان ، الاعجاب والتعاطف مع النضال البطولى للطبقة العاملة . وهى المساندة المادية المباشرة – تقديم مساعدة مالية وغذائية وغيرهما للعمال المضربين وعائلاتهم وللكادحين المتضررين من جراء تعسف الامبرياليين ، والطوارئ الانتاجية ، والكوارث الطبيعية ، الخ . .

وترفع شعوب البلدان الاشتراكية صوت الاحتجاج الساخط على السياسة الرجعية للاوساط الامبريالية الحاكمة – على ملاحقة الاحزاب الشيوعيــة وسائر المنظمات التقدميــة والشخصيات التقدمية ، وعلى القوانين المعادية للعمال والمعادية للديمقراطية عامة ، وعلى مضايقة الكادحين .

مما لا شك فيه ان مساندة القوى التقدمية وادانـــة قوى الرجعية الامبريالية من جانب نظام الاشتراكية العالمى تمارسان تأثيرا ايجابيا على تطور الحركة العمالية فى البلدان الرأسمالية . وفى هذا يكمن احد الاسباب الهامة للاتساع والتنظيم الكبيريـن اللذين بلغتهما الحركة العمالية فى البلدان الرأسمالية فى العصر الراهن . وتقف فى طليعة الحركة العمالية فى العديد من البلدان الرأسمالية احزاب ماركسية تستفيد استفادة واسعة من خبرة الاحزاب الشيوعية لبلدان الاشتراكية وتتبادل معها دائما الآراء بصدد اهم مسائل الحركة الثورية .

الاشتراكية العالمية وحركة التحرر الوطنى

تُعتبر بلدان الاشتراكية خصما عنيدا للاستعمار ، واوثـق نصير لنضال التحرر الوطنى الذى تخوضه الشعوب المضطهَدة ، نصيرا لتكافؤها الوطنى واستقلال دولها . ان **نظام الاشتراكية العالمى** ، بوقوفه ضد السيــادة الاستعماريـــة للامبرياليـــة وبمساندته الشاملة لنضال الشعوب من اجل الاستقلال ، **يشكل عاملا جبارا لنهوض حركة التحرر الوطنى وانهيار نظام الامبريالية الاستعمارى** .

لقد اقتنعت شعوب افريقيا وآسيا واميركا اللاتينية مـن تجربتها الخاصة بان لها فى شخص الاتحاد السوفييـــتى ونظام الاشتراكية العالمى صديقا وفيا وحليفا موثوقا . وفى حين كان الامبرياليون فى الماضى يستطيعون قمع الحركة التحررية للشعوب المضطهَدة دونما اى عائق فقد اصبحوا مضطرين الآن اكثر فاكثر لان يأخذوا بالحسبان القوة المتعاظمة للاشتراكية العالمية التى

تساعد الشعوب قولا وعملا ، وصولا الى المساعدة المسلحة ، ليس فقط فى احراز الاستقلال بل وفى الذود عنه ، وفى التطور فى طريق السلم والتقدم .

وتساعد الاشتراكية العالمية البلدان المتحررة فى تعزيز قواتها المسلحة الوطنية التى تحمى العمل السلمى للشعوب المتحررة وسيادتها واستقلالها مما يمكّنها من مواجهة العدوان الامبريالى بصورة ناجحة .

ويساعد الاتحاد السوفييتى وسائر البلدان الاشتراكية الدول الفتية ذات السيادة **فى انشاء الاقتصاد الوطنى ، وفى تطوير العلم والتكنيك والتعليم والثقافة** ، فتساعدها بذلك فى التغلب على التخلف الموروث عن الاستعمار وفى تحررها الناجز من نير الاحتكارات الاجنبية . وحسبنا القول ان بلدان مجلس التعاون الاقتصادى تقدم مساعدة اقتصادية وتكنيكية الى اكثر من خمسين دولة نامية .

ولا تكتفى بلدان الاشتراكية بتقديم المساعدة بل وتمول عملية البناء مقدمة الى البلدان النامية تسليفات وقروضا بشروط متهاودة . وتقدم البلدان الاشتراكية للبلدان النامية مساعدة لا تقدر بثمن فى اعداد الكوادر الوطنية فى مجالات الاقتصاد والعلم والثقافة والتكنيك . وتحفز التجارة المتبادلة المنفعة مع البلدان الاشتراكية التنمية الاقتصادية للدول الفتية ذات السيادة .

ان مثال البلدان الاشتراكية ، وبالدرجة الاولى خبرة الاتحاد السوفييتى فى القضاء على التخلف الاقتصادى والثقافى للمناطق القومية وفى ولوجها جادة الاشتراكية متجاوزة مرحلة التطور الرأسمالية ، وكذلك المساعدة الشاملة التى تقدمها البلدان الاشتراكية الى الدول الفتية ذات السيادة ، **تساعدان على تعميق ثورات التحرر الوطنى** . وابان الحل المثابر للمهام الوطنية ينشأ اقتصاد معاصر فى هذه البلدان وتتكون الطبقة العاملة وينمو تلاحمها التنظيمى والفكرى ويحدث تراص القوى التقدمية للامة ، وبهذا تنشأ المقدمات المادية والاجتماعية من اجل **انتقال هذه البلدان الى طريق التطور** الاشتراكي . **وقد اخذ بعض البلدان الآن يتمسك بنهج التوجه الاشتراكى .**

يمارس نظام الاشتراكية العالمى تأثيرا عظيما على حل اهم مسألة فى زماننا – **مسألة الحرب والسلم** . فالنضال من اجل السلم ينبع من ذات طبيعة المجتمع الاشتراكى ، حيث تم القضاء على الاساس الاقتصادى للحروب – الملكية الخاصة ، وحيث لا وجود للقوى الاجتماعية التى لها مصلحة فى شن الحروب وفى نهب واستعباد الشعوب والدول الاخرى . ولهذا بالضبط تخوض البلدان الاشتراكية **نضالا دؤوبا فى سبيل السلم والتعايش السلمى** .

لقد صمتت طلقات الحرب العالمية الثانية منذ زمن بعيد ، بيد انه لا تزال تندلع ، تارة هنا وطورا هناك ، وبنتيجة دسائس الامبرياليين ، بؤر ما يسمى بالحروب المحلية ، الاقليمية ، والتى تنطوى كل واحدة منها على خطر اندلاع حريق حربى عالمى . لذا تسعى البلدان الاشتراكية الى اطفاء هذه البؤر الخطرة فى مهدها ، وهي تتخذ كافة الاجراءات لاجل حسم المسائل المتنازع عليها بين الدول عن طريق المفاوضات . وهو فى الوقت نفسه يساعد الشعوب بكل الوسائل فى صد الهجوم العدوانى من جانب الامبرياليين واعوانهم .

ان نظام الاشتراكية العالمى ، اذ يناضل **بدأب** فى سبيل السلم والتعايش السلمى ، يعتبر فى نفس الوقت **مركز جاذبية لجميع القوى المحبة للسلام على الارض** . وهو يعبئ ويوحد قوى السلام والتقدم ضد قوى الرجعية والحرب ، ويشكل عقبة كأداء فى طريق المطامع العدوانية للامبريالية .

فبنشوء الاشتراكية نشأت لاول مرة فى تاريخ البشرية القوة المادية التى تساعد على حل اهم المسائـــل الدولية بالطرق السلمية .

الفصل الثالث

الرأسمالية المعاصرة والحركة الثورية

الطبقة العاملة المعاصرة ليست طبقة متجانسة : فهى الطبقة العاملة لبلدان الاشتراكية ، وهى الطبقة العاملة لبلدان الرأسمالية ، وهى الطبقة العاملة للبلدان النامية التى تحررت من نير الاستعمار . واحدى الفصائل الهامة والاوفر عددا لجيش العمل العظيم هى الطبقة العاملة للبلدان الرأسمالية التى لا يزال امامها تحقيق رسالتها العظيمة ، رسالة تحرير الانسان . وبما ان نضال فصيلة العمال هذه يجرى فى ظروف الرأسمالية المعاصرة فمن الضرورى تبيان ما الذى تمثله الرأسمالية المعاصرة من وجهة النظر الماركسية .

١ – ازمة الرأسمالية العالمية . الجوهر اللاانسانى للرأسمالية المعاصرة

ان عالم الرأسمالية ، الذى تسود فيه الملكية الخاصة والاستغلال ، يعانى ازمة عامة عميقة هى نتيجة للقوانين الموضوعية الملازمة له ، نتيجة لتطور التناقضات المستعصية الخاصة به . **ان الازمة العامة للرأسمالية** هى حالة تشمل البلدان الرأسمالية كافة ، الرأسمالية العالمية كلها من القاعدة الى القمة : اقتصادها ونظامها الاجتماعى ، سياستها ، ايديولوجيتها وثقافتها . وانه ليغدو اصعب فأصعب على الرأسمالية العالمية

المصابة بالازمة العامة ان تبقى فى فلكها بعض البلدان التى تنفصل عن الرأسمالية الواحد بعد الآخر وتنتقل الى جادة التطور الاشتراكى .

لقد ارسى انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية فى روسيا بداية الازمة العامة للرأسمالية التى لم تستطع ، رغم جميع الجهود التى بذلتها ، ان تعرقل قيام اول دولة اشتراكية فى العالم – الاتحاد السوفييتى . فقد صمدت هذه الدولة الجديدة بوجه جميع هجمات الامبرياليين – الحملات الحربية ، والحصار الاقتصادى ، واعمال التخريب الايديولوجية ، وبرهنت على قابليتها للحياة وعلى قوتها التى لا تقهر .

المرحلة الجديدة ، الثالثة ، للازمة العامة

ان اهم خاصة للمرحلة الحالية لازمة الرأسمالية تكمن فى ان تناسب القوى على الصعيد العالمى تغير جذريا لصالح نظام الاشتراكية العالمى . وفى العالم بأسره يجرى النمو الجبار للقوى المناضلة فى سبيل الاشتراكية والتقدم الاجتماعى . وادى النهوض اللاسابق له لحركة التحرر الوطنى الى انهيار نظام الامبريالية الاستعمارى . ومن الهام الاشارة الى ان هذه المرحلة الجديدة للازمة العامة للرأسمالية نشأت فى ظروف السلم والتعايش السلمى بين دول ذات انظمة اجتماعية متعارضة .

ان الازمة العميقة هى من طبيعة اقتصاد الرأسمالية وسياستها وايديولوجيتها واخلاقها . ففى الاعوام الاخيرة اندلعت الازمة الاقتصادية فى عالم الرأسمالية والتى لا يمكن مقارنة حدتها وعمقها الا بأزمة مطلع الثلاثينات . وقد شملت فى آن معا كل المراكز الاساسية للاقتصاد الرأسمالى العالمى ، علما بان الكلام هنا يدور حول ازمة اقتصاد الدولة الاحتكارية العالى التطور الذى تكوّن بعد الحرب العالمية الثانية . فالتقلص الحاد للانتاج وازدياد البطالة فى اغلبية البلدان الرأسمالية تشابكا مع ازمة النقد والطاقة والخامات . واضفى التضخم المالى ، الذى تسعره

النفقات الحربية المتعاظمة على الدوام ، حدة خاصة على عمليات الازمة . واشتدت المنافسة بين الامبرياليين والخصومات فى «السوق المشتركة» وداخل الناتو . وزاد جبروت الاحتكارات الدولية المتعاظم من حدة المنافسة .

ان الرأسمالية لعاجزة عن ان تستخدم بدرجة كاملة القوة المنتجة الرئيسية – الكادحين ، فتقضى على جمهور العمال بالبطالة وتحرمهم من وسائل العيش . ويستفاد من المعطيات الرسمية لمنظمة الامم المتحدة ان قرابة ١٨ مليون شخص عاطلون عن العمل فى البلدان الرأسمالية المتطورة ، منهم حوالى ٧ ملايين من حصة الولايات المتحدة الاميركية . والانجاز الرائع للعقل البشرى – الاتمتة والمكننة – يتحول فى ظل الرأسمالية الى ضرر ينزل بالانسان الكادح ويبعد ملايين الاشخاص عن الانتاج بدلا من ان يسخَّر لخير الناس .

ان ذلك لا يعنى مطلقا ، بالطبع ، ان الامبريالية قد توقفت فى تقدمها الاقتصادى . فان السعى الى كسب المباراة الاقتصادية مع نظام الاشتراكية العالمى ، ومتطلبات التقدم العلمى التكنيكى المعاصر ، والاهم : النضال التنافسى الحامى الوطيس ، تجبر الامبرياليين على تحسين الانتاج واستخدام احدث منجزات العلم والتكنيك . وليس من وليد الصدفة انه لوحظت فى جملة من البلدان الرأسمالية المتطورة فى بعض سنوات ما بعد الحرب وتائر عالية نسبيا فى تطور الاقتصاد ، الامر الذى ساعدت عليه بدرجة غير قليلة ظروف كضرورة تغيير المعدات القديمة او المدمرة ، وتدفق الرساميل بمقدار هام من الولايات المتحدة الاميركية ، ووجود جيش عرمرم من العمال الاحتياطيين ، الخ . . بيد ان وتائر التطور لا ترتدى طابعا ثابتا ولا تلغى المعاودة الدورية لتطور الانتاج الرأسمالى الذى تتبدل فى ظله فترات النهوض الاقتصادى بفترات انخفاض النشاط الانتاجى .

وفى المرحلة الجديدة من الازمة العامة تبلغ جميع تناقضات الرأسمالية الاخرى ايضا درجة لا مثيل لها من الحدة . فالصراع بين العمل والرأسمال يشتد ، ومصالح الامة تدخل فى نزاع عميق مع المطامع الانانية لحفنة من الاحتكاريين الذين اخضعوا جهاز

الدولة لاغراضهم . ونظرا لتفاوت التطور الاقتصادى والسياسى فى البلدان الرأسمالية تتفاقم التناقضات بين بعض البلدان الرأسمالية واحلافها .

واحدى سمات المرحلة الراهنة للازمة العامة للرأسمالية هى تعمق ازمة **السياسة الداخلية والخارجية** للامبريالية ، الامر الذى ينعكس فى اشتداد السياسة الرجعية فى جميع المجالات ، والتخلى عن الحريات البرجوازية ، واقامة انظمة استبدادية فاشية فى جملة من البلدان .

كما تعانى **الايديولوجيا والاخلاق البرجوازية** حاليا ازمة شديدة للغاية . فالتشاؤم والخوف من المستقبل ، والتصوف وعدم الايمان بالعلم وبقوى الانسان الابداعية ومؤهلاته ، ونفى التقدم ، والافتراء على الشيوعية ، والدفاع عن نظام العبودية المأجورة والظلم المكروه من الشعوب – تلك هى خصائصها المميزة . لقد باتت الايديولوجيا البرجوازية عاجزة منذ زمن بعيد عن طرح افكار قادرة على اجتذاب الجماهير الواسعة ، انها ايديولوجيا طبقة آخذة فى الافول عن مسرح التاريخ . لذا فان افلاسها التام امر لا مفر منه .

فلماذا ، اذن ، لا تزال الرأسمالية قائمة فى جملة كاملة من البلدان ، ولا سيما البلدان العالية التطور ، على الرغم من ان تناقضاتها ، وفى المقام الاول النزاع بين القوى المنتجة وعلاقات الانتاج ، بلغت هذا القدر من الحدة ؟

ان الامر ينحصر فى ان النزاع فى الاسلوب الرأسمالى للانتاج يهيئ **الامكانية** الموضوعية للثورة ، بيد انه تلزم ، لكى تتحول الامكانية الى واقع ، **قوة اجتماعية قادرة على تجسيد هذه الامكانية** ، اى التحالف الثورى بين الطبقة العاملة والجماهير الكادحة غير البروليتارية بقيادة حزب ماركسى . الا ان هذه القوة لم تنضج بعد فى عدد من البلدان . ويعيق نضوجها انشقاق صفوف الطبقة العاملة ، وكذلك المراوغة السياسية من جانب البرجوازية التى تبقى قسما من الكادحين اسيرا للاوهام البرجوازية وتسعى لشراء ذمم قادة العمال وتتخذ جميع التدابير من اجل تلطيف ، تخفيف التناقضات بطريقة ما بين العمل والرأسمال .

كما يعود دور ليس بالاخير فى الحفاظ على الرأسمالية الى الدولة البرجوازية والجهاز الضخم للعنف الجسدى (الجيش ، البوليس ، المحاكم ، السجون) وللتأثير الايديولوجى (المدرسة ، الكنيسة ، الصحافة ، التلفزيون ، الاذاعة الخ .) .

وينبغى ان نضيف ان البلدان الاشتراكية لم تتفوق بعد على البلدان الاكثر تطورا فى الانتاج بالنسبة للفرد الواحد من السكان ، وذلك بسبب ضيق الوقت والتخلف السابق وتعقد ظروف التطور . وبديهى ان بناء المجتمع الجديد فى البلدان الاشتراكية لم يكن بوسعه ان يجرى بدون مصاعب واخطاء معينة ، الامر الذى اخّر ايضا انضمام قسم معين من كادحى العالم غير الاشتراكى الى النضال النشيط فى سبيل الاشتراكية .

التنظيم من قبل الدولة الاحتكارية ، والطبقة العاملة

ان تعمق الازمة العامة للرأسمالية يثير سعى ايديولوجييها وسياسييها الى تزيين واجهة المجتمع الرأسمالى وتمويه جوهره المعادى للانسان . فالرأسمالية ، فى رأيهم ، غيرت طبيعتها ، ويزعمون انه تجرى عملية اندغام الاشتراكية والرأسمالية فى «مجتمع صناعى» واحد ذى مستوى استهلاكى رفيع . واحد الادلة على هذا التقارب بين الرأسمالية والاشتراكية هو ، حسب ادعائهم ، ان المجتمع الرأسمالى المعاصر ، شأنه شأن الاشتراكية ، بات قابلا للادارة كليا ، وان هدف الانتاج الرأسمالى هو الانسان ، هو تأمين «ارفع استهلاك جماهيرى» .

ان القوة الموجهة للرأسمالية هى السوق الرأسمالية ، قوانين المزاحمة . وقد كانت هذه القوى لفترة من الزمن المنظم الوحيد للاقتصاد الرأسمالى . بيد ان تحول الرأسمالية ما قبل الاحتكارية الى رأسمالية احتكارية ودخول الرأسمالية مرحلة الازمة العامة قد افضيا الى ان هذا المنظم بات غير كاف من اجل تأدية وظيفته ، وبصورة اولى من اجل التطور اللاحق

للرأسمالية . واضطرت الاحتكارات الى الاقدام على اسناد وظائف التدخل المباشر فى عملية اعادة الانتاج الرأسمالية ، فى عملية الحياة الاجتماعية ، الى الدولة البرجوازية ، وتحقق الدولة البرجوازية دورها التنظيمى (المبرمج) بالدرجة الاولى فى دائرة فعل ملكية الدولة ، «اقتصاد الدولة» ، الذى يعتبر نتيجة للتأميم الرأسمالى ، وهو عبارة عن **ملكية جماعية** للاحتكارات ليس الا . وتضطلع الدولة بالقيادة المباشرة للمؤسسات العائدة لها ، ولفروع كاملة فى الصناعة والنقل والبنوك وشركات التأمين الخ . .

ان الدور المبرمج للدولة البرجوازية لا ينحصر ، فى نفس الوقت ، ضمن اطارات ملكية الدولة البرجوازية ، وهو يظهر بهذا القدر او ذاك فى كل الاقتصاد والحياة الاجتماعية للرأسمالية . واحد الهموم الرئيسية لهذه الدولة هو السعى الى القضاء ، ولو جزئيا ، على مظاهر الازمة العامة للرأسمالية ، وبالدرجة الاولى ازمات فيض الانتاج . ومن بين اجراءات الدولة البرجوازية لازالة الازمات نذكر : توسيع طلبيات الدولة للاحتكارات ، ولا سيما الطلبيات ذات الطابع الحربى ؛ الاعاقة عمدا لانتاج سلع الاستهلاك الشعبى ، وبهذا تقليص العرض فى السوق ؛ تقديم مساعدة اقتصادية الى الاحتكارات ، وخاصة منح الاحتكارات التى تعانى وضعا ماليا شاقا اعانات مجانية ؛ خلق احتياطيات فائقة المقاييس تابعة للدولة عن طريق شراء البضائع الفائضة من الاحتكارات ، الخ . . ويقع العبء الرئيسى لهذه الاجراءات على كاهل الجماهير الكادحة الواسعة – دافعى الضرائب الذين تتكون من اموالهم فى الاساس ميزانية الدولة التى تستخدمها من اجل تمويل الاجراءات المضادة للازمات . وتضمن للاحتكارات فى الوقت نفسه اعلى الارباح .

وتنسق الدولة برنامج توظيفات رؤوس اموال الحكومة والشركات الخاصة وتشرف على توزيع الطلبيات والخامات الناقصة وعلى سياسة الاسعار ، علما بأنها تعمل ذلك لصالح الاحتكارات ، ولصالحها بالذات تقوم الدولة عن طريق السياسة الضرائبية باعادة توزيع الدخل القومى ، وتوزع التسليفات

والاعانات على تحديث الاعتدة . واكثر فاكثر تضطلع الدولة البرجوازية بدور مؤسس فروع جديدة للانتاج والتكنيك ، وتأخذ على عاتقها مسؤولية المجازفة بتوظيف رؤوس الاموال فى هذه الفروع فى المرحلة الاولى من تطورها التى لا تؤمن للاحتكارات الخاصة ارباحا كافية ، كما تشرف على الانتاج الحربى وعلى اهم الابحاث العلمية .

ويكون من غير الصحيح ، طبعا ، اعتبار برمجة الدولة الاحتكارية تصرفا مصطنعا ما ، او نتيجة لرغبة الاحتكاريين الذاتية . فهذه البرمجة تمليها الحياة نفسها ومتطلبات تطور الانتاج والتكنيك والعلم المعاصرة . وتتطلب الثورة العلمية التكنيكية المعاصرة رفع مستوى تمركز الانتاج ، وتوحيد الموارد المادية والمالية والبشرية ، وتوسيع نطاق اعمال الابحاث والتجارب التى لا يندر ان تكون الاحتكارات الخاصة عاجزة عن تحقيقها بدون مساندة الدولة ومساعدتها . والعامل الاهم ، الذى يحفز التنظيم من قبل الدولة الاحتكارية ، هو «التحدى» الاقتصادى الذى اطلقه نظام الاشتراكية العالمى بوجه الرأسمالية . فمن اجل الصمود فى المباراة الاقتصادية بين النظامين تبحث الدولة البرجوازية عن تدابير لاجل تنشيط الانتاج وزيادة وتائر تطوره .

ولكن ، مهما كان دور الدولة التنظيمى بالغا فى ظل الرأسمالية فهو لا يمت باية صلة ، مع ذلك ، للادارة العلمية للاقتصاد بالاجمال ، وللتخطيط اللذين لا يجمعهما جامع بالملكية الرأسمالية الخاصة . وهو لا يغير جوهر الامبريالية ، ولا يزيل الاستغلال ، ولا يقضى على عنصر السوق والصراع التنافسى وفوضى الانتاج .

وتشهد على ذلك بصورة مقنعة مظاهر كأزمات فيض الانتاج ، والازمات النقدية ، والتضخم المالى ، وازدياد الغلاء فى جملة من البلدان الرأسمالية ، وازمات موازين التجارة والمدفوعات ، وافلاسات البورصة ، والافلاسات الكثيرة العدد ، وتسرب الذهب ، وما شاكل . وتبدّى التنظيم عاجزا عن القضاء على التعطل المزمن لجزء من القدرات الانتاجية وعلى البطالة ، وعن ضمان وتائر ثابتة لنمو الانتاج .

وتضيف رأسمالية الدولة الاحتكارية الى التنظيم الاقتصادى تنظيما اجتماعيا . فالدولة البرجوازية تولى اهتماما خاصا لتنظيم العلاقات بين العمل والرأسمال ، علما بانها تفعل ذلك ، بالطبع ، لصالح الرأسماليين . وتحاول الدولة البرجوازية ، لدى تحقيق التنظيم الاجتماعى ، التوفيق بين امرين يستحيل التوفيق بينهما فى ظل الرأسمالية – الرأسمال والعمل ، وبهذا بالذات الحفاظ على نظام الاستغلال الرأسمالى . وهى تضطر احيانا الى الحد بعض الشىء من مطامع الاحتكاريين المفرطة واجبارهم على التنازل للعمال فى شىء ما ، وبهذا تخفيف او اطفاء النزاعات الفعلية بين العمل والرأسمال . وهى تستخدم على نطاق واسع تكتيك المناورة والديماغوجية الاجتماعية وتجبر الكادحين ، بواسطة جهاز التأثير الايديولوجى ، على العمل من اجل ارباح الاحتكاريين .

ان التنظيم الاقتصادى والاجتماعى لا يحل على الاطلاق تناقضات الرأسمالية المعاصرة ، وخاصة التناقضات بين العمل والرأسمال . بل على العكس ، فان هذه التناقضات تكتسب طابعا يزداد حدة وعمقا .

الرأسمالية ضد الانسان

يزعم ايديولوجيو وساسة الطبقة البرجوازية ان الرأسمالية المعاصرة تتحول الى «رأسمالية شعبية» غايتها الانسان ومتطلباته ، وانها تتقدم نحو مجتمع «الرفاه العميم» و«الاستهلاك العالى» . ولدى ذلك «يتناسون» تدقيق القول نحو اى انسان ونحو اى استهلاك وخير من توجه الرأسمالية عنايتها ؛ فمن المعروف جيدا انه يوجد فى ظل الرأسمالية الانسان المالك لوسائل الانتاج ، البرجوازى ، والانسان الكادح : العامل ، المستخدم ، المزارع ، الفلاح .

ان كبار الملاك هم حفنة ضئيلة من الناس ، ولكنهم الاسياد الحقيقيون للعالم الرأسمالى . ونحوهم بالذات ، نحو رفاههم واستهلاكهم العالى ينصب اهتمام ايديولوجيى البرجوازية .

وتتركز فى ايدى كبار الملاكين المواقع المسيطرة فى الاقتصاد والحياة السياسية والروحية والقيم المادية والروحية الضخمة. وبديهى ان اصحاب الرأسمال يملكون امكانيات لامحدودة من اجل تلبية حاجاتهم التى غالبا ما تتسم بطابع النزوات والاهواء الجامحة. وقد فاق اصحاب الملايين فى العالم الرأسمالى المعاصر، بتبذيرهم واسرافهم، حتى ملوك وامراء الماضى.

فمن اين، اذن، تأتى هذه المبالغ الطائلة؟ ان الحصول عليها بالعمل الشريف امر مستحيل: فقد حُسب، مثلا، انه من اجل بلوغ ثروة كل من آل روكفلر او ميلون او دوبون يترتب على العامل الاميركى الحسن الاجرة ان يدخر اجرته طوال مليون (!) عام تقريبا. ان المصدر الوحيد لثروة الاحتكاريين هو **استغلال** الكادحين، وهو استغلال معاد للانسانية من حيث جوهره ومناف لطبيعة الانسان ولرسالته السامية ومكانته فى الحياة.

وقد توصل عمال عدد من البلدان الرأسمالية المتطورة، بنتيجة نضالهم العنيد والمثابر، الى تحسين معين لمعيشتهم.

يزعم علماء الاقتصاد البرجوازيون انه لا يوجد فى المجتمع الرأسمالى المعاصر افقار للطبقة العاملة. بيد ان الامر ليس كذلك على الاطلاق. ففى ظل الرأسمالية يوجد الافقار **المطلق** - ازدياد فقر العمال فى البلدان التى استغلها الاستعماريون زمنا طويلا؛ وعمال بعض مناطق البلدان المتطورة حيث اقيمت الفروع الصناعية المنحطة كفرع صناعة الفحم الحجرى مثلا؛ وافقار العاطلين عن العمل، وغير القادرين على العمل، والمهاجرين الخ.. ويوجد ايضا فى ظل الرأسمالية الافقار **النسبى** للطبقة العاملة.

يتجلى الافقار النسبى، خاصة، فى ان ارباح الاحتكارات تنمو بينما تتضاءل حصة الطبقة العاملة من الدخل الوطنى باستمرار. ومما لا شك فيه ان هذه الحصة، من حيث التعبير المطلق، الشيئى كما يقال، مرتفعة الى حد لا بأس به فى جملة من البلدان الرأسمالية المتطورة (الولايات المتحدة الاميركية، السويد، جمهورية المانيا الاتحادية، بريطانيا، ايطاليا، فرنسا وغيرها) مما يضمن مستوى معيشيا عاليا لقسم معين من

الكادحين . بيد انه يجب ان لا ننسى ان مستوى الاستهلاك العالى هذا يصاحبه فقر للقسم الآخر ، للقسم الاكبر من كادحى هذه البلدان ، وكذلك الفقر المدقع الفظيع والنقص فى التغذية والامية لدى السواد الاعظم من سكان البلدان المتخلفة فى تطورها لهذه الاسباب او تلك .

وفى جملة من البلدان الرأسمالية المتطورة فى اوروبا الغربية يعيش نفس العيشة الحقيرة ، شأن الزنوج فى الولايات المتحدة الاميركيـــة ، ملايين العمال المهاجرين الذين غادروا بلادهم ، وعائلاتهم واقرباءهم احيانا كثيرة ، من اجل كسب لقمة العيش . وهم يتعرضون فى بلدان اقامتهم للاستغلال الوحشى والتمييز العنصرى ، وهم محرومون من اية حقوق سياسية . ومع انهـــم يقومون بأشق الاعمال واخطرها فان اجرتهم اقل من اجرة العمال المحليين لقاء نفس العمل ، وهم يعانون من الفقر وضيق المسكن والجهل .

والحياة الانسانية الحقيقية هى مجرد حلم فقط يراود مخيلة ملايين العاطلين عن العمل الذين رمتهم الامبريالية خارج دائرة الانتاج فحرمتهم بذلك من فرص اظهار قدرتهم على العمل التى تعتبر اهم واعمق مظهر من مظاهر الجوهر البشرى . ان الفقر الذى لا امل منه ، وانهيار القوى الجسدية ، والفراغ الروحى هى نصيب هؤلاء المنبوذين من جانب مجتمع «الاستهلاك العالى» .

وبغيـــة الحصول على اقصى الارباح يعمد الاحتكاريون الى تشديد العمل وتعجيل وتائره ، الامر الذى يؤثر تأثيرا سلبيـا كذلك على الانسان الكادح ، اذ تُستنفد قواه الجسدية ويشيخ جسمه قبل الاوان ، وتزداد الاصابات اثناء الانتاج وعدد الامراض المهنية وكذلك التشوشات النفسية ، وهى امور غدت فى العالم الرأسمالى كارثة اجتماعية حقيقية .

وان الطبقات السائدة ، باحتكارها الحق فى العمل الفكرى ، تستعبد انسان العمل فكريا وتسد بوجهـــه منافذ الوصول الى التعليم والعلم والثقافة . وهى لا تؤمن التطويـــر الروحـــى للكادحين الا بالقدر الذى يتوافق فيه مع مصالحها الخاصة ،

وتحاول حصر تعليم اطفال العمال والفلاحين بالتعليم المهنى لكى يكون نصيبهم الوحيد العمل لحساب رب العمل .

والجوهر اللاانسانى للامبريالية جلى بوجه خاص فى ابشع مظهر للرأسمالية المعاصرة ، مظهر اشاعة العسكرية فى الاقتصاد . ان قيما هائلة ، تصنعها ايدى وعقول اناس العمل ، تُستخدم بازدياد مطرد لا من اجل تحسين معيشتهم بل من اجل انتاج ادوات رهيبة للقتل والتخريب . وينفق العالم الرأسمالى مبلغا هائلا على سباق التسلح : اكثر من ١٠٠ مليار دولار فى السنة . وليس صعبا على المرء ان يرى اية تطورات ضخمة كان يمكن ان تحدث فى التنمية الاقتصادية للبلدان الضعيفة التطور وفى الرفاه المادى للناس لو ان هذه الاموال الطائلة استخدمت فى الاغراض السلمية . بيد ان ذلك امر مستحيل فى ظل الامبريالية : فالبزنس الحربى هو اكبر واضمن بزنس للاحتكارات .

ان المنجزات العلمية التكنيكية المعاصرة تفتح آفاقا لا سابق لها امام زيادة الرفاهية المادية والمستوى الذهنى للانسان الكادح . بيد ان الاحتكارات لا تعمل على استخدام منجزات العقل البشرى لما فيه خير الانسان بل وغالبا ما توجه هذه المنجزات ضد الانسان محولة اياها الى ادوات رهيبة للحرب الساحقة والماحقة .

وتتمركز فى ايدى الاحتكارات الكمية الاساسية من اعمال البحث العلمى العصرية المعقدة والغالية الثمن ؛ ومن الطبيعى ان تملك الاحتكارات ايضا نتائج هذه الاعمال التى تستخدمها من اجل تأمين الارباح الاحتكارية والاستيلاء على الاسواق .

اذن ، فالرأسمالية المعاصرة هى ضد الانسان الكادح . وطبيعى انه ليس بوسع اناس العمل التسليم بالدوس على حقوقهم الانسانية وعلى كرامتهم البشرية . انهم يناضلون باصرار فى سبيل التحرر من الامبريالية . وتقف الطبقة العاملة فى طليعة هذا النضال .

٢ - الميزات الاساسية للنضال الثورى في بلدان الرأسمالية

على الرغم من تأكيدات محامى الرأسمالية الزاعمة بـ«اضمحلال الطبقات» وبـ«الانسجام الاجتماعى» للمجتمع الرأسمالى انتشرت فى العالم الرأسمالى معركة هائلة بين العمل والرأسمال ، والحركة الثورية الجبارة للطبقة العاملة .

فما هى ، اذن ، الميزات الاساسية لهذه الحركة ؟

مدى اتساع النضال الاضرابى

ان التطورات الاجتماعية الضخمة ونمو الانتاج والتغيرات العميقة المرتبطة باحدث المنجزات العلمية التكنيكية لم يكن بوسعها الا ان تؤثر على وضع الطبقة العاملة فى البلدان الرأسمالية ، وتعدادها وتركيبها ، وعلى ظروف واهداف ومهام نضالها . فبالدرجة الاولى ازداد تعداد الطبقة العاملة ازديادا هائلا . فبينما كان عددها فى اواسط القرن التاسع عشر يبلغ ١٠ ملايين شخص فقد وصل عدد العمال فى سبعينات القرن العشرين الى ٦٠٠ مليون .

كما تغير تركيب الطبقة العاملة ايضا . فقد ازدادت الى حد كبير ، ولا سيما فى الآونة الاخيرة ، حصة الملاك الادارى والتكنيكى والمكتبى العامل فى دائرة الانتاج المادى . ويقترب وضعه ودوره فى الانتاج اكثر فاكثر من وضع ودور العمال القائمين مباشرة بعمل انتاجى . وينمو بوتائر سريعة عدد العمال العاملين فى مجال الخدمات .

وتكتسب الاحزاب الشيوعية وزنا واهمية متزايدين على الدوام فى قيادة نضال الطبقة العاملة . ويتوحد ملايين العمال والعاملات فى نقابات ومنظمات شبابية ونسائية وغيرها من المنظمات الديمقراطية .

لقد بات الوضع الآن اكثر ملاءمة بالنسبة لنضال الكادحين فى

البلدان الرأسمالية . فان اصابة الرأسمالية بالضعف نتيجة لازمتها العامة ، وتوطد قوى الاشتراكية فى العالم ولا سيما التأثير الثورى لنظام الاشتراكية العالمى ، واتساع القاعدة الاجتماعية للحركة الثورية فى بلدان الرأسمالية ذاتها تهيئ امكانيات جديدة امام الحركة العمالية . هذا ، بالاضافة الى ان الحركة العمالية نفسها اكتنزت خبرة نضال ضخمة ضد الرأسمالية واعوانها . فقد غدت اكثر نضوجا من الناحية الايديولوجية ، وهى تمتاز بروح تنظيمية اعلى وبروح كفاحية عالية . وترتفع سمعة الاحزاب الشيوعية فى اوساط الكادحين ويزداد دور النقابات .

تستخدم الطبقة العاملة فى نضالها اكثر الوسائل تنوعا : الاضرابات والمظاهرات ، والاجتماعات الحاشدة والمؤتمرات ، والقاء الكلمات فى البرلمان والكتابة فى الصحافة والتحدث من الاذاعة والتلفزيون .

واكتسبت الحركة الاضرابية – هذه الوسيلة القديمة والمجربة لنضال العمال ضد الرأسماليين – اكتسبت فى الوقت الحاضر نطاقا وتنظيما واسعين بوجه خاص . وحسبنا القول انه بينما اضرب عام ١٩٦٠ فى بلدان الرأسمال ٥٦ مليون شخص ، فقد وصل هذا العدد عام ١٩٧٧ الى ٦٦ مليونا ، اما خلال النصف الاول من عام ١٩٧٨ فالى ٢٥ مليونا .

ويغدو النضال الاضرابى لا اكثر جماهيرية فحسب بل واكثر مرونة وتنوعا ايضا . فبالاضافة الى الاضرابات العامة يعلن العمال اضرابات تحذيرية ؛ واضرابات متزايدة الضغط عندما تنضم الى المضربين بالتدريج فصائل جديدة وجديدة من العمال ؛ واضرابات فى المؤسسة الرئيسية لهذا الفرع او ذاك من الفروع الصناعية ؛ واضرابات متنوعة الازمنة (يوما بعد يوم ، بعدة ساعات فى اليوم ، الخ .) ؛ واضرابات «متنقلة» من مؤسسة الى اخرى ، الخ . . ان استخدام اشكال مختلفة للاضرابات يتيح للعمال تحاشى الوقوع فى خسارات مادية هامة ، وممارسة ضغط جدى فى الوقت نفسه على ارباب العمل ، والتوصل الى تلبية مطالبهم . وابان النضال الاضرابى يبرز بجلاء متزايد الميل الى تعزيز وحدة اعمال الطبقة العاملة .

وهكذا ، فان **الاتساع الهائل للنضال الاضرابى وروحه التنظيمية ومرونته** تشكل ميزة هامة للحركة العمالية المعاصرة .

الجمع بين اشكال النضال الاقتصادية والسياسية

فى ظروف رأسمالية الدولة الاحتكارية ، عندما يصبح خصما مباشرا فى مجال الاقتصاد لا بعض ارباب العمل واتحاداتهم فحسب بل والدولة البرجوازية ايضا ، **يكتسب النضال الاقتصادى للكادحين موضوعيا طابعا سياسيا ، اما النضال فى سبيل المطالب الاقتصادية البحت فيوصل الطبقة العاملة الى فهم ضرورة النضال السياسى** . والحال ان الدولة البرجوازية هى فى العديد من البلدان مالكة ضخمة تخدم مصالح الاحتكارات ، وتستغل بصورة مباشرة قسما هاما من الطبقة العاملة يشتغل فى مؤسسات تابعة للدولة . ويصطدم الكادحون مع الدولة البرجوازية فى ميدان الضمان الاجتماعى ، ودفع الضرائب ، ونشاط النقابات ، وهلمجرا . وهم يرون ان هذه الدولة تقف دائما وفى كل مكان دفاعا عن مصالح الاحتكارات . واثناء الاضرابات والمظاهرات والاجتماعات تحدث اصطدامات مع الشرطة واحيانا مع قوات الدولة البرجوازية . ان تطور رأسمالية الدولة الاحتكارية يفضى الى الامر التالى وهو ان **التناقضات الطبقية اخذت تتبدى الآن كتناقضات بين الكادحين وبين القوة الموحدة للاحتكارات والدولة** . وبالنتيجة يصبح مدى النضال الطبقى اشد قوة ، ومجال القضايا التى يجرى حولها النضال اكثر اتساعا .

فى السابق كانت تحتل المكان الرئيسى بين المطالب التى يتقدم بها المضربون شعارات يوم العمل من ثمانى ساعات ، والاعتراف بالحقوق الاولية ، بابسط الحقوق للمنظمات النقابية ، وتطبيق الضمان الاجتماعى ، ومنح الحقوق الانتخابية لجميع المواطنين ، وما شابه . اما الآن ، فالى جانب تنفيذ هذه المهمات تناضل الطبقة العاملة فى سبيل تحقيق مطالب اهم بكثير واشد ايلاما للرأسمالية . فهى تناضل من اجل توسيع الحقوق السياسية

للشعب بأسره ، وتعمل على تعزيز وتطوير الديمقراطية ، وتناضل ضد سباق التسلح ومن اجل السلم والتقدم الاجتماعى . ويحتل مكانا هاما فى نضالات الطبقة العاملة النضال فى سبيل تأميم إهم فروع الاقتصاد واشاعة الديمقراطية فى اداراتها . وتوجه الطبقة العاملة وطليعتها الثورية – الاحزاب الماركسية – ضربتها الرئيسية ضد **الاحتكارات الرأسمالية** – حصن الرجعية والعدوان ، والمذنبة الاساسية فى سباق التسلح ووضع الكادحين الشاق .

وهكذا ، فان نضال الطبقة العاملة فى سبيل المطالب الاقتصادية يرتبط اوثق فأوثق بالنضال من اجل التحولات الاجتماعية والسياسية الجذرية ، بالنضال من اجل القضاء على الاوضاع الرأسمالية عامة .

وثمة ميزة هامة اخرى من ميزات الحركة الثورية المعاصرة للطبقة العاملة هى **اتساع قاعدتها الاجتماعية ، والاتجاه نحو انشاء جبهة موحدة لنضال القوى التقدمية ضد الاحتكارات الرأسمالية**

واليوم بات ذا مصلحة فى القضاء على سيطرة الاحتكارات لا كادحو المدينة فحسب بل والفلاحون ، وقسم هام من المثقفين ، والبرجوازية المدينية الصغيرة والمتوسطة ، والشبيبة ولا سيما الطلاب ، والنساء الخ . . ان ذلك كله يوسع الى حد كبير القاعدة الاجتماعية للحركة العمالية ويتيح **توحيد كافة القوى التقدمية فى جبهة واحدة جبارة معادية للاحتكارات**

الصلة الوثقى بين المهمات الديمقراطية والمهمات الاشتراكية

ان انعدام الديمقراطية ووجود الرجعية السياسية يشكلان ليس فقط كابحا فى تطور الحركة الثورية بل وانتهاكا لكرامة الكادحين البشرية وتطاولا على ابسط الحريات والحقوق . ولهذا السبب تخوض الطبقة العاملة ، سوية مع فئات اخرى من الشعب ، نضالا حاسما فى سبيل الديمقراطية وضد محاولات

الاحتكاريين الرامية الى تصفية الحريات الديمقراطية وضد انبعاث اى شكل من اشكال الفاشية . **ان الجمع بين نضال الطبقة العاملة فى سبيل الاشتراكية وبين الحركات الديمقراطية العامة من اجل السلم والاستقلال الوطنى والديمقراطية يشكل ميزة هامة من ميزات الحركة العمالية المعاصرة**

ومن بين المطالب الديمقراطية لكادحى البلدان الرأسمالية نذكر : تأميم اهم فروع الاقتصاد وبث الديمقراطية فى ادارتها ؛ تحسين ظروف معيشة الكادحين ؛ حماية مصالح الفلاحين والبرجوازية الصغيرة والمتوسطة من تعسف الاحتكارات ، النضال فى سبيل الاستقلال الوطنى ؛ النضال من اجل السلم واستخدام الاقتصاد والعلم والتكنيك للاغراض السلمية ولصالح الكادحين .

ان تحقيق هذا البرنامج لا يقضى على الملكية الخاصة والاستغلال ، ولا يعنى تحول الرأسمالية الى الاشتراكية . انه ليس بديلا ، بأي شكل ، عن الهدف الرئيسى : الاشتراكية . فابان النضال من اجل الديمقراطية **يقوّض نفوذ القوى الرجعية** ، ولا سيما الاحتكارات ، وبهذا يجرى تسهيل الطريق نحو الثورة الاشتراكية . وفى النضال من اجل الديمقراطية يمتلك الكادحون الخبرة ، ويوحدون حولهم اكثرية الشعب ، وبهذا **يتكون حشدٌ سياسى للثورة الاشتراكية** . ولهذا بالضبط **يعتبر النضال من اجل الديمقراطية عاملاً مساعداً في النضال فى سبيل الاشتراكية** .

٣ – اشكال تحقيق الثورة الاشتراكية

فى العصر الراهن ، عصر تقدم البشرية الى الاشتراكية ، ترتدى اهمية كبرى مسألة الاشكال الملموسة لانتقال مختلف البلدان الى الاشتراكية . فما هى ، اذن ، هذه الاشكال ، وعلى اى شيء تتوقف ؟

ان خبرة التاريخ تدل على ان الطبقات السائدة لا تتخلى ابدا بصورة طوعية عن سلطتها ، وعن الملكية الخاصة لوسائل الانتاج التى تمكنها من استغلال الكادحين ، وعن امتيازاتها العديدة .

لهذا بالضبط فان الثورة الاشتراكيـــة ترتبط حتمـــا **بالعنف الثورى** ، بالاطاحة القسرية بالنظام الرأسمالى .

ان الخبرة التاريخية تدل على ان البرجوازية عاجزة عن

تقييم تناسب القوى تقييما متبصرا . وبيأس المحكوم عليه تستخدم جميع الوسائل الممكنة من اجل الابقاء على سيادتها واطالة امد وجودها . واهم هذه الوسائل هى السلاح الذى تلجأ اليه البرجوازية عندما تتعرض سيادتها للخطر ، وعندما يتطاول المضطهَدون على سلطتها . لقد اغرقت كومونة باريس فى سيول من الدم . وهل سلم الملاكون العقاريون والرأسماليون الروس بانتصار الكادحين فى اكتوبر عام ١٩١٧ ؟ كلا ، فقد اثاروا حربا اهلية ، واستدعوا لنجدتهم رأسماليى الدول الاجنبية الذين حاولوا بالحديد والنار اعادة الاوضاع الرأسمالية الى البلاد السوفييتية . الا ان الطبقة العاملة والكادحين صدوا بقيادة الحزب الشيوعى هجوم البرجوازية المسلح وذادوا بالسلاح عن السلطة البروليتارية .

ويجب ان لا يغيب عن البال ان البرجوازية لا تزال تسيطر على الجزء الاكبر من العالم ، وان فى ايديها السلاح الذى تستطيع ان تستخدمه ، ودائماً ما تستخدمه ، ضد الطبقة العاملة والكادحين . والدليل المقنع للغاية على ذلك هو مأساة شيلى حيث اغرقت الدكتاتورية العسكرية الفاشية الثورة الشعبية فى سيول من دماء الطبقة العاملة والقوى التقدمية .

ان امتلاك جميع اشكال النضال ، والاستخدام الماهر لهذه الاشكال او تلك التى تتجاوب اكثر من غيرها مع الوضع الملموس ، ومعرفة تغيير شكل بآخر بسرعة ومباغتة – ذلك هو الشرط المبرم لانتصار الطبقة العاملة فى الثورة الاشتراكية .

٤ ـ الحركة الشيوعية المعاصرة

فى طليعة القوى الثورية

تشكل **الحركة الشيوعية العالمية** ، وهى الحركة الاوفر عددا والاشد جبروتا فى ايامنا ، القوة القائدة للنضال الثورى الذى تخوضه الطبقة العاملة . ان الشيوعيين ، المسلحين بنظرية الماركسية-اللينينية ، يخدمون باخلاص وتفان مصالح البروليتاريا ، مصالح جماهير الشعب المتعددة الملايين ، ولذا فهم يتمتعون بثقتها اللامحدودة ومساندتها .

وتتواجد الاحزاب الشيوعية وتناضل فى ظروف مختلفة ، وتمثل امامها مهام مختلفة .

ان **الاحزاب الشيوعية فى البلدان الاشتراكية** هى احزاب حاكمة . فتحت قيادتها خلعت شعوب هذه البلدان عن كاهلها النير الرأسمالى وهى تحقق الآن مهمة صعبة ، مهمة بناء الاشتراكية والشيوعية . وهى تحل مهمات معقدة فى تطوير الاقتصاد واقامة علاقات اجتماعية جديدة ، وتؤمن حماية مكتسبات الاشتراكية مقدمة فى الوقت نفسه مساعدة شاملة لشعوب العالم غير الاشتراكى فى نضالها الثورى . ان العمل الابداعى لشيوعيى البلدان الاشتراكية يعزز المواقع الدولية للاشتراكية ويزيد من قوة جاذبية افكارها فى العالم بأسره .

والاحزاب الشيوعية فى البلدان الرأسمالية تناضل فى الظروف الشاقة للنظام الامبريالى ، والسرية فى الغالب ، فى ظروف الملاحقات والارهاب . ولا تزال امامها مهمة قيادة شعوب بلادها نحو الانتصار على الرأسمالية ، نحو الثورة الاشتراكية .

والاحزاب الشيوعية فى آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية ، التى ولدت فى خضم ثورات التحرر الوطنى ، اخذت تتقوى ، وتمارس تأثيرا متزايدا باطراد على حياة الدول النامية الفتية وتشارك مشاركة نشيطة فى النضال ضد الاستعمار والاستعمار الجديد . وتكمن مهمتها الرئيسية فى الانجاز الناجح

لثورات التحرر الوطنى وتدعيم الاستقلال الوطنى وقيادة شعوبها في طريق التقدم والاشتراكية والسلم .

وعلى الرغم من تمايز الاهداف والمهام الملموسة تعمل الاحزاب الشيوعية من اجل قضية مشتركة واحدة تتقوم فى انها توجه حركة البشرية المعاصرة من الرأسمالية الى الاشتراكية .

الاستراتيجية والتكتيك

تؤلف الماركسية-اللينينية الاساس النظرى لسياسة الاحزاب الشيوعية اذ انها تدرس القوانين العامة التى يستحيل بدونها تحقيق الثورة الاشتراكية وبناء المجتمع الاشتراكى . هذا ، بالاضافة الى ان الماركسية-اللينينية تؤكد ان القوانين العامة لبناء الاشتراكية تتجلى فى كل بلد على نحو خاص به . وان اخذ هذه الظروف الخاصة بالحسبان هو المقدمة التى لا بد منها من اجل نجاح القضية التى يناضل فى سبيلها شيوعيو العالم كله .

تضع الاحزاب الشيوعية فى النضال ضد الرأسمالية خطا سياسيا محددا ينعكس عمليا فى الاستراتيجية والتكتيك .

ويقصد **بالاستراتيجية** فى الحركة الشيوعية المعاصرة التوجه الاساسى للحركة العمالية فى حقبة معينة تاريخيا من التطور الاجتماعى والمهام العامة والاساسية للطبقة العاملة وحزبها . ان تحديد الاستراتيجية يعنى تحديد الهدف الاساسى للحركة ، وتعيين العدو الطبقى الرئيسى الذى ينبغى ان توجه الجهود الثورية ضده ، واظهار الحلفاء فى النضال ضد هذا العدو . اما فيما يتعلق **بالتكتيك** فهو عبارة عن **مجموعة اشكال ووسائل واساليب تحقيق الهدف الاساسى فى ظروف تاريخية ملموسة** ، وخط سلوك الحزب لدى حل هذه المهمة الملموسة او تلك . ويشمل التكتيك دائرة متنوعة من المسائل : فهنا المسائل المتعلقة باشكال النضال (الاقتصادية ، السياسية ، الايديولوجية ؛ غير السلمية والسلمية) ؛ وبالجمع بين مختلف الاشكال ؛ وبالهجوم والدفاع والتراجع ؛ وبالحل الوسط والاتفاقيات ، وبالاستفادة من التناقضات

والنزاعات والاحتكاكات فى معسكر العدو ؛ وبالجبهة الموحدة مع الجماهير غير البروليتارية ، الخ . . وكتب لينين «ان التكتيك الماركسى يكمن فى الجمع بين مختلف اساليب النضال ، فى الانتقال الماهر من اسلوب الى آخر ، فى الرفع المطرد لوعى الجماهير ولسعة اعمالها الجماعية . . .» * .

ويدرك الشيوعيون ضرورة اخضاع المهام التكتيكية للاهداف الاستراتيجية ويسعون الى ان لا يقضى تغيير التكتيك على المحتوى الثورى للنضال . وهم يقفون بصورة حازمة سواء ضد الانتهازيين اليمينيين ، الذين يطوون اهداف النضال الثورية فى صفحة النسيان ، ام ضد الانتهازيين اليساريين الذين يخلطون بين المهام الاستراتيجية والتكتيكية ويجعلون اشكال النضال هذه او تلك ، التى عفى عليها الزمن بفعل الظروف التاريخية الملموسة ، اشكالا مطلقة .

والاستراتيجية دائمة وثابتة نسبيا ، وهى تتغير تبعا لدرجة التطور التى بلغتها هذه الفصيلة او تلك من فصائل الحركة الشيوعية العالمية ، وهذا البلد او ذاك . وتُطرح مهام استراتيجية جديدة عندما تكون المهام السابقة قد نفذت وولجت البلاد مرحلة جديدة من تطورها . اما فيما يخص التكتيك فهو اكثر حركة وديناميكية من الاستراتيجية بكثير : فان اشكال واساليب النضال تتغير بتغير تناسب القوى الطبقية ، والظروف الملموسة لتطور هذا البلد او ذاك ، والوضع الدولى .

ان احدى اهم مسائل الاستراتيجية والتكتيك هى المسألة المتعلقة **بتكوين وتدعيم تحالف الطبقة العاملة مع الجماهير الكادحة غير البروليتارية ، وفى المقام الاول مع الفلاحين ، فى ظل الرأسمالية .**

ان لدى العمال والفلاحين الكثير من الامور المشتركة فى وضعهم واهدافهم ومهامهم . فهؤلاء واولئك يستغلهم الرأسماليون وهم ، بالطبع ، ذوو مصلحة فى التحرر من السيطرة الاقتصادية والسياسية للبرجوازية . وجامعة المصالح هذه

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٥ ، ص ٥٧ .

تهيئ الاساس الموضوعى للتحالف المتين بين الطبقة العاملة والفلاحين ؛ الا ان هذا التحالف لا ينشأ من تلقاء نفسه ، بصورة عفوية ، بل تكوّنه الاحزاب الشيوعية ابان النضال ضد الرأسمالية فى سبيل النظام الاجتماعى الجديد . فالطبقة العاملة وحدها قادرة على حل المسألة الفلاحية المزمنة لصالح الفلاحين ، وعلى ان توفر للفلاح امكانية العمل من اجل نفسه فى الارض التى تعود له او للمجتمع بأسره . اما هدم الرأسمالية وبناء المجتمع الاشتراكى فليست الطبقة العاملة بقادرة عليهما الا بمساندة ملايين الفلاحين وبمشاركتهم النشيطة فى الثورة

الخط العام

استنادا الى الماركسية-اللينينية وتعميما لخبرة نضال البروليتاريا الطبقى الذى يستمر اكثر من المائة عام قامت الاحزاب الشيوعية بصورة جماعية فى مؤتمراتها العالمية لاعوام ١٩٥٧ و١٩٦٠ و١٩٦٩ فى موسكو بصياغة **الخط العام للحركة الشيوعية والعمالية العالمية المعاصرة** .

ينطلق الخط العام من انه تقف فى مركز العصر الراهن ، الذى يشكل الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية محتواه ، الطبقة العاملة العالمية ونظام الاشتراكية العالمى . فان الشعوب التى تبنى الاشتراكية والشيوعية تؤلف ، سوية مع الحركة الثورية للطبقة العاملة فى البلدان الرأسمالية وحركة التحرر الوطنى ومختلف الحركات الديمقراطية ، **تيارا** **معاديا** **للامبريالية** ينسف الرأسمالية

والخط العام للحركة الشيوعية العالمية هو خط النضال الطبقى والثورة الاشتراكية .

لقد كانت الاحزاب الشيوعية وتبقى عدوة للاستعمار . وهى تساند **حركة التحرر الوطنى** وتعمل على ايصال الثورة الديمقراطية المعادية للامبريالية حتى نهايتها واحراز الاستقلال الوطنى الحقيقى

ويعمل الشيوعيون ، اينما وحيثما وجدوا ، **كمناضلين نشيطين ضد الرجعية الامبريالية وفى سبيل الحريات الديمقراطية وحقوق الكادحين** . وهم يعتبرون كل حركة معادية للامبريالية وديمقراطية حليفا لهم فى النضال المشترك ضد الرأسمالية ومن اجل الاشتراكية والتقدم الاجتماعى .

والحركة الشيوعية هى اكثر الحركات انسانية فى عصرنا الراهن . وليس من وليد الصدفة انها تعتبر احدى اكبر مهماتها **النضال فى سبيل السلم**

ومن اجل تحقيق هذه المهمة يوحد الشيوعيون جهود جميع القوى المحبة للسلام والمعادية للامبريالية .

ويكون من الضلال الشديد الاعتقاد بان الحركة الشيوعية فى زماننا تتطور دون تناقضات ومصاعب . فاليوم ، كما منذ عشرات السنين ، يترتب على الشيوعيين خوض نضال جدى لا ضد البرجوازية فى مجالى النظرية والتطبيق فحسب بل وضد التيارات **الانتهازية** فى صفوفهم بالذات ، ضد التحريفية والجمود العقائدى .

يزعم التحريفيون المعاصرون ، استنادا الى كون الماركسية نشأت فى القرن التاسع عشر بينما نحن الآن فى القرن العشرين ، ان الماركسية قد شاخت ، وانه يجب «تدقيقها» و«تصحيحها» ، علما بانهم ، تحت ستار تدقيق الماركسية ، يتخلون عن جوهرها الثورى . فهم يؤكدون ، مثلا ، ان المظاهر الجديدة للواقع الرأسمالى المعاصر ، والمرتبطة بنمو رأسمالية الدولة الاحتكارية وبالتأميم الرأسمالى وبمحاولة الدولة البرجوازية تنظيم التطور الاقتصادى ، انما تشهد ، على حد زعمهم ، بان اسس الرأسمالية نفسها تتغير وبان الرأسمالية نفسها تتغير وبان الرأسمالية تتقارب اكثر فاكثر مع الاشتراكية ، «تزحف» داخل الاشتراكية .

الا انه ليس سرا ان هذه المظاهر الجديدة فى الرأسمالية المعاصرة لا تمس على الاطلاق أُس اسس الرأسمالية – الملكية الخاصة والاستغلال . فالرأسمالية تبقى رأسمالية ، وتحويلها الى اشتراكية امر ممكن فقط عن طريق الثورة الاشتراكية وانشاء دولة تعود فيها السلطة الى الشغيلة .

ان خلافات الشيوعيين فى المسائل النظرية والسياسية لا يمكن التغلب عليها الا على الاساس المبدئى للماركسية-اللينينية والاممية البروليتارية . فالاخلاص للماركسية-اللينينية ولقضية الثورة الاشتراكية العالمية ولقضية الطبقة العاملة والكادحين كافة – ذلك هو اساس وحدة شيوعيى العالم اجمع التى يخوض فى سبيلها جميع الماركسيين-اللينينيين الحقيقيين نضالا مثابرا وعنيدا . ويكتسب الجمع الصائب بين المهام الوطنية والاممية لجيش الشيوعيين العظيم اهمية كبيرة بخاصة فى الظروف المعاصرة . فالمهام الوطنية لا يمكن حلها الآن الا بالمشاركة النشيطة لكل فصيلة من فصائل الشيوعيين فى حل القضايا العامة ، والعكس بالعكس : فخارج النضال من اجل تحقيق المهام الوطنية ومن اجل المصالح الملحة للجماهير الكادحة فى كل بلد يستحيل القيام بالواجبات الاممية .

وبما ان الحركة الشيوعية العالمية تضم احزابا متساوية فى الحقوق ومستقلة ولا يمكن لحزب ما ان يكون فى هذه الحركة مهيمنا او خاضعا لحزب آخر فثمة وسيلة ممكنة واحدة فقط لحسم المسائل المتنازع عليها ، هى **مناقشتها المشتركة ، الجماعية** .

بديهى ان الخلافات بين الاحزاب الشيوعية لا يمكن حلها دفعة واحدة : فيلزم ، من اجل ذلك ، الوقت والصبر . ومن الهام بهذا الصدد تركيز الاهتمام على ما يوحد جميع الاحزاب الشيوعية وعلى ايجاد سبل الاعمال المشتركة المتفق عليها لجميع الاحزاب الشقيقة ضد العدو المشترك وفى سبيل بلوغ الهدف المشترك باسرع ما يمكن .

وقد ورد فى تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى الى المؤتمر الخامس والعشرين للحزب : «يتابع شيوعيو مختلف البلدان باهتمام وانتباه مشروعين نشاطات بعضهم البعض . وقد تتباين آراؤهم احيانا وتختلف مواقفهم حيال هذه المسألة او تلك ، الامر الذى عمدت ابواق الدعاية المعادية مرارا الى اثارة ضجة حوله . بيد ان الماركسيين-اللينينيين ينطلقون فى تناولهم لهذه المسائل من مواقع اممية ، حارصين على توطيد وحدة الحركة بأسرها ، ويناقشون ما يبرز من قضايا بروح رفاقية حقة طبقا للاعراف اللازمة فى المساواة واحترام استقلالية كل حزب . وبطبيعة الحال فان الحديث لا يتناول ولا يمكن ان يتناول المساومات فى الامور المبدئية والتغاضى عن الافكار والتصرفات المجافية للايديولوجيا الشيوعية . فهذا امر مرفوض قطعا »*

---

* «مواد المؤتمر الخامس والعشرين» ، ص ٣١ .

الفصل الرابع

ثورات التحرر الوطنى

ان الاشتراكية تعنى القضاء التام على استغلال الانسان للانسان وتصفية كل اضطهاد استعمارى بما فيه الاضطهاد القومى . وان النضال ضد سيادة الرأسمال العالمى يفترض بالضرورة القضاء على الاستعمار والنضال فى سبيل استقلال وانبعاث وازدهار الشعوب المضطهدة سابقا من جانب الامبريالية .

١ – انهيار النظام الاستعمارى للامبريالية

انهيار النظام الاستعمارى هو السمة المميزة لعصرنا الراهن

طوال قرون استغل امبرياليو حفنة ضئيلة من البلدان شعوبا كثيرة العدد لبلدان اخرى . فقد استولوا ، عن طريق العنف المسلح الدموى والخداع والتهويل وشراء الذمم والغدر ، على قارات برمتها – افريقيا ، واميركا اللاتينية وقسم هام من آسيا فأنشأوا نظاما هائلا من السيطرة الاستعمارية التى كان يرزح تحت نيرها حتى زمن غير بعيد اكثر من نصف الجنس البشرى .

ان نظام الامبريالية الاستعمارى هو احدى احلك الصفحات فى تاريخ البشرية . فهلاك عدد لا يحصى من الناس ، والاستغلال

الوحشى ، والفقر المدقع والجوع ، والامراض والجهل - ذلك هو المصير الذى فرضه الامبرياليون على شعوب البلدان المستعمرة .

لقد تحدث الامبرياليون وايديولوجيوهم كثيرا ولا يزالون اليوم ايضا يواصلون الحديث زاعمين بانهم يحملون الى الشعوب المتخلفة الحضارة والتكنيك الحديث والثقافة والمعيشة الجديدة ، الخ . . بيد ان احاديث كهذه لا يمكن ان تخدع الشعوب المضطهدة . فهى تعرف الوجه الوحشى الحقيقى للاستعمار . انها تعلم ان المستعمرات هى بالنسبة للامبرياليين ميدان للتوظيف المربح لرؤوس الاموال ، وهى مصادر للخامات الرخيصة والايدى العاملة ، وهى اسواق للتصريف ، وهى رؤوس جسور حربية واسعة . ان استغلال الشعوب المستعبدة من اجل هدف واحد فقط هو الربح الرأسمالى الاقصى - ذلك هو الاستعمار .

وطبيعى تماما ان خاضت شعوب المستعمرات والبلدان التابعة ولا تزال تخوض نضالا متفانيا ضد الامبريالية وفى سبيل الحرية والاستقلال الوطنى .

وقد اعطت ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى زخما شديدا لحركة التحرر الوطنى ، اذ ايقظت الشعوب المضطهَدة وألهمتها الى النضال وجذبتها الى التيار العام للحركة الثورية العالمية . وبعد انتصار ثورة اكتوبر بدأت ازمة نظام الامبريالية الاستعمارى . وحقق الاتحاد السوفييتى التحالف بين الثورة الاشتراكية وحركة التحرر الوطنى واصبح مثالا وسندا امينا فى نضال الشعوب التحررى .

ان انتصار الاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى ، الذى كانت نتيجته اعتاق اكثر من ١٠٠ قوم وأمة تقطن ارضه من الظلم الاجتماعى والاستعمارى ، وقيام نظام الاشتراكية العالمى ، ونمو الحركة الثورية واشتداد نفوذ الاحزاب الشيوعية ، قد هيأت شروطا مؤاتية من اجل نجاح نضال التحرر الوطنى للشعوب . وفى حين ان الامبريالية كبلت اكثرية الشعوب باغلال العبودية الاستعمارية الوحشية **فان نشوء الاشتراكية قد دشن عهد تحرر الشعوب المضطهَدة** . فقد اخذت موجة ثورات التحرر الوطنى

تجرف النظام الاستعماري وتقوض اسس الامبريالية . ومحل المستعمرات وشبه المستعمرات السابقة نشأت وتنشأ دول فتية ذات سيادة .

وخلال الاعوام التي تلت الحرب العالمية الثانية تكونت عشرات عديدة من الدول المستقلة محل العالم الاستعماري السابق .

واخذت تنهض للنضال ضد الامبريالية والاستعمار اميركا اللاتينية ، حيث ساد امبرياليو الولايات المتحدة الاميركية دون منازع طوال عشرات السنين . وغدت كوبا البطلة ، التي انتصرت فيها الثورة الشعبية ، راية بالنسبة لشعوب اميركا اللاتينية في نضالها العادل من اجل الحرية الوطنية والتقدم الاجتماعي .

ولم يعد بعيدا ذلك الزمن الذي سيقضي فيه الى الابد على الاستعمار ، هذه الظاهرة المشينة في التاريخ البشري . ان الانهيار التام للاستعمار امر لا مفر منه . فالاستعمار ينافي السير الموضوعي للتاريخ ومتطلبات التقدم الاجتماعي ومصالح الجماهير الشعبية .

اهمية حركة التحرر الوطني

لحركة التحرر الوطني اهمية كبرى في تطور التاريخ المعاصر ، وهي تمثل عاملا هاما للتقدم الاجتماعي . **ان حركة التحرر الوطني هي جزء مكوّن من العملية الثورية العالمية الواحدة للعصر الراهن .**

فقد غدت شعوب الدول الفتية ذات السيادة ، التي نشأت على انقاض الامبراطوريات الاستعمارية ، تشارك مشاركة نشيطة في السياسة العالمية ، وانخرطت في

صيانة السلم وتعزيزه .

وسوية مع شعوب البلدان الاشتراكية تؤلف الشعوب المتحررة من الاستعمار ثلثي البشرية ، وذلك اعظم قوة بمقدورها لجم المعتدين الامبرياليين .

وتنزل حركة التحرر الوطنى **ضربات شديدة بالمواقع السياسية والاقتصادية والعسكرية الاستراتيجية للامبريالية .**

وينطوى انهيار الاستعمار على اهمية بالغة بالنسبة للبلدان المتحررة نفسها ايضا . فقد حصلت هذه البلدان ، باحرازها الاستقلال السياسى ، على امكانية تطوير اقتصادها وثقافتها واختيار طرق التنمية الاجتماعية . واعربت شعوب بعض البلدان المتحررة عن طموحها الى قطع الصلة للابد بالرأسمالية والسير فى الطريق الاشتراكي .

اذن ، فان حركة التحرر الوطنى وانهيار نظام الامبريالية الاستعمارى يتسمان بأهمية كبيرة فى تطور البشرية المعاصرة . فان هذه الحركة ، بتقويضها اسس الامبريالية وبتحطيمها اقرب مؤخراتها ، تساعد على سير البشرية من الرأسمالية الى الاشتراكية . ولهذا بالذات تعتبر الاحزاب الشيوعية والعمالية انهيار الاستعمار **الظاهرة الثانية من حيث الاهمية التاريخية بعد نشوء نظام الاشتراكية العالمى .**

خطر الاستعمار الجديد

على الرغم من ان اكثرية البلدان المستعمرة والتابعة نالت الاستقلال السياسى فان الشعوب المتحررة لا تستطيع ان تشعر بنفسها فى امان . فالامبرياليون يحاولون بعث الاوضاع الاستعمارية من جديد ، ويسعون ليس فقط الى الابقاء على استغلال الدول الفتية ذات السيادة بل والى تشديد هذا الاستغلال . **ان الامبريالية تظل العدو الرئيسى لحركة التحرر الوطنى** ، ولذا فان الشعوب المحبة للحرية فى العالم مفعمة بالعزم على النضال ضد الامبريالية وفى سبيل حريتها واستقلالها الحقيقيين . فالنضال ضد الاشكال الجديدة للاضطهاد الاستعمارى ، ضد الاستعمار الجديد هو مهمة ذات شأن امام شعوب افريقيا وآسيا واميركا اللاتينية .

الاستعمار الجديد هو **نظام من التدابير الاقتصادية ،**

والسياسية بما فيها الحربية ، والايديولوجية التى يلجأ اليها الامبرياليون بغية الحفاظ على سيطرتهم وتأمين اقصى الاشراف السياسى والاستغلال الاقتصادى للبلدان النامية . والاستعمار الجديد هـو عبارة عن توسـع اقتصادى وعسكرى وسياسى وايديولوجى من جانب الامبرياليين ضـد الشعوب التى تحررت من النير الاستعمارى او تناضل فى سبيل تحررها .

وعلى الرغم من ان اكثرية بلدان آسيا وافريقيـا واميركا اللاتينية نالت الاستقلال السياسى فان العديد منها لا يزال فى تبعية اقتصادية للدول الامبريالية . ان قسما هاما من المؤسسات والجزء الاعظم من الموارد الطبيعية لهذه البلدان متمركزان فى ايـدى الاحتكارات الاجنبية ، الامر الذى يتيح لهذه الاخيرة الحصـول كالسابق على ارباح طائلة تقدر بمليارات الدولارات فى السنة من استغلال البلدان التابعة لها اقتصاديا .

ويتجسد الاستعمار الجديد ايضا فى «المساعدة» الاقتصادية التى يقدمهـا الامبرياليون للبلدان الضعيفـة التطور . فهذه «المساعدة» بعيدة عن ان تكون نزيهة ، وهى تتوخى هدفا محددا تماما : فرض اتفاقيات اقتصادية على مستلمى «المساعدة» مـن شأنها ان تتيح للاحتكارات الاجنبيـة الحفاظ على مواقعهـا الاقتصادية وتعزيزها واخضاع تطورهـم الاقتصادى والسياسى لمصالحها هى ، لمصالحها المغرضـة . وهذه «المساعدة» ، كقاعدة ، تقدم بشروط تنتقص الكرامة الوطنية للبلدان النامية ، وهى بمثابة وسيلة للضغط على السياسة الداخلية والخارجية . وفى احيان كثيرة تنص الاتفاقيات حول «المساعدة» على تواجد عدد كبير من «المستشارين» الاقتصاديين والماليين فى البلدان المتلقية للمساعدة الذين يقومون بتطبيق سياسة الامبريالية الاستعمارية الجديدة .

ولا يتورع الامبرياليون ، فى صراعهم ضد الشعوب المتحررة ، حتى عن التدخل المسلح المباشر فى الشؤون الداخليـة للدول النامية .

ويحتل العدوان الايديولوجى ضد قوى التقدم والاشتراكية والسلام مكانا لا يستهـان بـه فى نظام اجراءات الاستعماريين

الجدد . وقد وضعت الايديولوجيا البرجوازية الرجعية فى خدمة الامبرياليين الذين يسعون الى الابقاء على استغلال البلدان النامية وتشديده .

ويلجأ ايديولوجيو البرجوازية الى جميع التدابير من اجل كبح نمو وعى الشعوب الروحى ، وعرقلة وصول الافكار الطليعية الى نفوسهم ، وبهذا تجريد حركة التحرر الوطنى من سلاحها الفكرى . وهم يحاولون تصوير التاريخ المشين للنهب والعنف الاستعماريين بالالوان الزاهية ، وتمويه الجوهر الاستغلالى لعلاقاتهم مع الدول الوطنية الفتية ، وعرقلة شعوب هذه البلدان فى التخلص الى الابد من العبودية الاستعمارية . وهم يرددون دائما وبالحاح ان شعوب آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية عاجزة عن تقرير مصيرها بنفسها ، ويتشدقون حول الرسالة التمدينية للامبريالية ، وحول الوحدة الاقتصادية والسياسية بين المستعمرات السابقة واصحابها الامبرياليين السابقين .

وبغية تفريق الشعوب والحفاظ بهذا على سيطرتهم يستخدم الامبرياليون سلاحا مجربا بيد الرجعية **كالتعصب القومى** . ان نظريى الماركسية-اللينينية ، بخوضهم نضالا لا هوادة فيه ضد نزعة التعصب القومى البرجوازية ، يفرقون بين النزعة القومية للامم السائدة (شوفينية الدولة العظمى والعنصرية) وبين النزعة القومية للامم المضطهَدة . فايديولوجيا شوفينية الدولة العظمى والعنصرية ، التى تبرر سيادة امة على امة ، هى بلا شك ايديولوجيا رجعية ومرفوضة بحزم من جانب الشيوعية العلمية . اما قومية الامم المضطهَدة فتتضمن اتجاها للنضال فى سبيل الاستقلال وضد الامبريالية يعتبر اتجاها تقدميا . تلك ، على سبيل المثال ، قومية عدد من البلدان الافريقية والآسيوية المعاصرة التى يتجلى اتجاهها التقدمى فى النضال ضد الامبريالية والاستعمار والرجعية الاقطاعية والتخلف الذى يستيقظ ابانه وعى الشعب ، وبالدرجة الاولى وعى جماهير الفلاحين بملايينها العديدة .

وتنطوى النزعة القومية دائما ، فى الوقت نفسه ، على خطر فساد محتواها الديمقراطى وتحولها الى شوفينية الدولة العظمى والعنصرية . ولهذا بالضبط فان الشيوعيين ، بمساندتهم الميول

التحررية لقومية الشعوب المضطهدة ، يعتبرون فى آن معا انصارا مثابرين للاممية البروليتارية التى تقر التضامن العالمى والصداقة بين الكادحين من جميع الاعراق والقوميات .

٢ – طابع ثورة التحرر الوطنى وقواها المحركة

ثورة التحرر الوطنى هى المرحلة العليا لنضال التحرر الوطنى .

ان المسألة الرئيسية لكل ثورة ، بما فى ذلك ثورة التحرر الوطنى ، هى مسألة سلطة الدولة . والدليل الاساسى على ثورة التحرر الوطنى هو انتقال سلطة الدولة من الاحتكارات الاجنبية او صنائعها الى **القوى الوطنية ، القومية للشعب المضطهد سابقا .**

وثورة التحرر الوطنى ، شأن اية ثورة اخرى ، تنشأ وتتطور على اساس اجتماعى واقتصادى معين ، وهى تحل مهمات ذات طابع خاص ، وتلازمها قوى محركة معينة اى تلك الطبقات والفئات الاجتماعية التى تشارك فيها بنشاط .

طابع ثورة التحرر الوطنى

سادت الامبريالية الاجنبية دون منازع خلال عقود عديدة فى اقتصاد البلدان المستعمرة وحياتها السياسية ، وخنقت كل

مظهر من مظاهر الاستقلال السياسى والاقتصادى . وكانت الاحتكارات الاجنبية تكبح بشتى الوسائل نمو الاقتصاد مضفية عليه طابعا احادى الجانب ، مشوها ، وحولت هذه البلدان الى **ملحق زراعى خامى** لها .

كانت البلدان المستعمرة والتابعة تقوم بدور اقرب احتياط استراتيجى للامبريالية ، واحيانا كثيرة بدور رأس جسر حربى ايضا فى مطامع الامبريالية العدوانية . وكانت بمثابة مصدر لا ينضب للخامات الرخيصة واليد العاملة المجانية وسوق تصريف رحبة ومربحة للغاية .

وتتصرف الامبريالية فى البلدان المستعمرة والتابعة ليس فقط كمضطهدة مباشرة لشعوب هذه البلدان وخانقة لكل مظاهر الاستقلال فى حياتها الاقتصادية والسياسية ، بل وكدعامة رئيسية للقوى الرجعية الداخلية ، وبالدرجة الاولى لممثلى العلاقات الاقطاعية وما قبل الاقطاعية : كبار الملاكين العقاريين وشيوخ القبائل .

لذا ، فان الامبريالية والاحتكارات الاجنبية هى العدو الرئيسى للشعوب المضطهدة ، ولذا فان ثورات التحرر الوطنى ترتدى **طابعا معاديا للامبريالية** بارز المعالم .

ان تصفية السيطرة السياسية والاقتصادية للامبريالية الاجنبية واحراز الاستقلال السياسى والاقتصادى وانشاء دولة وطنية ذات سيادة على هذا الاساس – تلك هى المهمة الرئيسية لثورات التحرر الوطنى .

بيد ان القضاء على ظلم الاحتكارات امر مستحيل بدون ازالة بقايا الاقطاعية والعلاقات القبلية وما قبل الاقطاعية التى كان ممثلوها يشكلون السند الاجتماعى الرئيسى للامبريالية داخل البلدان المستعمرة والتابعة . ولهذا ترتدى ثورات التحرر الوطنى **طابعا معاديا للاقطاعية** ايضا . ان **ازالة بقايا العلاقات ما قبل البرجوازية** ، التى تعيق تطور الاقتصاد والحياة السياسية ، هى مهمة خطيرة اخرى من مهام ثورات التحرر الوطنى .

ان حل مهمات كبيرة ومعقدة بهذا القدر امر لا يمكن تصوره بدون اجتذاب الجماهير الشعبية الواسعة التى تعتبر المبدعة

الحقيقية للعملية التاريخية . لذا ، فان اجتثاث بقايا السيطرة الاستعمارية فى الحياة السياسية الداخلية **واشاعة الديمقراطية فى الحياة الاجتماعية** يؤلفان المهمة الخطيرة الثالثة لثورة التحرر الوطنى التى تكتسب ، على هذا النحو ، **طابعا ديمقراطيا** .

وهكذا ، **فان ثورة التحرر الوطنى هى ثورة معادية للامبريالية ومعادية للاقطاعية وديمقراطية من حيث طابعها** . فالطابع الديمقراطى العام والمعادى للامبريالية وللاقطاعية تضفيه على ثورة التحرر الوطنى ليس فقط المهام التى تطرحها امام نفسها بل والقوى الاجتماعية المدعوة الى تحقيق هذه المهام .

القوى المحركة لثورة التحرر الوطنى

قبل الحديث عن القوى المحركة لثورة التحرر الوطنى من الضرورى الاشارة الى ان البلدان المستعمرة والتابعة كانت ذات مستويات مختلفة من تطورها الاقتصادى والسياسى . فبعضها يمكن ادراجه فى طائفة البلدان الزراعية-الصناعية ؛ وكانت اخرى بلدانا زراعية متخلفة بدون اية صناعة متطورة ما ؛ وكانت الفئة الثالثة (الاكثرية) بلدانا زراعية متخلفة للغاية فيها بقايا متأصلة من العلاقات الاقطاعية وما قبل الاقطاعية (الابوية) . وبالتالى فان التركيب الاجتماعى لسكان هذه البلدان كان متنوعا جدا .

الا انه توجد فى جميع هذه البلدان ، ولو باعداد متفاوتة واوضاع مختلفة ، طبقة عاملة وفلاحون ، وبرجوازية وطنية وبرجوازية صغيرة فى المدن ، وفئة مثقفين وطنية (مدنية وعسكرية ، وطلبة) ، واقطاعيون وبرجوازية موالية للامبريالية (برجوازية كومبرادورية) . وجميع هذه الطبقات والقوى الاجتماعية ، باستثناء البرجوازية الموالية للامبريالية والقمة الاقطاعية ، تعانى من ظلم الاحتكارات الاجنبية ، ولذا فهى تشارك الى هذا الحد او ذاك فى ثورة التحرر الوطنى . وطبيعى ان كلا من هذه الطبقات والفئات الاجتماعية تفهم بصورة مختلفة

مهام الثورة وتتوخى فيها ، علاوة على الاهداف الوطنية العامة ، اهدافها الاجتماعية الخاصة .

تشكل **الطبقة العاملة** ، التى يتنامى عددها باستمرار ، احدى القوى المحركة الاساسية للثورة . وينبغى ان نأخذ بالاعتبار فى هذا الصدد ان عدد افراد الطبقة العاملة وتلاحمها التنظيمى ومستوى وعيها ليست مماثلة فى مختلف البلدان . ومن هنا فليس مماثلا كذلك دورها ووزنها فى ثورات التحرر الوطنى . ففى احدى البلدان لم تتكون البروليتاريا كطبقة وحسب ولم تتلاحم تنظيميا وفكريا وحسب بل وظفرت بالدور القيادى ، تحت قيادة احزاب ماركسية ، فى ثورة التحرر الوطنى وامنت تحولها الى ثورة اشتراكية (البلدان الاشتراكية فى آسيا) . وفى بلدان اخرى تبرز البروليتاريا كأهم قوة محركة للثورة تضم جميع الفئات التقدمية للامة ، وبالدرجة الاولى الفلاحين . وفى بلدان ثالثة لم تظفر البروليتاريا بعد ، رغم تكونها ، بالدور القيادى فى المجتمع ولم توحد حولها القوى التقدمية للامة .

وفى سير نضال التحرر الوطنى تعزز الطبقة العاملة صفوفها ، وتنظم نفسها ، وتكتسب خبرة سياسية . ويرتفع وعيها الطبقى ، ويتكون ويتعزز تحالفها مع فئات الكادحين غير البروليتارية . وتنشأ وتتقوى منظماتها ومنها نقابية وشبابية وغيرها .

الفلاحون اكثر القوى عددا ، بل والقوة المحركة الاساسية لثورات التحرر الوطنى فى عدد من البلدان .

كان الفلاحون فى البلدان المستعمرة والتابعة فى وضع شاق للغاية . وكانوا مضطرين ، وقد حرموا من الارض ، الى استئجارها بشروط جائرة من الاقطاعيين ذوى الثروات العقارية التى لا تحصى ، ويسددون لهم الايجار بما يتراوح بين ٤٠ و٨٠ بالمئة من المحصول .

ان المسألة الزراعية تبرز فى البلدان المستعمرة والتابعة سابقا بمثابة المعضلة الاجتماعية الاكثر حدة . والفلاحون هنا ذوو مصلحة حيوية فى القضاء على ملكية الاحتكارات والاقطاعيين المحليين ووجهاء القبائل للارض ، وفى الحصول على امكانية الاشتغال فى هذه الارض والتمتع بثمار عملهم . والفلاحون هم ،

بالطبع ، قوة معادية للامبريالية وللاقطاعية ذات مصلحة فى تصفية السيطرة السياسية والاقتصادية للرأسمال الاجنبى ، وكذلك سيطرة طبقة الاقطاعيين والملاكين العقاريين ووجهاء القبائل ، وفى اجراء تحويلات زراعية عميقة .

ووضع **البرجوازية** فى البلدان المتحررة متناقض جدا .

فان تلك الفئة من البرجوازية ، التى لها مصلحة فى التنمية الاقتصادية للبلاد ، تشارك مشاركة نشيطة فى ثورة التحرر الوطنى ، ولا سيما فى النضال من اجل الاستقلال السياسى . وهى بهذا تمتاز عن البرجوازية الموالية للامبريالية والمعادية للمصالح الوطنية والتى ، بوصفها مرتبطة ارتباطا وثيقا بالاحتكارات الاجنبية ، تخون المصالح الوطنية العامة .

ومن الضرورى فى هذا الصدد ان نأخذ بالحسبان الطابع المتناقض والمزدوج لدى البرجوازية الوطنية . فهذه البرجوازية ، ذات المصلحة فى النضال ضد الامبريالية الاجنبية والقوى الداخلية التى تساند الامبريالية وبالدرجة الاولى وجهاء الاقطاعية والعشائر ، تسير سوية مع الشعب والجماهير الكادحة ، وتعتمد عليها ، وتستفيد من طاقتها الثورية من اجل بلوغ اهدافها الخاصة . بيد انها تخاف ، فى نفس الوقت ، من الطبقة العاملة الثورية والفلاحين اذ انها ترى فيهم خطرا على مصالحها الاستغلالية ، لذا فهى تسعى الى حصر الثورة فى الاطارات الضيقة لمصالحها وكبح تطورها وتوجيهه فى الطريق الرأسمالى .

وما يسمى بالفئات **الوسيطة** (البرجوازية الصغيرة) – اصحاب الصناعات اليدوية ، الحرفيون ، التجار الصغار واكثريتهم من تجار المفرق – هى فئات وافرة العدد وذات نفوذ فى البلدان المستعمرة والتابعة .

ونظرا لتخلف التطور الاقتصادى تحتل الفئات الوسيطة مكانا ملحوظا نوعا ما فى الاقتصاد اذ انها تنتج فى مؤسساتها الصغيرة كمية هامة من السلع الضرورية للسكان . وتتركز فى ايديها ، على الغالب ، الخدمات المنزلية وتجارة المفرق الخ . . وتبعا لدورها فى الاقتصاد فان دورها ملحوظ ايضا فى الحياة السياسية . لذا ، فان مصائر ثورة التحرر الوطنى تتوقف بدرجة

معينة على موقف الفئات الوسيطة وعلى الجهة التى ستقف الى جانبها : جهة القوى التقدمية ام الرجعية .

وتلعب **فئة المثقفين الوطنية الديمقراطية** – رجال العلم والثقافة ، قسم من الموظفين ، الضباط التقدميون ، الطلاب ، المستخدمون وغيرهم – دورا هاما ، واحيانا قياديا ، فى ثورة التحرر الوطنى . وفى تلك البلدان التى لم تتكون فيها الطبقة العاملة بعد كقوة مستقلة ، فى حين ان البرجوازية الوطنية ما زالت ضعيفة ، ليس بالامر النادر ان يقف ممثلو المثقفين على رأس الثورة والدولة .

تلك هى بخطوطها العامة القوى المحركة لثورة التحرر الوطنى . اما تناسب ودور هذه القوى فى الثورة فليسا مماثلين فى مختلف البلدان بفعل الاختلافات فى تاريخها وفى مستويات تطورها الاجتماعى الاقتصادى .

٣ – احراز الاستقلال الاقتصادى هو مهمة خطيرة امام الثورة

يشكل احراز الاستقلال السياسى والتحرر من السيطرة السياسية للامبريالية مضمون المرحلة الاولى ، الابتدائية ، لثورة التحرر الوطنى . ففى هذه المرحلة ، التى تم انجازها بنجاح فى جملة من البلدان النامية ، انتقلت سلطة الدولة من البرجوازية الامبريالية الاجنبية والطغمة الاقطاعية المحلية او وجهاء القبائل والعشائر الى القوى الوطنية للامة . ان نيل الاستقلال السياسى وقيام دول وطنية ذات سيادة فى آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية يشكلان اهم نتيجة سياسية لانهيار نظام الامبريالية الاستعمارى .

بيد ان احراز الاستقلال السياسى ليس المهمة الوحيدة لثورة التحرر الوطنى . فمن الهام بمكان ترسيخ المكتسبات المحققة والقضاء الى الابد على التبعية للاحتكارات الاجنبية ، الامر الذى يستحيل بدون احراز الاستقلال الاقتصادى . وقد كتب لينين ان ايديولوجيى الامبريالية عادة ما «يتحدثون عن التحرر **الوطنى** . . .

تاركين جانبا الكلام عن التحرر **الاقتصادى** . اما فى الحقيقة فان هذا الاخير هو الرئيسى» * .

مرحلة جديدة فى تطور الثورة

لم يضنّ الامبرياليون بالجهود والقوى من اجل تأبيد سيادتهم فى البلدان المستعمرة والتابعة ، ومن اجل ربط هذه البلدان الى الابد بالنظام الاقتصادى والسياسى الخاص بهم ، وكانوا يقمعون اقل محاولة من جانب الشعوب المضطهَدة لتنمية الاقتصاد الوطنى ، وخاصة الصناعة .

ومن الطبيعى تماما ان شعوب البلدان النامية لا تستطيع استخدام الموارد الطبيعية الهائلة لما فيه مصلحتها هى ، ولا تستطيع العمل من اجل نفسها وليس من اجل ارباح الامبرياليين الاجانب الا بعد تحرير اقتصادها من ضغط الاحتكارات الاجنبية . وثمة طريق واحد فقط من اجل ذلك هو طريق **تنمية الاقتصاد الوطنى** .

ان احراز الاستقلال الاقتصادى يشكل مضمون المرحلة الجديدة ، الثانية ، فى تطور ثورة التحرر الوطنى .

ويعتبر **التأميم** ، اى تسليم المشروعات الصناعية والنقل ووسائل الاتصال والبنوك ومؤسسات التجارة والخدمات والمدارس ودور التعليم العالى الى ملكية الدولة ، احدى اكثر الوسائل جذرية للتحرر من التبعية الاقتصادية . وتكون نتيجة التأميم انشاء القطاع العام فى الاقتصاد .

لقد احرز الكثير من الدول المتحررة نجاحات ملحوظة فى التأميم ، علما بأن التأميم شمل بالدرجة الاولى ملكية الاحتكارات الاجنبية ، وكذلك ملكية الجزء الموالى للامبريالية من البرجوازية المحلية . وقد اتاح التأميم وانشاء القطاع العام فى الاقتصاد لدول البلدان المتحررة ان تحل بنفسها بعض مسائل الحياة

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٢ ، ص ١٨٧ .

الاقتصادية وتؤثر فيها وتباشر بتنظيم تخطيط الاقتصاد . ويمكن للقطاع العام ان يصلح اساسا لتنمية الاقتصاد الوطنى فقط عندما تكون القوى الوطنية ، الديمقراطية ، قابضة على زمام السلطة ، وعندما يجرى التأميم لصالح الامة ، لصالح الجماهير الشعبية .

ان احراز الاستقلال الاقتصادى ممكن فقط عن طريق انشاء اقتصاد وطنى عالى التطور ، عن طريق تصنيع البلاد .

فالتصنيع يؤمن اعادة بناء جميع فروع الاقتصاد ، بما فى ذلك الزراعة ، على اساس تكنيكى حديث وبلوغ انتاجية عمل رفيعة . وهو يشكل اساسا لتعزيز دفاع البلاد وقاعدة لتقدم العلم والتكنيك والثقافة . فمن خلال التصنيع وحده يمكن ازالة التخلف الموروث عن الماضى وكسب الاستقلال الحقيقى . ان التصنيع شرط ضرورى لرفع مستوى حياة الشعب .

ويشكل **حل المسألة الزراعية لصالح الشعب واجراء تحويلات زراعية عميقة** جزءا مكونا هاما من برنامج بلوغ الاستقلال الاقتصادى . فمن المعروف ان اخصب وافضل الاراضى فى اكثرية البلدان المتحررة كانت تعود ، وليس نادرا انها تعود الآن ايضا للاحتكارات الاجنبية والاقطاعيين المحليين ووجهاء العشائر .

ونظرا لذلك **فان جوهر المسألة الزراعية ينحصر فى تصفية العلاقات الاقطاعية وما قبل الاقطاعية فى الزراعة ، والقضاء على الملكية ما قبل الاقطاعية والاقطاعية والاجنبية للارض ، وتمكين الفلاحين من العمل على هذه الارض وتقديم المساعدة لهم فى الاشتغال فيها .**

ان الطرق الملموسة للتحويلات الزراعية يمكن ان تكون مختلفة . ففى جملة من البلدان تجرى اصلاحات زراعية عميقة موجهة نحو الحد من مقاييس ملكية الارض الى درجة كبيرة ، ونحو تسليم الارض المصادرة من كبار الملاكين العقاريين والامبرياليين الاجانب الى الفلاحين للانتفاع بها . واكثر اشكال التحولات الزراعية جذرية هى اشاعة التعاون فى الزراعة التى بدأت تباشيرها تظهر فى بعض البلدان المتحررة .

ويجدر التنويه بأن المسألة الزراعية فى العديد من البلدان المتحررة لا تزال بعيدة عن الحل ، ولهذا السبب يبقى حلها احدى اكبر المهمات امام ثورة التحرر الوطنى .

ان التنمية الاقتصادية تستحيل بدون اشاعة الديمقراطية الواسعة فى حياة المجتمع والدولة ، وبدون اشراك جماهير الشعب الواسعة فى البناء ورفع مستوى تعليمها وثقافتها .

ويجرى حل اهم المهام الاجتماعية والاقتصادية لثورة التحرر الوطنى فى خضم صراع حاد بين القوى الاجتماعية . فاذا كان احراز الاستقلال السياسى ، الذى يشكل محتوى المرحلة الاولى للثورة ، يتحقق بجهود **جميع القوى الوطنية للامة فى النضال ضد الامبريالية الاجنبية** ، فان مهمة احراز الاستقلال الاقتصادى ، الذى يشكل محتوى المرحلة الثانية للثورة ، يجرى حلها لا فى النضال ضد الامبريالية فحسب بل **وفى الصراع بين مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية داخل البلاد** . فهذا النضال هو ، من حيث جوهره ، نضال فى سبيل طرق واساليب التطور اللاحق للمجتمع .

٤ – تجربة التطور الاشتراكي

ان اختيار طريق تطور الشعوب المتحررة هو مسألة هامة يرتبط حلها بالتصادم والصراع بين القوى الاجتماعية لان مختلف الطبقات والاحزاب تقترح حلولا مختلفة لها . فالقوى الرجعية ، بما فيها وبالدرجة الاولى البرجوازية الكبيرة وملاكو الاراضى ، تسعى الى توجيه تطور الامة فى الطريق الرأسمالى بغية الحفاظ على امتيازاتها وعلى الملكية الخاصة والاستغلال .

وتسعى قوى المجتمع التقدمية ، وفى المقام الاول الطبقة العاملة والفلاحون الكادحون ، الى توجيه البلاد فى طريق الاستقلال الحقيقى والازدهار والتقدم .

ان شعوب البلدان المتحررة تكره الرأسمالية . فلا تزال طرية جدا فى ذاكرتها ويلات الاستعمار ، ودفعت ثمنا غاليا جدا لقاء حريتها . وقد دلت خبرة التاريخ على ان الرأسمالية والامبريالية هما الحروب الدموية والنهب الاستعمارى ، وهما الاستغلال والبطالة والجوع والفقر . ولهذا السبب ترفض الشعوب الرأسمالية بكل قوة مهما كانت جذابة الالبسة التى تخلعها عليها جهود محاميها الايديولوجيين ومهما كانت براقة النعوت التى يطلقونها عليها («الرأسمالية الشعبية» ، «مجتمع الرفاه العميم» وغيرهما) .

وتشهد على عدم امكانية قبول الشعوب طريق التطور الرأسمالى الازمة العميقة التى شملت عددا من البلدان المتحررة التى سارت فى طريق الرأسمالية ، اى فى نفس ذلك الطريق الذى يتجاوب مع مصالح الامبرياليين واعوانهم والذى لا يترك للشعب سوى الفقر والاستغلال .

وطبيعى ان تقف الشعوب ضد الرأسمالية ، ضد الطريق الرأسمالى . بيد انه يوجد طريق آخر ايضا هو **الطريق الاشتراكي** للتطور ، طريق التوجه الاشتراكى . فلننظر فى ما يعنيه هذا الطريق واية افضليات يوفرها للشعوب المتحررة .

لقد علل لينين امكانية انتقال البلدان المتخلفة سابقا الى الاشتراكية دون المرور بالمرحلة الرأسمالية عامة او بمرحلة الرأسمالية المتطورة صناعيا ، علما بانه ربط هذه الامكانية بقيام وتطور الاشتراكية فى بلدان اخرى اكثر تطورا حيث يترتب على البروليتاريا تقديم مساعدة شاملة للشعوب المتخلفة فى تطورها الاقتصادى والسياسى .

وقد تحققت حاليا الاحكام اللينينية حول امكانية التطور الاشتراكي للبلدان المتخلفة . فمن اصل ٦٥ مليونا من السكان غير الروس ، الذين كانوا يقطنون روسيا عام ١٩١٧ ، كان ٢٥ مليونا ممن كانوا يعيشون فى الاطراف المستعمرة بآسيا الوسطى موجودين فى مراحل التطور ما قبل الرأسمالية ويحافظون لا على

اسلوب الانتاج الاقطاعى ونصف الابوى فحسب بل وعلى نمط الحياة العشائرية ايضا . ومر ما يزيد عن ٦٠ عاما واذا بهذه الاطراف تتحول بمساعدة الشعوب الشقيقة ، وبالدرجة الاولى الشعب الروسى ، الى جمهوريات اشتراكية ذات صناعة وزراعة وثقافة عالية التطور . وانشئت فى هذه الجمهوريات فروع صناعية جديدة وعصرية : الميتالورجيا ، وصناعة الآلات والادوات ، والهندسة الكهربائية وغيرها . كما تغيرت الزراعة ايضا : فقد غدت جماعية ورفيعة المكننة . وتم التغلب على التخلف الثقافى ونمت الكوادر الوطنية الكفوءة .

واجتازت منغوليا ، التى كانت فى الماضى بلدا شبه مستعمر ، الطريق من التخلف الاقطاعى الى الاشتراكية وهى تضع نصب عينيها مهمة التحول ، بمساعدة الاتحاد السوفييتى وسائر البلدان الاشتراكية وفى القريب العاجل ، الى دولة صناعية زراعية متطورة .

ان تجربة الجمهوريات السوفييتية فى آسيا الوسطى وتجربة منغوليا تدلان دلالة ساطعة على ما يستطيع ان يبلغه بمساعدة شعوب شقيقة شعب كان فى الماضى متخلفا وتحرر من نير الاستعمار والاستغلال . وهذه التجربة تعلم حاليا الشعوب المتحررة فى آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية ان الطريق المؤدى الى الاستقلال الحقيقى والتقدم هو بالنسبة لهذه الشعوب الطريق الاشتراكي .

الشروط والظروف المساعدة على الانتقال الى الطريق الاشتراكي

مما له دلالته ان السير فى الطريق الاشتراكي تساعد عليه فى العصر الراهن الشروط والظروف **الداخلية والخارجية** على السواء . ومن الشروط والظروف الداخلية نذكر :

– المتطلبات الموضوعية للتقدم الاجتماعى لدى البلدان المتحررة ، وخاصة ضرورة انشاء اقتصاد وطنى خاص بها قائم على منجزات العلم والتكنيك المعاصرين ؛

– تزايد ضعف مواقع الامبريالية والرجعية الداخلية وتوطد القوى الاجتماعية التقدمية المعادية للرأسمالية ، وبالدرجة الاولى الطبقة العاملة ، وتعزز نفوذ الاحزاب الماركسية ؛

– تكوّن وتعزز تحالف الطبقة العاملة مع الفلاحين ، وارتفاع النشاط السياسى للكادحين ووعيهم الطبقى والوطنى ، وانتشار افكار الاشتراكية فى اوساطهم ؛

– تطور الديمقراطية فى حياة المجتمع والدولة ، وخاصة الحركة النقابية وسائر المنظمات الديمقراطية ؛

– عجز البرجوازية عن ترؤس التحولات الاجتماعية الاقتصادية الجذرية وضمان الاستقلال السياسى والاقتصادى ؛

– احتمال انتقال زعماء البلدان المتحررة الى مواقع جذرية وتطور تفكيرهم باتجاه الاشتراكية العلمية

وانها لمؤاتية جدا الشروط والظروف **الخارجية** من اجل سير البلدان المتحررة فى الطريق المؤدى الى الاشتراكية . ومن بين هذه الشروط والظروف نذكر :

– اصابة قوى الامبريالية العالمية بضعف شديد وتعاظم قوى الاشتراكية العالمية ؛

– نجاحات النظام الاشتراكى فى التنمية الاقتصادية ، وفى رفع مستوى معيشة وثقافة الشعب ؛

– التجربة الغنية للبناء الاشتراكى ، وخاصة تجربة التطور الاشتراكي للبلدان المتخلفة سابقا ؛

– الوحدة المتزايدة توطدا بين البلدان المتحررة والنظام

الاشتراكى العالمى والحركة الشيوعية والعمالية العالمية ، وكذلك وحدة البلدان النامية نفسها فى النضال المشترك ضد الامبريالية .

وتتسم بأهمية كبيرة المساعدة الشاملة والمنزهة التى يقدمها الاتحاد السوفييتى وسائر بلدان الاشتراكية الى الشعوب المضطهدة سابقا . وقد ورد فى تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى الى المؤتمر الخامس والعشرين للحزب : «ان حزبنا يقدم وسيظل يقدم الدعم للشعوب التى تحارب من اجل حريتها . وفى هذا لا يبحث الاتحاد السوفييتى عن اية منافع لنفسه ولا يسعى وراء الامتيازات ولا يعمل من اجل السيطرة السياسية ولا يطلب قواعد حربية . انما نعمل كما يأمرنا ضميرنا الثورى ومعتقداتنا الشيوعية» * .

---

* «مواد المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعى السوفييتى» ، ص ١٥ .

الفصل الخامس

العملية الثورية العالمية والتعايش السلمى

١ – الماركسية-اللينينية عن الحروب العادلة والحروب الجائرة

اسباب الحروب

منذ القدم وايديولوجيو الطبقات الاستغلالية يدخلون فى روع الشعوب الفكرة الزاعمة بان اسباب الحروب متأصلة فى نفس

طبيعة الناس الذين يلازمهم منذ الازل النزوع الى الاصطدامات والنضال المسلح ضد بعضهم البعض . وقد حاول الاستغلاليون ، بايحائهم بهذه الفكرة السخيفة ، ولا يزالون يحاولون الآن ايضا ان يبرروا انفسهم من مسؤوليتهم عن الحروب وعن تلك المآسى التى تعانى منها الشعوب التى تزجها فى اتون الحرب الدموية السياسة الطائشة للطبقات السائدة .

ان النظرية الماركسية اللينينيـــــة تحدد جوهر الحروب واسبابها على النحو التالى : **الحرب ليست ظاهرة ازلية بل تاريخية** تولدها ظروف اجتماعية اقتصادية معينة . ففى النظام البدائى ، عندما لم تكن توجد لا طبقات ولا دولة وعندما كان الانتاج على درجة متدنية من التطور انتفت معها كل امكانيـــة للاستئثار الخاص ، لم تكن توجد حروب ايضا . وادى التطور اللاحق للانتاج الى نشوء الملكية الخاصة والطبقات . **ففى طبيعة المجتمع الطبقى التناحرى بالذات ، فى اساسه الاقتصادى – الملكية الخاصة ، وفى التناقضات المستعصية الملازمة له تكمن اسباب الحروب** . وقد كتب لينين : «ان الحرب لا تتناقض مع اسس الملكية الخاصة ؛ انما هى تطورها المباشر المحتوم» * .

الحروب هى استمرار لسياســـــة الطبقات السائـــدة . فالمستغلون يضطهدون الجماهير الكادحــــة ، ولا يندر ان يستخدموا السلاح لهذه الغاية . وفى ركضهم وراء الارباح يغزون شعوب البلدان الاخرى وينهبونها ويستعبدونها ، ويخوضون صراعا متواصلا ضد بعضهم البعض . وطالما يسود المستغلون فى المجتمع وطالما يقررون مصير السياسة العالمية فان المآسى الدموية تبقى مرافقا للبشرية لا مناص منه .

وتقدمت البشرية الى امام فى تطورها ، ولم تبق ادوات الحرب ايضا فى مكانها بل اصبحت اشد هولا وفتكا . وبالنتيجة اخذت الحروب تودى بالمزيد والمزيد من الارواح البشرية ، وتدمر المزيد والمزيد من القيم المادية . وانها لمعروفة جسامة

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٦ ، ص ٣٥٣ .

الخسائر البشرية والمادية التي سببتها الحربان العالميتان فقط . وستكون اشد فظاعة ايضا عواقب الحرب الحرارية النووية العالمية اذا لم يتسن درؤها .

الحروب العادلة والحروب الجائرة

الحروب على انواع ، فهناك حروب عادلة ، ثورية ، وحروب جائرة ، اغتصابية .

الحروب العادلة تشمل حروب الكادحين الذين هبوا للثورة الاشتراكية ضد المستغلين اذا لجأ هؤلاء الى السلاح لقمع المضطهَدين ؛ وحروب التحرر الوطنى التى تخوضها الشعوب ضد السيطرة الاستعمارية ؛ والحروب بهدف الدفاع عن هذه الدولة او تلك بوجه العدوان الخارجى ، الخ . . ومع نشوء الاشتراكية اكتسبت اهمية كبيرة الحروب العادلة دفاعا عن الدول الاشتراكية ، عن نظام الاشتراكية العالمى .

وتخاض الحروب العادلة دفاعا عن مكتسبات الاشتراكية ، وضد الاوضاع الاجتماعية البالية ، وضد الاستغلال والظلم الاستعمارى ، وهى تساعد على اقامة اوضاع اجتماعية جديدة ، تقدمية .

أفلم يساعد على التقدم الاجتماعى انتصار الشعب السوفييتى فى الحرب الوطنية العظمى (١٩٤١–١٩٤٥) ضد الفاشية الالمانية ، او حروب التحرر الوطنى فى الاعوام الاخيرة ؟ لقد ساعدت عليه بلا شك اذ انها موجهة ضد الامبريالية وتشكل نضالا فى سبيل التقدم الاجتماعى والاشتراكية . ولهذا بالذات ساند الشيوعيون ، وهم اشد انصار التقدم الاجتماعى ثباتا ، ويساندون الآن ايضا الحروب العادلة ، الثورية .

وتشمل الحروب الجائرة الحروب ضد بلدان الاشتراكية ؛ وحروب المستغلين ضد الكادحين ، وضد الحركات الثورية والديمقراطية ؛ والحروب الاستعمارية التى يشنها الامبرياليون بهدف استعباد شعوب البلدان التى تخلفت فى تطورها الاقتصادى ؛ والحروب التى يشنها المستغلون ضد بعضهم البعض من اجل

النفوذ الاقتصادى والسياسى فى العالم ؛ والحروب التى يشعلها اصحاب نزعة الهيمنة .

ان الشيوعيين اخصام للحروب غير العادلة ، الاغتصابية . الا انهم يربطون النضال ضد الحروب الاغتصابية ربطا وثيقا **بالنضال الاجتماعى ، بالنضال ضد الاستغلال ومن اجل انتصار الاشتراكية** . والشيوعيون على قناعة عميقة بأن اقامة الاشتراكية على الارض بوسعها وحدها ان تعتق البشرية للابد من الحروب ، من ابادة الناس ودمار قيم لا تحصى خلقها عمل الانسان وعقله .

٢ – سياسة التعايش السلمى

المبدأ اللينينى للتعايش السلمى

ان مبدأ التعايش السلمى بين دول ذات انظمة اجتماعية مختلفة طرحه لينين وعلله من جميع جوانبه . ففى الساعات الاولى للسلطة السوفييتية اعلن لينين فى كلمته امام المؤتمر الثانى للسوفييتات عام ١٩١٧ : «اننا نرفض جميع البنود التى تفرض السلب والعنف ، ولكن لا يسعنا ان نرفض بنودا تقضى بحسن الجوار واتفاقات اقتصادية ، بل سنقبلها بسرور» * .

وكان لينين على قناعة عميقة بان الاشتراكية سوف تنتصر عاجلا ام آجلا فى العالم اجمع . ولكن هذا الانتصار ، كما يقول لينين ، لا يستطيع ان يتحقق فى وقت واحد ودفعة واحدة فى جميع البلدان . فتبعا لمستوى الاقتصاد ودرجة حدة الصراع

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٥ ، ص ٢٠ .

الطبقى ، ولنسبة القوى بين البروليتاريا والبرجوازية ، ولظروف اخرى ستصل احدى البلدان الى الاشتراكية قبل غيرها . وانطلاقا من ذلك توصل لينين الى الاستنتاج القائل بانه خلال فترة معينة سوف تتواجد فى العالم الى جانب الدول الاشتراكية دول رأسمالية ايضا . وكان لينين نصيرا **للتعايش السلمى**

ان التعايش على اساس معقول ، التعايش السلمى ، يفترض : الامتناع عن الحرب كوسيلة لحل القضايا المتنازع عليها بين الدول ، وحلها عن طريق المفاوضات ؛ المساواة فى الحقوق والتفهم المتبادل والثقة بين الدول واخذ مصالح احداها الاخرى بعين الاعتبار ؛ عدم التدخل فى الشؤون الداخلية ، والاعتراف لكل شعب بالحق فى حل جميع مسائل بلاده بنفسه ؛ الاحترام الصارم لسيادة جميع البلدان وحرمة اراضيها ؛ تطوير التعاون الاقتصادى والثقافى على اساس المساواة التامة والمنفعة المتبادلة .

بيد ان مبدأ التعايش السلمى لا يعنى التخلى عن النضال المسلح اذا ما انتهكت القوى الامبريالية السلم بقوة السلاح وسعت الى فرض سيطرتها على هذا الشعب او ذاك . وهذا المبدأ لا ينسحب على العلاقات بين المضطهِدين والمضطهَدين ، بين

المستعمرين وضحايا الظلم الاستعماری . فالذود عن الاستقلال والحرية والنضال ضد عدوان واضطهاد الامبرياليين بقوة السلاح هما حق مقدس من حقوق كل شعب .

ولا يتخلى الامبرياليون عن مخططاتهم اللاانسانية ، وهذا يعنى ان التعايش السلمى بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة يمكن الحفاظ عليه وضمانه فقط بالنضال المتفانى لجميع الشعوب ضد المطامع العدوانية للامبريالية .

النضال الطبقى فى ظل التعايش السلمى

ان التعايش السلمى لا يعنى على الاطلاق مهادنة التناقضات بين الاشتراكية والرأسمالية ، والتخلى عن النضال الطبقى . لقد كان الماركسيون-اللينينيون دائما ويبقون انصارا دؤوبين للنضال الطبقى ، لنضال الكادحين ضد البرجوازية ، معتبرين ان النضال الطبقى وحده وشكله الاعلى – الثورة الاشتراكية – يشكلان اداة القضاء على الرأسمالية واقامة المجتمع الجديد ، الاشتراكى .

الصراع الايديولوجى فى ظل التعايش السلمى

ان التعايش السلمى لا يسرى على ميدان الايديولوجيا ، فمصالحة الايديولوجيا الشيوعية والايديولوجيا البرجوازية امر مستحيل . الايديولوجيا الشيوعية هى ايديولوجيا الطبقة العاملة والكادحين . وهدفها هو تعليل حتمية انتصار الاشتراكية والشيوعية ، والاشارة الى طرق بلوغ هذا الانتصار ، وكشف جوهر المجتمع الجديد ، وتبيان افضلياته وامكانياته . اما الايديولوجيا البرجوازية فتضع نصب عينيها هدفا مغايرا هو تعليل ابدية ورسوخ مجتمع الملكية الخاصة والاستغلال ، المجتمع الرأسمالى .

فى الصراع الضارى ضد الرأسمالية يتغلب فى الوقت الحاضر النظام الجديد – الاشتراكية . ويشكل الصراع بين الايديولوجيتين الشيوعية والبرجوازية انعكاسا للصراع بين الرأسمالية والاشتراكية فى وعى الناس .

وتتصف المرحلة المعاصرة للتطور التاريخى بالتفاقم الحاد للصراع الايديولوجى . وكل الجهاز الضخم للدعاية المعادية للشيوعية موجه الآن نحو اضعاف وحدة البلدان الاشتراكية والحركة الشيوعية العالمية ، وتشتيت شمل القوى الطليعية للعصر الراهن ، ومحاولة تقويض الاسرة الاشتراكية من الداخل .

وفى هذه الظروف يكتسب اهمية خاصة النضال الذى لا هوادة فيه ضد الايديولوجيا البرجوازية ، والتربية الشيوعية للشغيلة ، وتقوية مجمل العمل الايديولوجى ، وذلك ما يشكل احدى اكثر مهام الحزب الشيوعى اهمية .

ان قوة جاذبية الافكار الشيوعية والاهتمام الشديد بها فى شتى بقاع كوكبنا الرحب تتفسر فى انها ، اى هذه الافكار ، **تطابق متطلبات تطور البشرية وتتجاوب مع اكثر مصالح الناس الحاحا .**

والصراع الايديولوجى لا يتعارض على الاطلاق مع مبدأ التعايش السلمى .

اما فيما يتعلق بمحاولات مصالحة صراع الايديولوجيات فهى محاولات محكوم عليها بالفشل سلفا . **فلا وجود ولا يمكن ان يكون ثمة وجود للصلح بين الافكار الشيوعية والافكار البرجوازية لانه لا يمكن ان يكون ثمة وجود للصلح بين الطبقات التى تعكس هذه الافكار مصالحها** . فالصلح فى مجال الايديولوجيا من شأنه ان يعنى بالنسبة للشيوعيين التخلى عن المبادىء الاساسية للماركسية-اللينينية ، التخلى عن المصالح الجذرية للطبقة العاملة والكادحين كافة ، وهذا امر مستحيل وغير وارد على الاطلاق . ويمكن الاعتقاد بان ممثلى العالم البرجوازى ايضا ، رغم اقاويلهم عن الصلح الايديولوجى ، ليسوا فى الواقع ميالين ابدا الى التخلى عن مبادئهم الفكرية . وليس من باب الصدفة انهم يتخذون كافة التدابير من اجل عرقلة انتشار الافكار الشيوعية وحرمان جماهير الشعب الواسعة من تأثيرها . لذا فان دعوات

سياسة وايديولوجيي الامبريالية الى الصلح الايديولوجى لا ينبغى اخذها على محمل الجد . فهى ، بالاحرى ، دعوات الى الاستسلام لصالح ايديولوجيتهم هم ، التى لا يستطيع الماركسيون الموافقة عليها بالطبع .

ان كل محاولة لعرقلة الصراع الايديولوجى ، وبصورة أَولى ايقاف هذا الصراع ، هى محاولة عقيمة ايضا لان للافكار ميزاتها الخاصة فى التأثير على الناس وقوانينها الخاصة فى الشيوع والانتشار . فبالنسبة للافكار لا توجد حدود دولية ، وهى لا تهاب لا القواعد العسكرية ولا الغواصات الذرية . والافكار قادرة ، فى حال وجود وسائل اعلام واتصال عصرية ، على قطع مسافات هائلة . فاذا كانت هذه الافكار افكارا صادقة وتتجاوب مع مصالح الناس الملحة فهى تأسر عقولهم وقلوبهم بصورة غير مرئية .

ومن الطبيعى ان الصراع الايديولوجى يجب ان يخاض بالطرق المعقولة . وهو لا يمت باية صلة للحرب «النفسية» التى تهدف الى اثارة المشاعر المشوهة ، مشاعر اليأس والخوف والانانية وعدم الثقة والحقد فى قلوب الناس . فالصراع الايديولوجى امر آخر : ان طريقته الاساسية هى **طريقة الايضاح والاقناع والتأثير فى العقل البشرى** . وينبغى له ان يكون متحررا من تشويه وقائع وسياسة واهداف الجانب الآخر ، ومن الافتراءات والاهانات المتبادلة ، ومن تسعير المطامع والنزوات والمشاعر غير السليمة فى نفس الانسان . والصراع الايديولوجى هو صراع من اجل عقول وقلوب الناس ، صراع بدون استخدام القوة ، والسلاح بصورة أَولى . ولا حاجة لسباق التسلح ولا لتأزيم العلاقات بين الدول من اجل خوضه .

والصراع الايديولوجى يتوافق تمام التوافق مع مبادئ التعايش السلمى ، لا يتعارض مع

التبادل العلمى

التكنيكى والروابط الثقافية فيما بينها . ان الشيوعيين يقفون بثبات فى مواقع الماركسية-اللينينية ، وهم على قناعة عميقة بافضليات النظام الاشتراكى وبانتصاره المحتوم . وهم لا يخفون

نواقصهم ايضا ، ويدركونها جيدا ويعملون بلا كلل من اجل ازالتها . والشيوعيون ينادون بالصراع الايديولوجى ولا يخافونه لانهم يؤمنون بصحة قضيتهم ومبادئهم الفكرية .

لندافع عن مكتسبات الاشتراكية

ان الدول الاشتراكية تهتم دوماً بتعزيز دفاعها وتزويد قواتها المسلحة بأسلحة من أحدث طراز لتستطيع عند الضرورة الرد بصورة حازمة على المعتدين الإستعماريين.

ان جيوش البلدان الرأسمالية تدافع عن مصالح البورجوازية، وهي أداة لتحقيق مطامع القوى الإمبريالية الرجعية، ولتحطيم الحركة الثورية للشغيلة. وعلى الضد من جيوش الدول البورجوازية فان القوات المسلحة للاتحاد السوفييتي أداة للدفاع عن المكتسبات الاشتراكية والسلم. وهي تقوم برسالتها النبيلة هذه بوحدة وثيقة مع جيوش البلدان الاشتراكية الأخرى.

ومن أجل مواجهة العدوان الإمبريالي بصورة أفضل، وخصوصاً حلف شمال الأطلسي العدواني، توحدت جيوش البلدان الاشتراكية الأوربية في معاهدة وارشو. وهي اذ تتعاون فيما بينها في التزود بالتكنيك الحربي الحديث والتمكن من الأساليب الحديثة في القتال، فانها تواجه العدوان الإمبريالي بنجاح وتشكل دعامة جبارة لشعوب البلدان النامية في نضالها ضد تصدير الثورة المضادة والكولونيالية انها عامل قوي يوقف المطامع العدوانية للإمبرياليين[١]، ودعامة هائلة لجميع القوى الثورية المحبة للسلم.

ان القوات السوفيتية المسلحة تحوز كل ما هو ضروري للقيام بمهماتها. انها تملك أسلحة نووية صاروخية ذات أهمية ستراتيجية وتاكتيكية. أسلحة باستطاعتها ان تدمر مختلف الأهداف البرية والجوية والبحرية. ان الصواريخ التي تحمل أسلحة نووية أصبحت أساس القوة النارية في الجيش السوفييتي والاسطول السوفييتي وتتزود القوات الجوية بأحدث الطائرات ذات السرعة الهائلة ووسائل القتال القوية. ويضم الاسطول السوفييتي غواصات ذرية مسلحة بصواريخ وطوربيدات تحمل رؤوساً نووية، قادرة – وهي تحت الماء – على تحطيم أهداف تبعد عنها مئات والوف الكيلومترات. وتطبق على نطاق واسع في التكنيك الحربي وسائل الأتمتة والمكننة التي تعطي القوات المسلحة امكانية السيطرة بصورة فعالة في البر والجو، وفوق الماء وتحته، من أجل تحقيق أحسن تعاون فيما بينها.

ان هذا التكنيك الجبار يوجد في أيدي مقاتلين يعرفون بعمق فن الحرب ومن ذوي الإعداد العالي، مثقفين ومفعمين بالإخلاص لقضية الشعب والحزب، مقاتلين هم على استعداد في كل لحظة للدفاع بتفاني عن مكتسبات الاشتراكية العظيمة.

---

[١] - هذا ما يعرف بالسلم المسلح. – ملاحظة الصوت الشيوعي.

الفصل السادس

الاشتراكية – الطور الاول للشيوعية

١ – المرحلة الانتقالية من الرأسمالية الى الاشتراكية

ضرورة المرحلة الانتقالية

كما ان البيت او اى مبنى آخر يمكن بناؤهما فقط من المواد الموجودة فى حوزة البنائين ، كذلك الاشتراكية ، هذا المبنى الاجتماعى الجديد ، انما يجرى انشاؤه من تلك المواد التى يرثها الناس من الرأسمالية . ان الاشتراكية تبنى على اساس منجزات انتاج وتكنيك الرأسمالية وعلمها وثقافتها ، يبنيها اناس ترعرعوا وتربوا باكثريتهم فى ظل الرأسمالية . ومع ذلك **فالاشتراكية هى مجتمع جديد نوعيا** .

ان اقتصاد الرأسمالية وعلاقاتها الاجتماعية وثقافتها الروحية ، القائمة على الملكية الخاصة والاستغلال ، تخدم مصالح حفنة ضئيلة من الناس – مالكى وسائل الانتاج ، اما الاشتراكية ، القائمة على الملكية الاجتماعية وعلاقات التعاون والمساعدة المتبادلة بين الناس ، فهى مجتمع الكادحين ومن اجل الكادحين . والرأسمالية هى مجتمع يتطور بصورة عفوية ، اما الاشتراكية فهى مجتمع **موجه توجيها واعيا** . وطبيعى ان بناء الاشتراكية ليس امرا ممكنا بدون اجراء تحويلات نوعية جذرية لجميع نواحى الحياة الاجتماعية . بيد ان اجراء هذه التحويلات يصطدم بمقاومة ضارية من جانب الطبقات الاستغلالية المخلوعة .

ومن اجل التغلب على مقاومة الاستغلاليين والقيام بتحويلات اشتراكية جذرية فى الاقتصاد والعلاقات الاجتماعية والحياة

الروحية ، ومن اجل وضع كل ذلك فى خدمة انسان العمل ، لا بد من **مرحلة انتقالية من الرأسمالية الى الاشتراكية** .

ان المرحلة الانتقالية من الرأسمالية الى الاشتراكية هى تلك المرحلة التى تكون فيها البرجوازية قد فقدت زمام السلطة بينما تكون الرأسمالية لم تصفّ بعد نهائيا ولا تكف الطبقات الاستغلالية ، التى فقدت سلطتها ، عن صراعها ضد الطبقات الكادحة المنتصرة ، انها تلك المرحلة التى تجرى فيها تحولات اشتراكية عميقة بينما الاشتراكية لم تبن بعد .

القوانين العامة والاشكال المتنوعة لبناء الاشتراكية

ان تجربة بناء الاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى وبلدان اخرى تتيح التأكيد على ان القوانين الاساسية لبناء المجتمع الجديد ترتدى اهمية دائمة غير مؤقتة . فهذه القوانين تتكرر لدى وجود ظروف مطابقة فى البلدان الاخرى التى ولجت طريق البناء الاشتراكى . وهى تكتسب بذلك معنى **القوانين العامة للانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية** .

وهذه القوانين ليست ، فى نفس الوقت ، مماثلة على الاطلاق فى مختلف البلدان . فكل بلد ، يبنى الاشتراكية ، يملك ظروفا خاصة تمتاز عن ظروف البلدان الاخرى – مستوى تطور الاقتصاد والثقافة ، تاريخه الخاص ، الظروف المناخية واحتياطيات الثروات الطبيعية ، نسبة القوى الطبقية ، خصائص الشعب القومية وتقاليده ، الخ . بالاضافة الى عدم تماثل الظروف الدولية التى تقوم مختلف البلدان فى ظلها ببناء الاشتراكية . لذا توجد فى كل بلد **ميزات خاصة به للانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية** . وقد كتب لينين : «ستصل جميع الامم الى الاشتراكية ، ان هذا امر محتوم . ولكنها لن تصل جميعها على صورة واحدة ، فستحمل كل منها امرا تتفرد به الى هذا الشكل او ذاك من اشكال الديمقراطية ، الى هذا المظهر او ذاك من

مظاهر دكتاتورية البروليتاريا ، الى هذه السرعة او تلك فى تحويل مختلف وجوه الحياة الاجتماعية على اسس الاشتراكية» * . وينجم عن ذلك ان خصائص بناء الاشتراكية فى هذا البلد او ذاك تتعلق لا بجوهر التحويلات الاشتراكية بل **باشكال وطرائق ومواعيد ووتائر وكثافة** هذه التحويلات . وهى لا تبطل القوانين العامة .

سلطة الطبقة العاملة والدور القيادى للحزب الشيوعى هما الشرط الحاسم لبناء الاشتراكية

تشكل **سلطة الطبقة العاملة والدور القيادى للحزب الشيوعى** الشرط الحاسم لبناء المجتمع الاشتراكى . ان وجود دولة البروليتاريا والدور القيادى للطبقة العاملة ولطليعتها – حزب الشيوعيين – هما اهم قانون لبناء الاشتراكية .

وتبعا للظروف التاريخية الملموسة لتطور هذا البلد او ذاك يمكن لاشكال سلطة الطبقة العاملة ، سلطة جميع الكادحين ، ان تكون مختلفة . ففى الاتحاد السوفييتى تحققت سلطة الشعب الكادح لاول مرة فى التاريخ على شكل سوفييتات ، وفى عدد من بلدان الاشتراكية الاخرى على شكل الديمقراطية الشعبية . وخلافا للسوفييتات يتسم التركيب الاشتراكى فى بعض البلدان (بلغاريا ، جمهورية المانيا الديمقراطية ، بولونيا وغيرها) بتعدد الاحزاب وباستخدام الاشكال البرلمانية التقليدية (مجلس الدولة فى المجر ، مجلس السيم فى بولونيا ، وغيرهما) ، وبوجود جبهة شعبية (وطنية) وهى منظمة جماهيرية تضم اكثر فئات الشعب اختلافا تحقق بناء الاشتراكية تحت قيادة الحزب الشيوعى . بالاضافة الى ذلك فان الديمقراطية الشعبية لا تحرم من الحقوق السياسية ممثلى الطبقات الاستغلالية والعناصر غير الكادحة باستثناء مجرمى الحرب وشركائهم .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٠ ، ص ١٢٣ .

الاقتصاد هو اساس الحياة الاجتماعيـــة ، لذا تكتسب التحويلات الاقتصادية ، وبالدرجة الاولى تحويل الملكية الخاصة الى ملكية اجتماعية (عامة) ، اهمية حاسمة فى المرحلة الانتقالية . ان اهم وسيلة لاقامة الملكية الاجتماعية هى التأميم الاشتراكى .

التأميم الاشتراكى هو مصادرة وسائل الانتاج الاساسية : المعامل ، سكك الحديد ، المحطات الكهربائية ، النقل البحـرى وبسكك الحديد ، المؤسسات الزراعية والتجارية الضخمة الخ . من البرجوازية واحالتها الى ملكية الدولة البروليتارية . ويرتدى اهمية كبرى خاصة تأميم الصناعة الضخمة والمصارف والتجارة الخارجية . ففى هذه الحالة تأخذ الدولة بايديها الروافع الحاسمة التى تمكّنها من التأثير على تطور البلاد الاقتصادى لما فيه مصلحة الشغيلة ، وتنظيم ادارة الاقتصاد والعمليات الاجتماعية الاخرى ، وتحقيق الانتاج المخطط ، وحساب وتوزيع المنتجات ، وضمان استقلال البلاد الاقتصادى عن الرأسمالية .

وبنتيجة التأميم ينشأ فى اقتصاد البلاد **نمط اشتراكى** قائم على الملكية الشعبية العامة . وفى نطاق النمط الاشتراكى يجرى القضاء على الاستغلال وازالة التناقض بين الطابع الاجتماعى للانتاج والشكل الخاص للتملك ، وهو التناقض الملازم للمجتمع الرأسمالى ، وتأخذ عفوية التطور بالزوال مخلية المكان تدريجيا للاسس الموجهة المبرمجة . وفى المؤسسات المؤممة تكتسب الدولة البروليتارية اساسا اقتصاديا متينا يأخذ فى الاتساع والتوطد بمقدار التقدم نحو الاشتراكية .

وتبعا للظروف الملموسة يمكن للتأميم ان يتحقق بصورة مباشرة او غير مباشرة عبر جملة من المراحل الانتقالية الوسطية .

تُعتبر **رأسمالية الدولة** احدى المراحل الانتقالية نحو التأميم . ويمكن لاشكال رأسمالية الدولة ان تكون مختلفة . فمنهـــا الامتيازات وتأجير مؤسسات لارباب عمل خاصين ، ومنهـــا المؤسسات المختلطة العائدة للدولة ولملاك خاص فى آن معا ، الخ . وفى هذه الحالة تكون الطبيعة الاجتماعية والاقتصادية

لهذه المؤسسات هى نفسها : انها مؤسسات تعمل باشراك الرأسمال الخاص ولكنها موجودة تحت اشراف الدولة البروليتارية »، وتنفذ مطالبها وتستخدمها الدولة لصالح بناء الاشتراكية .

وثمة اشكال انتقالية اخرى نحو التأميم هى مختلف انواع **الاشراف العمالى** الذى تقوم به فى المؤسسات الرأسمالية جماعات العمال والمستخدمين العاملة فيها . ان الشغيلة يبسطون اشرافهم على تنظيم وادارة الانتاج ، وعلى قبول وصرف العمال والمستخدمين ، وعلى نوعية المنتجات وتوزيعها ، وعلى نظام اجور العمل ، الخ . . وابان عملية الاشراف العمالى يجتاز الشغيلة مدرسة جيدة من ادارة الانتاج والتوزيع ، ويكتسبون خبرات التمويل والحساب ، والخ . .

كما يجرى فى المرحلة الانتقالية تأميم (كلى او جزئى) **للارض** العائدة لكبار الملاكين العقاريين والاقطاعيين . ففى الاتحاد السوفييتى ، مثلا ، اممت كل الارض ، وسُلّم قسمها الاكبر الى الفلاحين للانتفاع بها الى الابد وبدون مقابل . اما القسم الآخر فقد استخدمته الدولة من اجل تنظيم المؤسسات الزراعية التابعة للدولة (السوفخوزات) . وفى البلدان الاشتراكية الاخرى امم قسم من الارض ، اما القسم الآخر فقد جرى تمليكه للفلاحين .

ان الانتصار التام للنمط الاشتراكى وانشاء اقتصاد الاشتراكية يفترضان بالضرورة تحويل اقتصاد صغار المنتجين — الفلاحين .

فبأية طريقة ، اذن ، يجرى قيام ورسوخ الملكية الاشتراكية فى الريف ، فى الزراعة ؟

ان الفلاحين القليلى الارض والمحرومين منها والاجراء الزراعيين يشتركون بنشاط فى الثورة على امل الحصول على الارض والتحول الى مزارعين اكثر يسرا . والثورة المنتصرة لا يمكن ان تخيب آمالهم . فابان الثورة يتم عادة تمليك قسم هام من اراضى كبار الملاكين السابقين لاولئك الذين يعملون فيها ، اى الى الاجراء الزراعيين والفلاحين الفقراء والمتوسطين ، ونتيجة لذلك

يحصل لا تكبير الاستثمارة بل ، على العكس ، زيادة تفتيتها . لذا ، فان عدد صغار المنتجين فى الزراعة لا ينقص بعد الثورة بل يزداد .

ان الطريقة الممكنة الوحيدة فى هذه الظروف لتحويل الريف تحويلا اشتراكيا هى **اشاعة التعاونية فى الزراعة . فالاستثمارات الخاصة الصغيرة فى الريف تتوحد طوعا فى استثمارات كبيرة ، جماعية ، تدعى تعاونيات .**

واهم ميزة من ميزات التعاونيات هى تعميم العمل ووسائل الانتاج الاساسية . وتبعا لدرجة تعميم العمل والادوات يمكن للتعاونيات ان تكتسب اشكالا مختلفة . وقد اعطت تجربة اشاعة التعاونية فى الزراعة فى الاتحاد السوفييتى وغيره من بلدان الاشتراكية ثلاثة اشكال اساسية للتعاونيات :

١ – جمعية الفلاحة المشتركة للارض . انها الشكل الادنى ، الاولى ، للتعاونيات . فوسائل الانتاج والارض هنا لا تعمم بل يعمم العمل فقط ، حيث يتوحد الفلاحون من اجل القيام بصورة مشتركة بهذه الاعمال الزراعية او تلك .

٢ – التعاونية التى تعمم فيها وسائل الانتاج والعمل بينما تبقى الارض ملكا للفلاحين . وتوزع المداخيل ايضا تعبا لذلك : فقسمها الاكبر يوزع حسب العمل ، اما القسم الاصغر فتبعا لمساحة الارض العائدة لعضو التعاونية .

٣ – الارتيل الزراعى . هنا تعمم الارض والعمل ووسائل الانتاج ، والتوزيع حسب العمل هو الشكل الوحيد للتوزيع – انه شكل اعلى للاستثمارة التعاونية ويطلق عليه فى الاتحاد السوفييتى اسم الكولخوز (الاستثمارة الجماعية) .

ان تعميم العمل ووسائل الانتاج لدى اشاعة التعاونية لا يعنى القضاء على الاستثمارة الشخصية ، اذ يبقى ملكا لعضو التعاونية البيت والادوات المنزلية وماشية اللحوم والحليب وبعض ادوات العمل التى تتيح له العمل فى استثمارته الشخصية على قطعة الارض الموضوعة تحت تصرفه .

وتمارس اشاعة التعاونية تأثيرا مؤاتيا جدا على تطوير الانتاج الزراعي . فهي تكبر الاستثمارة ، وتفسح المجال امام

استخدام التكنيك الآلى العصرى ومنجزات العلم ، وتوفر امكانية الاستخدام استخداما اكثر صوابا للقوة العاملة ووسائل الانتاج الموحدة . هذا ، بالاضافة الى ان الزراعة تغدو ، بنتيجة رسوخ الملكية الاشتراكية ، **قابلة للادارة** ايضا وتُجتذب الى دائرة التخطيط والتوجيه على نطاق الدولة بأسرها . اما التوجيه الواعى للاستثمارات الفردية الصغيرة ذات التطور العفوى وتخطيط نشاطها فأمر غير ممكن عمليا . ونتيجة لاشاعة التعاونية يزداد انتاج المنتجات الزراعية .

يعتبر **التصنيع الاشتراكى ، اى انشاء صناعة ضخمة عصرية قائمة على احدث منجزات العلم والتكنيك** شرطا لا بد منه وهاما للغاية واساسا لبناء الاشتراكية ولا سيما فى البلدان ذات التطور الصناعى الضعيف او غير الكافى .

كما يرتدى التصنيع اهمية **اجتماعية سياسية** كبيرة مرتبطة بتعزيز الملكية الاجتماعية فى ميدان الاقتصاد الحاسم ، وبازاحة العناصر الرأسمالية فى المدينة وبانتصار النمط الاشتراكى فى الصناعة . ويعنى نمو الصناعة الضخمة تعاظم دور الطبقة العاملة ومكانتها فى الحياة الاجتماعية ، وتأثيرها على سائر الطبقات والفئات الاجتماعية . وهذا يعنى انه بتطوير التصنيع تتوسع وتتوطد لا القاعدة الاقتصادية للدولة البروليتارية فحسب بل وقاعدتها **السياسية** ايضا ، وتترسخ مواقع القوى الاجتماعية الاشتراكية .

وتختلف اشكال وطرائق التصنيع الاشتراكى اختلافا جذريا عن التصنيع الرأسمالى الذى يجرى تحقيقه عن طريق استغلال الكادحين ونهب شعوب البلدان الاخرى ، او عن طريق ابتزاز اتاوة حربية من الشعوب المهزومة . اما التصنيع الاشتراكى فيجرى تحقيقه بالدرجة الاولى بواسطة **التراكمات الداخلية** التى يتم الحصول عليها بنتيجة زيادة انتاجية العمل ، وتطبيق التخطيط فى الاقتصاد ، والاستخدام الرشيد للمواد والايدى العاملة والموارد المالية .

واهداف التصنيع الاشتراكى مغايرة ايضا من حيث المبدأ . ففى حين ان هدف التصنيع الرأسمالى هو حصول الرأسماليين

على اكثر ما يمكن من الارباح ، فان التصنيع الاشتراكى يخضع فى نهاية المطاف لهدف انسانى ، هدف خدمة انسان العمل وتلبية حاجاته ، هدف تطوير الانسان من كافة النواحى .

لقد جرى التأميم واشاعة التعاونية فى الزراعة ، شأنهما شأن التصنيع ، بطرق مختلفة فى البلدان التى ولجت طريق التطور الاشتراكى . ففى البلاد السوفييتية جرى التأميم فى مهل قصيرة جدا : خلال بضعة اشهر فقط (من كانون الاول - ديسمبر - ١٩١٧ لغاية حزيران - يونيو - ١٩١٨) . ولم تحظ الاشكال الانتقالية ، وعلى الاخص رأسمالية الدولة ، بانتشار واسع هنا نظرا لكون البرجوازية لم ترغب فى قبول هذه الاشكال وكانت تعرقل اجراءات السلطة السوفييتية بشتى الوسائل . وفى البلدان الاشتراكية الاخرى استمرت عملية التأميم بضع سنوات . ففى هذه البلدان جرت فى البداية مصادرة المؤسسات العائدة الى اعوان المحتلين الفاشيين ، ومن ثم تأميم المؤسسات الاخرى تدريجيا . وانتشرت هنا بصورة واسعة مختلف اشكال رأسمالية الدولة ، ولا سيما المؤسسات المختلطة . وفى عدد من البلدان دفُعت تعويضات للملاكين السابقين عن مصادرة مؤسساتهم ، بينما لم تدفع اية تعويضات فى البلاد السوفييتية .

وانها لمتنوعة وفريدة كذلك اشكال التحولات الاشتراكية للزراعة فى مختلف البلدان . ففى تشيكوسلوفاكيا ، مثلا ، تكونت اربعة اشكال للتعاونيات الزراعية يمتاز احدها عن الآخر بدرجة تعميم وسائل الانتاج والعمل . وفى كوبا ، حيث ينتشر انتشارا واسعا انتاج قصب السكر وغيره من المزروعات ، انشئت استثمارات ضخمة تابعة للدولة : المزارع الشعبية التى تبلغ حصتها حاليا اكثر من ثلاثة ارباع محصول قصب السكر ومجمل انتاج المزروعات الصناعية ونصف عدد رؤوس الابقار .

اعادة تنظيم العلاقات القومية

تشكل **اعادة تنظيم العلاقات القومية على اسس اشتراكية** احدى المهام الكبرى فى المرحلة الانتقالية . ويتسم حل هذه المهمة

بأهمية كبيرة بوجه خاص فى البلد المتعدد القوميات حيث توجد ، الى جانب الامة السائدة ، امم خاضعة ، مضطهدة . هكذا كان الحال فى روسيا القديمة التى كانت تقطنها عشرات من الشعوب الكبيرة والصغيرة .

لقد صاغ الحزب الشيوعى تحت قيادة لينين برنامجا ملموسا لحل المسألة القومية . اما المبادئ الاساسية لهذا البرنامج فهى : **اشاعة الديمقراطية الكاملة فى الحياة الاجتماعية ، اقامة مساواة تامة فى الحقوق لجميع الاجناس والامم ، منح الامم حق تقرير مصيرها بنفسها وصولا الى انشاء دول مستقلة ، التلاحم الاممى لشغيلة جميع قوميات البلاد** . وقد ساعد البرنامج القومى اللينينى ، المفعم بالاحترام للشعوب كبيرها وصغيرها وبالاهتمام العميق بحاجاتها وامانيها ، على تلاحم شغيلة القوميات المتعددة فى روسيا .

وقد اعلن «بيان حقوق شعوب روسيا» ، الذى اقرته الحكومة السوفييتية بتاريخ ١٥ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٧ ، تصفية الاضطهاد القومى ، واقامة المساواة السياسية والحقوقية للامم والاقوام العديدة . بيد انه كان من المستحيل ان تقتصر قضية تحرير الامم على تصفية الاضطهاد القومى ومساواة الامم فى الحقوق السياسية والقانونية . فقد كان الامر الرئيسى ينحصر فى **القضاء على تخلفها الاقتصادى والثقافى المزمن** الذى ورثته عن روسيا القيصرية . وافلحت الدولة الاشتراكية السوفييتية فى حل هذه المهمة الصعبة ايضا . فهى لم تكتف بمنح الامم المضطهدة سابقا الحق فى التطور الحر بل وساعدتها على ازالة التخلف وبلوغ ذرى شاهقة فى تنمية اقتصادها الوطنى وثقافتها .

وعلى اساس تطور الاقتصاد نمت فى الجمهوريات السوفييتية كوادر وطنية كفوءة وفئة مثقفين كثيرة العدد . وتم القضاء على التخلف الثقافى . **لقد قامت شعوب الاتحاد السوفييتى ليس فقط بأعمق انقلاب فى الحياة الاقتصادية بل وبأعظم ثورة ثقافية ايضا .**

وغدت كافة جمهوريات الاتحاد السوفييتى جمهوريات تنعدم فيها الامية ، وانشئ فيها عدد كبير من المدارس ودور التعليم العالى ومؤسسات البحث العلمى والثقافة . وتحولت الشعوب

المتأخرة سابقا الى امم جديدة نوعيا ، اشتراكية ، توحدها جامعة المصالح الاقتصادية والسياسية والروحية فى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية الواحد .

لقد دلت تجربة البناء القومي فى الاتحاد السوفييتي بصورة مقنعة على ان الثورة الاشتراكية وحدها تهيئ الظروف من اجل القضاء التام على الاضطهاد القومى ، ومن اجل الاتحاد الطوعى لشعوب حرة ومتكافئة فى دولة واحدة ، ومن اجل الازدهار الحقيقى للامم والتقارب فيما بينها .

الثورة الثقافية

تنحصر المهمة الرئيسية للثورة الثقافية فى **جعل الثقافة شعبية حقا** . ويلزم لذلك ، اولا ، تحويل جميع الثروات الروحية ومكتسبات العلم والفن الى ملكية للشعب بأسره . ثانيا ، اعلاء المستوى التعليمى والثقافى لكل جمهور الكادحين وفتح المجال واسعا امام المواهب الشعبية ، امام التطور الكامل لقوى الشعب الخلاقة .

ان الدولة الاشتراكية تؤمم وتضع تحت تصرف الشعب بأسره كافة مؤسسات الثقافة وجميع وسائل التأثير الروحى على الناس : المسارح ، المتاحف ، دور السينما ، الاذاعة ، التلفزيون ، الصحافة ، الخ . ، كما تبنى مؤسسات ثقافية جديدة . وهى تأخذ فى يديها قضية تعليم وتربية الشغيلة ، وتعيد تنظيم دور التعليم العام والتخصصى (الثانوية والعليا) بصورة جذرية وتضعها فى متناول الشعب . وبهذا تنفتح امام فئات واسعة من الشغيلة امكانيات لم يسبق لها مثيل من اجل الالمام بمكتسبات الثقافة البشرية ورفع مستواهم التعليمى العام والتخصصى .

لقد اخذت الطبقة العاملة المتحالفة مع الجماهير الكادحة فى روسيا السلطة فى بلد كانت اكثرية سكانه اميين وكان التعليم والتثقيف فى انحطاط عميق . وعملت الدولة السوفييتية الشيء الكثير بوجه خاص من اجل تعليم وتثقيف شعوب الاطراف القومية المتخلفة فى روسيا .

يبلغ المجتمع الاشتراكى اكمل تطوره عند مرحلة **الاشتراكية المتطورة** .

ان المجتمع الاشتراكى المتطور هو عبارة عن اعقد جسم اجتماعى بلغت فيه العمليات الاقتصادية والاجتماعية السياسية والعلمية التكنيكية والروحية درجة عالية من النضوج والوحدة . علما بان كل شيء هنا – من الاقتصاد وحتى الثقافة الروحية – يخدم الانسان الكادح وخلق شروط وظروف مؤاتية لتلبية متطلباته المادية والروحية وكماله وتطوره الشاملين .

ففى الميدان **الاقتصادى** تمتاز الاشتراكية الناضجة بالانتاج المتطور ديناميكيا وفق خطة واحدة ، الذى يقوم على اساس سيطرة الملكية الاشتراكية بلا منازع . وتشكل القاعدة المادية التكنيكية الجبارة ، القائمة على احدث منجزات العلم والتكنيك ، الناحية المادية للانتاج . اما ناحيته البشرية فيمثلها العمال والكولخوزيون والاخصائيون والعلماء ذوو الكفاءة الرفيعة .

ونشأت هنا وحدة تاريخية جديدة هى الشعب السوفييتى اساسُها التحالف الراسخ بين الطبقة العاملة والفلاحين والمثقفين بقيادة الطبقة العاملة ، وصداقة جميع امم واقوام البلاد . والقوة القائدة والمنظمة لمجتمع الاشتراكية المتطورة هى الحزب الشيوعى .

وفى الميدان **الروحى** تمتاز الاشتراكية المتطورة بسيادة الايديولوجيا الماركسية اللينينية ، وبالمستوى الرفيع لتطور التعليم والثقافة الذى يضمن لكل شخص الحصول على المعارف والمهنة وفقا لمؤهلاته واجتهاده ، وبالازدياد الدائم لمستوى الاعداد التعليمى العام والمهنى ، وبتطور القوى الروحية والاخلاقية والجسدية .

والدليل الجوهرى الملموس على الاشتراكية المتطورة هو **نمط الحياة الاشتراكى السوفييتى** الذى يمتاز بجو الجماعية والرفاقية الحقيقيتين ، وبالتلاحم والصداقة والتعاون بين جميع

الامم والشعوب ، وبالعافية الاخلاقية التى تجعل الناس السوفييتيين اقوياء وثابتين .

وأهم مكسب وسمة للاشتراكية المتطورة فى الاتحاد السوفييتى هما **الانسان السوفييتى** . انه الانسان الذى كان وسيبقى دائما ، بصفته وطنيا متوقدا ، امميا مثابرا .

تلك هى بالخطوط العامة لوحة المجتمع الاشتراكى المتطور فى الاتحاد السوفييتى .

الاشتراكية والفرد

في ظل الرأسمالية يوجد نوعان من الافراد : **الفرد الاستغلالى** والفرد الكادح . فالكادح غالبا ما يكون محروما من امكانيات التمتع بجميع خيرات الحياة والاستفادة من جميع انجازات الثقافة المادية والروحية . ويبلغ اعلى درجة من الحدة التناقض بين الفرد والمجتمع الذى ينشأ بانقسام المجتمع الى طبقات ، هذا التناقض الذى يُقضى عليه فقط بنتيجة الثورة الاشتراكية . وتهيىء الاشتراكية المقدمات من اجل تطوير الانسان من كافة النواحى ومن اجل ابراز تنوع مواهبه .

وان الاشتراكية ، بقضائها على الملكية الخاصة والاستغلال وبضمانها حقوقا وواجبات سياسية وقانونية متساوية لجميع المواطنين ، تخلق **الظروف السياسية** لاجل تطور الانسان . فالفروقات فى الجنس والعمر ، والمنشأ ونوع العمل ، والقومية ، والمعتقد لا تشكل هنا عائقا بوجه مشاركة كل شغيل بصورة نشيطة فى اكثر ميادين الحياة الاجتماعية تنوعا .

وعلى اساس التحولات العميقة فى الاقتصاد والعلاقات الاجتماعية والحياة الروحية تخلق الاشتراكية سمات بشرية جديدة لم تكن لدى فرد المجتمع القديم . وبكلام آخر نقول ان **فردا اشتراكيا** جديدا ينشأ بنتيجة انتصار الاشتراكية .

ومع انتصار الاشتراكية وظهور الفرد الاشتراكى تتغير جذريا كذلك العلاقة بين المجتمع والفرد . فمحل التضاد بين الفرد والمجتمع تنشأ وتتطور **وحدة الفرد والمجتمع** . وتستند هذه الوحدة الى اساس موضوعى متين هو الملكية الاجتماعية ، الامر الذى يؤمن الجمع بين مصالح المجتمع ومصالح الفرد .

ولا تستبعد وحدة الفرد والمجتمع حدوث تناقضات بينهما ايضا تتبدى فى ان المجتمع ، باعتباره عاجزا عن تلبية حاجات الفرد تلبية كاملة ، يحد جزئيا من تطور الحاجات ويضع مقياس تلبيتها وفقا لكمية ونوعية العمل ، ولكون المجتمع لا يؤمن بعد المساواة الاقتصادية التامة بين الناس . زد على ذلك ان الفرد لا يدرك دائما ضرورة التوفيق بين مصالحه والمصالح الاجتماعية ، بل ويتقدم احيانا من المجتمع بمطالب انانية مفرطة ، فتنشأ بنتيجة ذلك تناقضات بين المجتمع وقسم معين من اعضاء المجتمع المتخلفين . ومع سير نجاحات الاشتراكية يجرى تذليل هذه التناقضات وتأخذ الوحدة بين الفرد والمجتمع فى التطور باتجاه بلوغ علاقات منسجمة فيما بينهما .

٢ – من الاشتراكية الى الشيوعية .
خصائص قيام الشيوعية

يتطور المجتمع من الاشتراكية نحو الشيوعية . فكيف وبأية طرق يجرى ذلك ؟

ان الخاصة الاساسية الاولى لقيام الشيوعية تنحصر فى ان الشيوعية تنشأ على **اساس خاص بها** – على اساس الاشتراكية . ونتيجة لذلك تتمايز من حيث المبدأ طرق ووسائل قيام الاشتراكية والشيوعية . فالاشتراكية تقوم فى اعقاب الثورة الاشتراكية والتحطيم الجذرى لدعائم الرأسمالية الاقتصادية والسياسية والروحية . اما الشيوعية فتتطور مباشرة من الاشتراكية عن طريق تطوير واستكمال اقتصادها وعلاقاتها الاجتماعية وثقافتها الروحية .

وتنحصر الخاصة الثانية لقيام الشيوعية فى ان الانتقال الى الطور الثانى للمجتمع الجديد يتحقق بصورة تدريجية . فليس دفعة واحدة بل **شيئا فشيئا** يتحقق الانتقال الى المبدأ الشيوعى للتوزيع حسب الحاجة ، والى الادارة الذاتية الاجتماعية ، والى المجتمع اللاطبقى ، الخ . .

ان الطابع التدريجى للانتقال الى الشيوعية هو طابع طبيعى وتستلزمه نفس طبيعة النظام الاشتراكى .

ان بناء المجتمع الشيوعى يتطلب تحقيق ثلاث مهمات اساسية : اولا ، اقامة القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية ؛ ثانيا ، تكوين العلاقات الاجتماعية الشيوعية ؛ ثالثا ، تربية الانسان الجديد - البانى الرفيع الوعى للمجتمع الشيوعى ومواطنه . وهذه المهمات الثلاث مترابطة ترابطا وثيقا فيما بينها . وهى تعبر عن اوجه مختلفة لعملية واحدة هى عملية تحويل المجتمع الاشتراكى الى مجتمع شيوعى .

من الضرورى ، قبل الحديث عن هذه المهمات وعن طرق تنفيذها ، تناول المبادئ العلمية **لادارة البناء الشيوعى** وادارة العمليات الاجتماعية .

الفصل السابع

الادارة العلمية للبناء الشيوعى

تقضى الاشتراكية على الملكية الخاصة والاستغلال . وهى تقيم الملكية الاجتماعية ، وعلى اساسها علاقات التعاون الاخوى والمساعدة المتبادلة بين الناس . ولكن الملكية الاجتماعية لا تستطيع ان تنشأ تلقائيا من الملكية الخاصة مثلما لا يستطيع المجتمع الاشتراكى ككل ان ينشأ من الرأسمالية . فالاشتراكية والشيوعية تبنيان بالعمل **الواعى ، الهادف** ، من جانب الجماهير الشعبية بقيادة الحزب الماركسى والدولة الاشتراكية ، **بالادارة الواعية للعمليات الاجتماعية** .

١ – الاشتراكية مجتمع مدار بطريقة واعية

ان المجتمع الاشتراكى هو عبارة عن جسم اجتماعى معقد ، عن نظام متحرك ديناميكى يحوى كثرة من العناصر المتنوعة . فهو الاقتصاد بمختلف فروعه (الصناعة ، الزراعة ، النقل ، الاتصال ، الخ .) ومجموع من المؤسسات المنفردة (المصانع والمعامل والكولخوزات والسوفخوزات) . وهو الناس المنتمون الى طبقات وفئات اجتماعية والى مجموعات عاملين وغيرها . وهو مجموعة العلاقات المتنوعة بين الناس – الاقتصادية والطبقية والاخلاقية ، والحياة الروحية للمجتمع فى مظاهرها المتعددة . ان جميع هذه العناصر مترابطة اوثق الارتباط وتتفاعل فيما بينها ،

علما بانها تؤلف ، بوحدتها وترابطها ، المجتمع الاشتراكى ككل ، كموضوع للادارة . وكل عنصر بمفرده من عناصر المجتمع هو ، بدوره ، نظام **مدار** متكامل . فكل مشروع ومؤسسة ودائرة ومعهد ومدرسة الخ . ، يشكل وحدة محددة لمختلف المشاغل والفرق والاقسام والدورات والصفوف وجملة من الاجزاء الاخرى التى تضم مجموعات العاملين .

وهكذا ، فان ادارة المجتمع تتبدّى كادارة للناس وللاشياء وللحياة الروحية ، علما بان الامر الرئيسى فى الادارة هو **ادارة الناس** . وهذا امر مفهوم : فالناس يخلقون بعملهم الادوات ، الاشياء ، ويستخدمونها فى عملهم وحياتهم ؛ والناس يقيمون مختلف العلاقات فيما بينهم ؛ والناس يملكون وعيا ، وافكارا ، ويخلقون الى جانب القيم المادية قيما روحية ايضا . وطبيعى انه تتوقف على ادارة الناس ادارة صحيحة ومنظمة علميا ، وبدرجة هامة ، ادارة الاشياء والعلاقات والافكار . ويتألف اختلاف المجتمع ، فى جوهر الامر ، من تصرفات ملايين وملايين الاشخاص ؛ ومن هنا ينبع التعقد والمسؤولية البالغان فى ادارة شؤونهم ، ومن خلالها ادارة العمليات الاجتماعية ككل ايضا .

وتنبغى الاشارة فى هذا الصدد الى ان ادارة الناس فى المجتمع الاشتراكى لا تشكل وظيفة «رقابة» من جانب الاستغلاليين على الكادحين كما فى ظل الرأسمالية . فالادارة فى ظل الاشتراكية هى ، فى الدرجة الاولى ، تنظيم حياة الناس الاقتصادية ، ونشاطهم الاجتماعى ، وتربيتهم بالروح الشيوعية . ومن البديهى ان يبقى العمل الادارى فى ظل الاشتراكية كنوع خاص من العمل

وترتدى الادارة فى المجتمع الاشتراكى طابعا ديمقراطيا حقا اذ ان الجماهير الكادحة ، بوصفها المالكة الوحيدة لوسائل الانتاج وحاملة السلطة السياسية ، تلعب دورا حاسما فى قيادة الاقتصاد وجميع العمليات الاجتماعية .

فلماذا تغدو امرا ممكنا فى ظروف الاشتراكية ادارة هذا العدد الضخم من الناس وهذه العمليات الاجتماعية المتنوعة الى

هذا الحد ، ادارة المجتمع باكمله ؟ ذلك ، بالدرجة الاولى ، لأن الاساس الاقتصادى للاشتراكية هو **الملكية الاجتماعية** التى تستبعد من حياة المجتمع الفوضى والمنافسة وعفوية السوق التى لا حد لها . ان قانون التطور المخطط والمتناسب ، الذى يفعل فعله على اساس الملكية الاجتماعية ، يوفر امكانية الادارة الممركزة المخططة للاقتصاد ولجميع العمليات الاجتماعية ، ويتيح ربط مختلف حلقات النظام الاجتماعى وتوجيه حركتها نحو الهدف الوحيد المرسوم مسبقا .

عندما يدور الكلام عن الادارة العلمية غالبا ما يقصد بذلك ادارة الحياة الاقتصادية للمجتمع . بديهى ان الانتاج والاقتصاد يلعبان دورا يحدد التطور الاجتماعى . الا ان طبيعة المجتمع الاشتراكى هى بحيث انها تتيح بصورة واعية وعلى اساس علمى ادارة لا الاقتصاد فحسب بل وجميع الميادين الاخرى للحياة الاجتماعية فى علاقتها المترابطة .

وليس من الصعب على المرء الاقتناع بذلك اذا رجع الى تاريخ البلاد السوفييتية ، الى المراحل الاساسية من تطور المجتمع السوفييتى المدار بطريقة واعية من جانب الحزب الشيوعى . فقد كانت الخطة اللينينية لكهربة روسيا ، مثلا ، لا خطة اقتصادية فحسب وليس مجرد خطة اقتصادية بل برنامج تحويلات نوعية عميقة للمجتمع بأسره ولكل نظام العلاقات الاجتماعية . وتتحدث الصيغة اللينينية التالية : «الشيوعية هى السلطة السوفييتية زائد كهربة البلاد بأسرها» عن الوحدة العضوية بين ادارة الاقتصاد وادارة الحياة الاجتماعية للمجتمع .

وتشمل الادارة العلمية للمجتمع الاشتراكى وتطوره المنهاجى والمتناسب **كل مجموعة العمليات الاجتماعية** . ونظرا لذلك يعتبر قانون التطور المنهاجى والمتناسب ، لا قانونا اقتصاديا فحسب بل **واجتماعيا** ايضا يسرى مفعوله على جميع ميادين الحياة الاجتماعية فى ظل الاشتراكية .

ان المجتمع الاشتراكى يتطور على اساس القوانين الموضوعية التى يمكن ان يعرفها الناس ويستخدموها لمصلحتهم الخاصة . ومما يزيد فى ضرورة معرفة واستخدام القوانين هو ان هذه

القوانين بحد ذاتها لا تؤمن تطور المجتمع فى الاتجاه الضرورى للانسان . مثلا ، ان قانون التطور المنهاجى والمتناسب للمجتمع الاشتراكى الوارد ذكره لا يؤمن بحد ذاته ازالة عناصر العفوية فى التطور ، والتوافق التام بين مختلف حلقات النظام الاجتماعى ، والمنهاجية والتناسب . فهو يوفر الامكانية فقط من اجل ذلك ، الا انه من الضرورى ، من اجل تحويل هذه الامكانية الى واقع ، معرفة هذا القانون حتى الكمال واستخدامه بمهارة . ان تطور المجتمع الاشتراكى يتبدى ، بالتالى ، كتشابك معقد ، **كتفاعل بين القوانين الموضوعية والعوامل الذاتية** ، علما بان دور العوامل الذاتية يتعاظم بمقدار تقدم المجتمع الى امام بفضل المعرفة المتزايدة عمقا للقوانين الموضوعية ، وبوسع المجتمع الاشتراكى ان يتقدم بنجاح فقط عندما يلم الناس بالقوانين الموضوعية ويستخدمونها بمهارة وهم يضبطون العمليات الاجتماعية بطريقة واعية .

وتنحصر المهمة الرئيسية للادارة العلمية للعمليات الاجتماعية فى بلوغ **التطابق بين النشاط الذاتى للناس وبين متطلبات القوانين الموضوعية** . ان ادارة المجتمع بطريقة علمية تعنى العمل ، استنادا الى القوانين الموضوعية التى تمت معرفتها ، على اظهار الميول التقدمية لتطور المجتمع او بعض حلقاته ، وتوجيه وضبط حركة المجتمع وفقا لهذه الميول ، وكشف العراقيل فى طريق بلوغ هذا الهدف او ذاك ، وازالة هذه العراقيل فى الوقت المناسب . وادارة المجتمع بطريقة علمية تعنى انتهاج **سياسة واقعية صحيحة** قائمة على اساس المراعاة الدقيقة للامكانيات الموضوعية ولتناسب القوى الاجتماعية ، سياسة ترتبط ارتباطا لا ينفصم بالاقتصاد ، بالبناء الاقتصادى .

وتشترط الادارة الفعلية للعمليات الاجتماعية ، بالضرورة ، معالجة نظرية لمسائل الادارة ، الامر الذى يشكل احدى المهام الكبيرة لنظرية الشيوعية العلمية .

بديهى ان مسائل الادارة العلمية للمجتمع لا يمكن حلها بجهود نظريى الشيوعية العلمية فقط ، بل ان حلها يتطلب جهودا جماعية من جانب الفلاسفة وعلماء الاجتماع والاقتصاد والاحصاء

والسيبرنتيك والرياضيات والقضاء والسيكولوجيا والمهندسين والاداريين والجماهير الواسعة . فبالجهود المشتركة لمختلف الاخصائيين فقط يمكن وضع نظام للمبادئ العامة لادارة المجتمع العلمية ، وتطبيق هذه المبادئ بنجاح فى ادارة ميادين محددة للحياة الاجتماعية ، وخلق اشكال وطرائق ووسائل ملموسة للادارة تتجاوب مع متطلبات العصر الراهن .

حول جهاز ادارة المجتمع الاشتراكى

تشترط ادارة العمليات الاجتماعية وجود لا موضوع الادارة فحسب (المجتمع او حلقات متفرقة منه) بل وجهاز الادارة ايضا – اى الهيئة الخاصة ، المركز الخاص ، الذى يضم جميع حلقات النظام المدار وينسق وظائفها ، يصححها تبعا لتغير الوضع الداخلى والخارجى . وجهاز الادارة هذا فى المجتمع الاشتراكى هو مجموعة الهيئات والمنظمات التابعة للدولة وغير التابعة للدولة ، الاجتماعية .

ويقف على رأس هذه المجموعة **الحزب الماركسى – الطليعة الكفاحية للشغيلة** الذى يستحيل بدونه تصور القيادة العلمية للبناء الشيوعى . وقد كتب لينين يقول : «من اجل الادارة يلزم وجود جيش من الثوريين الشيوعيين المتمرسين ، وهذا الجيش موجود ، انه يدعى الحزب» * . ان الحزب الشيوعى ، باستخدامه معرفة القوانين الموضوعية وبتعميمه تجربة الجماهير الشعبية وباعتماده على هذه التجربة ، يقود الحياة الاقتصادية والسياسية والروحية للمجتمع . وهو يرسم خطا موحدا فى كافة ميادين حياة البلاد ويقوم بعمل تنظيمى وايديولوجى يتعلق بوضع هذا الخط موضع التطبيق . ويحقق الحزب دوره القيادى من خلال منظومة هيئات الدولة والمنظمات الاجتماعية الوافرة العدد : النقابات ، التعاونيات ، المنظمات الشبابية والابداعية والرياضية .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٢ ، ص ٢٥٤ .

ويوحد الحزب جهود هذه المنظمات ، على ان لا يحل لدى ذلك محل هيئات الدولة وغيرها بل يطور مبادرتها بشتى الوسائل ساعيا الى بلوغ اكبر قدر ممكن من الديمقراطية فى عملها . ويرتبط الحزب من خلال مجموعة منظمات الدولة والمنظمات الاجتماعية بالجماهير الكادحة المتعددة الملايين ، ويعلّم الجماهير ويتعلم منها . وينفذ الحزب ، سوية مع الشعب ومع دولة ديكتاتورية البروليتارية، المهام الكثيرة التعقيد لادارة البناء الشيوعى .

ويحتل مكانا هاما فى ادارة العمليات الاجتماعية **جهاز الدولة** بمختلف هيئاته ومؤسساته (الاقتصادية ، التخطيطية ، الثقافية التنويرية ، وغيرها) . ومن المعروف كم كانت رفيعة المتطلبات التى كان يوجهها لينين الى مسؤولى جهاز الادارة . ومن بين هذه المتطلبات ذات الدرجة الاولى من الاهمية – **الاخلاص لقضية الشيوعية ، المسؤولية الرفيعة امام الشعب ، المبدئية ، معرفة القضية** . وكان يعتبر الروح العملية والطريقة الجدية والروح التنظيمية امورا رئيسية فى عمل جهاز الادارة .

وكان لينين يؤكد على ان **النظام** المحدد امر هام فى نشاط جهاز الادارة . وهذا يعنى ، فى المقام الاول ، ان عمل الجهاز السوفييتى يمثل لا مجموعا من الاجراءات العرضية غير المترابطة بل مجموعة موضوعة بتبصر عميق من التدابير المضبوطة بدقة والمترابطة فيما بينها والموضوعة على اساس الاعتبار الاشد صرامة للظروف الملموسة واصالة الوضع والمهام الماثلة سواء امام المجتمع ككل ام امام حلقات متفرقة منه . كما يفترض ذلك تخصصا صارما لوظائف كل هيئة من هيئات الادارة والتناسق فيما بينها وعدم وجود ازدواجية وحلقات وسطية غير ضرورية ايضا .

وكانت موضع معالجة خاصة من جانب لينين مسألة **الترابط بين الناحية الادارية والناحية العلمية** فى عمل جهاز الادارة والعاملين فيه . فالناحية العلمية فى عمل هيئات الادارة والقادة فى الاتحاد السوفييتى تعنى امتلاك الانجازات الطليعية للعلم والتكنيك فى الميدان المدار ، ومقدرة طرح وحل مسائل الادارة

الملموسة على اساس علمى ، بينما تقضى الناحية الادارية بمعرفة قيادة الناس واجتذابهم وتنظيمهم من اجل بلوغ الهدف المرسوم .

ومن الضرورى فى كل هيئة ادارية الجمع بين الناحية الادارية والناحية العلمية . ويتوجب على مسؤول المؤسسة فى الوقت نفسه ان يمتلك الى ارفع درجة مقدرة استمالة الناس ويملك معارف علمية وتكنيكية كافية من اجل تنظيم القضية والتحقق من عمل المرؤوسين . والناحية العلمية فى الادارة هى الناحية الاساسية لانه لا يمكن تنظيم العمل بصورة صحيحة بدون العلم . وبالاضافة الى ذلك من المهم جدا ان يحسن المسؤول تنظيم العمل .

لدى تشكيل جهاز الدولة فى الاتحاد السوفييتى يجرى بدأب ومثابرة تطبيق المتطلبات اللينينية بصدد اختيار كوادر الادارة : الاخلاص للاشتراكية ، المصحوب بعقل صاح ، وفطنة عملية ، ومعارف علمية وتكنيكية راسخة ، وموهبة تنظيمية وتواضع ، ومعرفة القيام «بدون ضجيج» بضبط العمل المتكاتف لمجموعات كبيرة من الناس ضمن اطار المنظمة السوفييتية . فامثال هؤلاء الاشخاص بالذات وهؤلاء فقط كان يعتبر لينين من المناسب تقديمهم الى «المناصب المسؤولة مناصب القادة فى العمل الشعبى ، قادة الادارة» * . وكان يطالب بان يستبدل دون تحفظ «الشيوعيون الذين لا يتعلمون قضية الادارة بصورة جدية» * * .

ان ميدان الادارة هو مجال النشاط الذاتى للناس الذين ليسوا قادرين دائما على الاخذ بالحسبان التغيرات الدائمة للواقع الموضوعى ، التغيرات فى موضوع الادارة والوسط المحيط به . وتنحصر مهمة هيئات الادارة فى ملاحظة الاخطاء وتصحيحها باسرع ما يمكن ، وجعل الادارة تتفق مع متطلبات التطور الموضوعى . ان دراسة التجربة العملية باكبر الانتباه واوسع التفاصيل ، والتثبت الملح ، البطىء ، المحترس ، العملى ، مما تم عمله ، وتصحيح الاخطاء بمزيد من الاحتراس والجدية ، و«عدم السير

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٦ ، ص ١٩٤ .

* * لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٤ ، ص ٣٧٠ .

الى امام الا بعد التحقق كليا من فائدة الاسلوب المعنى ونظام الادارة المعنى والنسبة المعنية واختيار الافراد المعنى ، الخ .» * – تلك هى الاحكام اللينينية بصدد استخدام الاشكال والاساليب والوسائل الملموسة للادارة .

والشروط الضرورية للعمل الصحيح لجهاز الادارة الاشتراكى هى : اختيار الكوادر والتحقق من التنفيذ ، جماعية القيادة تمازجا مع المسؤولية الشخصية للموظف ، الديمقراطية والعلنية الواسعتان ، تطوير الانتقاد والانتقاد الذاتى بشتى الوسائل ، انتخاب واستبدال العاملين فى الهيئات المنتخبة .

٢ – بصدد مبادئ الادارة العلمية لبناء الشيوعية

تشكل القواعد الاساسية لعمل الهيئات والقادة ، المدعوين لممارسة ادارة العمليات الاقتصادية والاجتماعية والروحية ، المبادئ العامة لادارة المجتمع الاشتراكى بطريقة علمية .

الموضوعية والملموسية

تجرى العمليات الاجتماعية على اساس القوانين الموضوعية التى تتعلق باهم ما فى حياة المجتمع وتطوره . وقد كان لينين ينطلق ، فى اضطلاعه عمليا بقيادة الدولة الاشتراكية الاولى فى العالم والبناء الاشتراكى ، من ان الادارة تستحيل بدون معرفة القوانين الموضوعية واستخدامها بطريقة ماهرة . ان المراعاة الدقيقة لمتطلبات القوانين الموضوعية واخذ الامكانيات الواقعية القوانين الموضوعية واستخدامها بطريقة ماهرة . ان المراعاة العلمية ، **مبدأ الموضوعية** .

وكان لينين ، لدى تأكيده على ان الادارة امر ممكن فقط على اساس القوانين الموضوعية ، يطالب فى الوقت نفسه بعدم

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٢ ، ص ٢٨٥–٢٨٦ .

القيام برسم مخططات مجردة صالحة لجميع مناسبات الحياة . وكان يدعو الى دراسة محتوى العمليات الملموس ، وكذلك القوانين التى تعبر عنها ، ورؤية كيف يفعل القانون ، كيف يتجلى فى اوضاع ملموسة ، واستخلاص الاستنتاجات الصحيحة من اجل الممارسة .

ان كل قانون ، وكل صيغة بل ادق صيغة واكثرها جاذبية لا يحتويان على اشارات بالنسبة لظروف ومظاهر الحياة الملموسة . فلا تستطيع الصيغة ايا كانت ان تستمدها الا من الحياة ، والحياة وحدها تنقلها من مملكة الصيغ الى مملكة الواقع ، وتنفخ فيها الحياة . وتجسدها ، وتعدلها بالتالى * .

ان هذه الاحكام اللينينية تؤخذ بالحسبان بوجه خاص من جانب جهاز الادارة السوفييتية الآن حيث تعقدت الحياة الاجتماعية بما لا يقاس وحيث القانون الطبيعى ، بوصفه اتجاها مهيمنا ، يشق لنفسه طريقا عبر كثرة من الظواهر الملموسة ، المتناقضة غالبا ، التى تعدّل فعل القانون والتى يجب اخذها بالحسبان من كل بد لدى استخدام هذا القانون . مثلا ، يفعل قانون التطور المنهاجى للمجتمع الاشتراكى فعله فى الظروف المعقدة للعلاقات البضاعية-النقدية التى لا يمكن تصور الادارة العلمية للاقتصاد ، للمجتمع ، بدون اخذها بالحسبان . ان دراسة الترابط بين قانون التطور المنهاجى وقوانين العلاقات البضاعية-النقدية وطرق ووسائل ادخال هذه العلاقات فى مجرى الخطة ، وبالتالى الرقابة من جانب الهيئات المديرة ، هى المهمة التى يعكف على حلها علماء الاقتصاد والاجتماع والمنظمون السوفييتيون .

ومن هنا ينبع المبدأ الهام للادارة ، **مبدأ الملموسية** . فالتحليل الملموس للوضع الملموس هو الذى يتيح تجنب الوقوع فى النزعة الذاتية والتخطيط الفارغ والتعسف فى الادارة . فالادارة بطريقة ملموسة تعنى الادارة **على اساس معلومات صادقة ومعالجة علميا** عن الوضع الداخلى للموضوع ، وكذلك عن الظروف

---

* راجع لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣١ ، ص ١٣٤ .

الخارجية التى يعمل فيها . فلدى امتلاك معلومات صادقة ومعرفة العمليات الواقعية ، الملموسة ، للحياة فقط يمكن للمرء ان يلاحظ فى الوقت المناسب الاخطاء والعقبات القائمة فى الطريق نحو الهدف ، وتذليلها ، وتصحيح الادارة بجعلها مطابقة للتغيرات الموضوعية .

وتلعب **الاحصاءات والبحوث الاجتماعية الملموسة** دورا هاما فى منظومة حصول هيئات الادارة على معلومات صادقة وفى استقصاء قنوات ورودها وطرائق معالجتها العلمية .

ومن الممكن ، بالطبع ، اثناء ادارة المجتمع استخدام وقائع فردية ايضا ، ولكن فى حالة اذا كانت هذه الوقائع نموذجية وتعبر عن جوهر العمليات الاجتماعية . الا ان الادارة ، كقاعدة ، تتحقق على اساس تعميم مجموعة ضخمة من الوقائع والارقام ، وهنا ايضا لا يمكن الاستغناء عن الاحصائيات والبحوث الاجتماعية الملموسة .

وتنحصر اهمية البحوث الاجتماعية الملموسة فى ادارة المجتمع الاشتراكى فى انها تساعد على كشف العمليات الاجتماعية بكل تعقدها وتنوعها وملموسيتها ، وتعطى الهيئات المديرة معلومات صادقة وتتيح تقييم فعالية نظام الادارة هذا او ذاك ، وعند الضرورة رسم الطريق الصائب لتغيرها طبقا للوقائع والظواهر الجديدة والاتجاهات المرتسمة . وتقدم هذه البحوث ، شأنها شأن الاحصاءات ايضا ، مواد لاجل التصميم ودراسة القوانين الجديدة التى يمكن ان تستخدم ، بدورها ، من اجل تحسين نظام الادارة .

وتجدر الاشارة الى ان تنظيم مصلحة المعلومات يعتبر واحدة من المسائل المعقدة . ويرتدى حل هذه المهمة اهمية كبيرة بوجه خاص فى ايامنا حيث نما حجم مختلف المعلومات بمقاييس هائلة بفعل التعقد والتنوع البالغين للحياة الاجتماعية وضخامة انتشار الاعمال الانشائية . ان الكمية الهائلة للمعلومات يمكن معالجتها فقط عن طريق استخدام احدث منجزات العلم والتكنيك ، ولا سيما الطرائق الاقتصادية الرياضية المعاصرة والآلات الالكترونية الحاسبة .

ان عملية الادارة تفترض حتما طرح هدف معين ، وكذلك ايجاد موارد مادية وبشرية ومالية ضرورية من اجل تحقيق هذا الهدف . وتنفيذ هذه المهام الاولية هو ناحية هامة للادارة ، ولكنه ليس الناحية الوحيدة . فمعلوم جيدا انه حتى مع وجود كثرة من المواد وجمهور من الناس واحتياطيات كبيرة من الوقت ، لا يتم دائما بلوغ الهدف المرسوم فى الموعد المضروب ، او على العموم يفشل المشروع . ان المهمة الكبرى للادارة تنحصر فى تأمين الاستخدام الاكثر فعالية وعقلانية للمواد والموارد البشرية والمالية . كما ان تأمين بلوغ الهدف المرسوم بأقصر مهلة ممكنة وبأدنى كمية من انفاق الوسائل المادية والطاقة البشرية يشكلان مبدأ آخر للادارة هو **مبدأ الفعالية ، الأمثلية** . وقد كتب لينين يقول ان الادارة يجب ان تتوصل الى «اكبر توفير للقوى وتطبيق العمل الشعبى باكبر قدر من الانتاجية» * . ودعا الى تسيير شؤون الاقتصاد بطريقة توفيرية ، واجراء حساب النقود بعناية ووجدان ، وصيانة الاموال الشعبية ، والحفاظ على كل بود ** من الحبوب والفحم والحديد ، وتنظيم ادق حساب ورقابة . ان هذه المطالب اللينينية ملحة بوجه خاص فى ايامنا حيث تملك البلاد السوفييتية ثروات هائلة ، ولذلك فان كل نسبة مئوية من المبالغ المقتصدة تشكل مصدرا كبيرا جدا للانتاج الاضافى من المنتجات وبالتالى ولزيادة الرفاه الشعبى .

وليس مبدأ الامثلية مبدأ ادارة الاقتصاد فحسب بل وسائر مجالات الحياة الاجتماعية ، سواء البناء الاجتماعى او الثقافى والنشاط العلمى وعمليات التعليم والتربية الخ . ففى كل مكان يشتغل الناس ، وفى كل مكان يتعاملون مع القيم المادية

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٧ ، ص ٣٦٧ .

** البود يساوى ١٦،٣٨ كيلوغراما . **المترجم** .

والروحية والموارد المالية ، ولذا فان كل نشاط اجتماعى يجب ان يتحقق بالطرق الاكثر عقلانية وفعالية .

وكان لينين يقدر اكثر من اى شخص آخر عامل الوقت ، ويحسن صون وقت العاملين . ان اخذ **عامل الوقت** بالحسبان لدى تنفيذ المهام الكبيرة والصغيرة هو شرط ضرورى لفعالية الادارة . علما بانه يجب ان يرسو فى اساس تحديد مهل حل هذه المسألة او تلك الحساب المتبصر للقوى الموجودة .

ان تخطيط الاقتصاد الوطنى ككل وفروعه المتفرقة ، التخطيط الجارى والطويل الاجل ، واوثق الترابط بين مختلف الخطط ، والتوزيع الرشيد للقوى المنتجة واتقانها على الدوام ، والتقدم العلمى التكنيكى ، واقامة الروابط التنظيمية وتحسينها ، والحساب والرقابة الفعالان ، والمبادئ العامة لدفع اجور العمل وتحفيزه ، والميزان الاقتصادى ، والربح ، والنظام النقدى – تلك هى لائحة غير كاملة للمسائل التى عالجها لينين نظريا وحلها عمليا بهدف تأمين الادارة الفعالة (المثلى) للبناء الاشتراكى .

مراعاة مصالح الناس وحاجاتهم

ان مهمة الادارة هى ، بالدرجة الاولى ، مهمة ادارة الناس ، مهمة التنظيم العلمى لعمل الناس . بيد ان الناس يتصرفون ويشتغلون ويشاركون فى الحياة الاجتماعية السياسية والروحية للمجتمع تحت تأثير حوافز وعوامل معينة يستحيل بدون اخذها بالاعتبار ادارة الناس بصورة صحيحة وتنظيم الناس من اجل تنفيذ هذه المهمة او تلك . ومن بين العوامل ، التى تحفز تصرفات واعمال الناس ونشاطهم الابداعى ، تحتل **الحاجات** اهم مكان . وقد كتب ماركس وانجلس : «ليس بوسع احد ان يفعل شيئا ما دون ان يفعله فى الوقت نفسه لاجل اى من حاجاته ولاجل عضو هذه الحاجة» * .

---

* ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ٣ ، ص ٢٤٥ .

ان كمية العمل ونوعيته هما فى ظل الاشتراكية مقياس تلبية الحاجات . لذا فمن المهم جدا فى امر تنظيم الادارة العلمية للناس التوفيق بين مقياس تلبية حاجات كل شغيل وبين درجة نشاطه العملى ، وكمية ونوعية العمل الذى يبذله ، وقيمة مساهمته فى الملكية الاجتماعية . فمن يعمل بصورة جيدة ، بصورة خلاقة ، يتقاضى اكثر ويسد حاجاته بدرجة اكبر ممن يعمل بصورة اسوأ . ومن يلحق ضررا بالدولة يعاقب ماديا وتقلّص تلبية حاجاته . وفى هذا بالذات يكمن **جوهر المصلحة المادية الشخصية للشغيل** ، التى تمليها متطلبات قانون التوزيع حسب العمل فى ظل الاشتراكية .

الا ان الانسان فى المجتمع الاشتراكى يشتغل لا بصورة افرادية بل فى مجموعة العاملين من كل بد . وهو ، سوية مع المجموعة ، مالك لوسائل الانتاج ومشارك فى تقسيم اوسع للعمل الاجتماعى . والمقياس الفعلى لمساهمته العملية فى خلق الثروة الاجتماعية يتوقف لا على عمله الشخصى فحسب بل وعلى المساهمة العملية لرفاقه ، للمجموعة الانتاجية بالاجمال . والمؤسسة المنفردة ليست ، بدورها ، سوى حلقة فى النظام الاقتصادى للبلاد ، ورفاه مجموعة العاملين فى هذه المؤسسة ، وكل شغيل فيها على السواء ، يتوقف على **نجاحات الاقتصاد الوطنى بأجمعه** .

وكان لينين يولى اهمية كبيرة للحوافز المادية فى بناء الشيوعية دون ان يقلل ، ولو لأدنى درجة ، من دور الحوافز المعنوية على العمل داعيا الى الجمع بصورة معقولة بين الحوافز المادية والحوافز المعنوية . وقد كتب لينين يقول ان ضمان الانتقال الى الشيوعية امر ممكن «لا على الحماس مباشرة بل بواسطة الحماس الذى تولّده الثورة العظيمة ، على المصلحة الشخصية ، على الاهتمام الشخصى ، على الميزان الاقتصادى . . .» * . فالادارة العلمية للمجتمع تفترض لا التخطيط النموذجى ، القائم على الحسابات الدقيقة فحسب ، بل

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٦ ، ص ٢٠٥ .

وتحفيزا اقتصاديا تاما ، وبلوغ وحدة متناسقة للمصالح الاقتصادية للمجتمع بأسره ، لكل مؤسسة بمفردها ولكل عامل بمفرده . والتحفيز الاقتصادى التام ، الذى يأخذ باعتبار مصالح الناس الاقتصادية ويساعد على التلبية المتزايدة كمالا لحاجاتهم لا المادية فحسب بل والروحية ايضا ، يدفع عاملين منفردين ومجموعات كاملة من العاملين الى رفع انتاجية العمل وتنظيمه على انسب وجه ، والى الانفاق الرشيد للموارد المادية والمالية ، والى تحسين كفاءتهم ومستواهم الثقافى . وبهذا يتطور ويتقن الانتاج وينمو الدخل الوطنى وتزداد تلك الحصة منه التى تذهب الى الاستهلاك الشعبى . وبتطور الانتاج تتطور وتتقن سائر النواحى الاخرى فى الحياة الاجتماعية .

الحلقة الاساسية

ان الادارة تفترض حتما حل كثرة من المهام المترابطة فيما بينها . وهذه المهام ليست مماثلة من حيث اهميتها ، ومكانها فى السلسلة العامة للاحداث ، واساليب وزمن تحقيقها . وكان لينين يرى من الضرورى ان يجد المرء فى سلسلة الاحداث هذه الحلقة الرئيسية ، **المهمة الرئيسية** ، التى يعطى حلها مفتاح حل جميع المسائل الاخرى . وقد كتب لينين : «لا يكفى المرء ان يكون ثوريا ونصيرا للاشتراكية او شيوعيا بوجه عام . انما ينبغى له ان يعرف كيف يجد ، فى كل فترة خاصة ، الحلقة الخاصة بها والتى يجب عليه التمسك بها بكل قواه من اجل مسك السلسلة كلها ، وتحضير الانتقال الى الحلقة التالية تحضيرا متينا ؛ مع العلم ان توالى الحلقات ، وشكلها ، وترابطها ، والخصائص التى تميز بعضها عن بعض ، ليست بسيطة ولا بدائية فى سلسلة من الاحداث التاريخية كما فى سلسلة عادية خرجت من يدى الحداد» * . ولينين نفسه كان يملك مهارة

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٦ ، ص ٢٠٥ .

خاصة فى تحديد الحلقة الاساسية وتركيــز اهتمام الحزب والشعب عليها . فتطوير التجارة ، والتصنيع ، واشاعــة الاستثمارات الجماعية فى الزراعة – تلك هى الحلقات الاساسية للخطة اللينينية لبناء الاشتراكية فى مختلف مراحل تحقيقها .

المركزية الديمقراطية

ان وحدة المجتمع الاشتراكى واستحالة تجزئته ، وامكانية وضرورة الادارة الواعية والهادفة للاقتصاد الاشتراكى وللمجتمع ككل تشترط وجود ادارة نموذجية منظمة على اساس علمــى لحلقات بمفردها فى النظام الاجتماعى ، فى الانتاج الاجتماعى – لمناطق ومؤسسات الخ . بمفردها .

فهنا – فى المعامل والمصانع ، فى الكولخوزات والسوفخوزات – تصنع الوسائل الضرورية للحياة ، وتنفذ مباشرة خطط البناء الاشتراكى ، وتتكشف المبادرة العملية والالهام الخلاق والتجربة العملية التى لا تقدر بثمن لدى ملايين الجماهير الكادحة .

فكيف يجرى الجمع بين ادارة المجتمع ككل وبين ادارة حلقات بمفردها منه ؟ وما هو المبدأ الاساسى للادارة الذى يتجاوب أتم التجاوب مع طبيعة المجتمع الاشتراكى ؟ ان هذا المبدأ العلمى للادارة هو مبدأ **المركزية الديمقراطية** الذى حظى فى اعمال لينين بمعالجة شاملة وتعليل علمى . وقد كتب لينين : «لا تستطيع السكك الحديدية ووسائط النقل والآلات الكبيرة والمؤسسات بوجه عام ان تعمل بصورة صحيحة ان لم تكن هناك وحدة الارادة التى تربط جميع الشغيلة فى كيان اقتصادى واحد موحد يعمل بدقة آلية الساعة» * .

ان المركزية الديمقراطية ، بوصفها المبدأ الاساسى لادارة البناء الشيوعى ، تنبع من نفس جوهر الاشتراكية ، من طبيعتها الموضوعية . وتشترط سيادة الملكية الاجتماعية الوحدة وعدم

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٦ ، ص ١٥٧ .

التجزئة والمركزية والتطور حسب الخطة ، من جهة ، والمبادرة الواسعة والاستقلالية النسبية لبعض حلقات النظام الاجتماعى والنشاط الابداعى لملايين الشغيلة ، من جهة اخرى .

وقد كتب لينين ان مبدأ المركزية الديمقراطيـــة ، الذى يتطابق مع نفس طبيعة الاشتراكية ، يؤمن «الانسجام المطلق والتوحد» فى عمل مختلف ميادين الحياة الاجتماعية ، مختلف مناطق واماكن البلاد ، الا انه فى الوقت نفسه «يفترض امكانية خلقها التاريخ لاول مرة من اجل ان تتطور تطورا كاملا ودون عوائق ليس فقط الخصائص المحلية بل والمبادرة المحلية والمبادأة المحلية ، وتنوع الطرق والاساليب والوسائل للحركة نحو هدف مشترك» * .

ولا يجمع هذا المبدأ اى جامع سواء بطريقة القولبة واتباع النموذج الواحد ام بالفوضى واستصغار المركزية . فالوحدة لا تعرقل ما هو اساسى وجوهرى بل ، على العكس ، تؤمّن التنوع فى التفاصيل ، فى الخصائص المحلية ، فى الاساليب والمواقف من الامر ، فى الطرق الملموسة لتنفيذ المهام العامة . بيد ان الاستقلالية النسبية لما هو محلى ، منفرد ، وتنوع اساليب وطرق تنفيذ المهام لا يتجاوزان اطار الاهداف العامة ومصالح البناء الشيوعى .

وكان لينين يناضل باصرار ضد جميع وشتى مظاهـــر الفوضوية والفوضوية السنديكالية اللتين كان ممثلوهما يعتبرون المجتمع الاشتراكى بمثابة خليط من الكومونات الانتاجيـــة المستقلة . فتحت راية «الدفاع» الكاذبة عن الاستقلالية والحرية كانوا يقفون ضد الادارة الممركزة وتسيير الاقتصاد الوطنى تسييرا مخططا ، ويعملون من اجل الحكم الذاتى التام لهيئات الدولة والاقتصاد المحلية ومن اجل استقلالها عن المركز ، وبهذا كانوا يسعون الى دفع المجتمع بعيدا الى الوراء – الى نظام الطوائف والتجزؤ الاقطاعى والانكماش على النفس . كما ناضل لينين ضد «الشيوعيين اليساريين» ، مؤكدا لدى ذلك على ان العمـــال

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٦ ، ص ١٥٢ .

والكادحين مدعوون الى ادارة المجتمع فى كافة حلقاتـــه ، الى الاشراف على عمل هذه الحلقات ، وليس التقوقع فى الاطارات الضيقة لمهنتهم ، لفرعهم «الذاتى» فى الاقتصاد ، لمصنعهم المنفرد ، لمعملهم المنفرد .

واولى لينين ، فى سياق معالجته مبدأ المركزية الديمقراطية وتطبيقه عمليا ، اهتماما شديدا للجمع بين **جماعية القيادة ووحدة القيادة فى ادارة** البناء الشيوعى فى اطار هذا المبدأ . وفى معرض الاشارة الى اهمية الجماعية فى الادارة كان لينين يطالب فى الوقت نفسه **بالمسؤولية الشخصية** للقائد عن القضية الموكلة اليه . «المناقشة بصورة مشتركة، اما المسؤولية فبصورة منفردة»*

٣ – تحسين نظام ادارة المجتمع هو شرط هام لنجاح البناء الشيوعى

لقد اكتنزت فى البلاد السوفييتية خبرة غنية لتحويل المجتمع تحويلا منهاجيا وادارة العمليات الاجتماعية ادارة علمية . ففى سياق بناء الاشتراكية والشيوعية ومع تغير البِنية الطبقيـــة للمجتمع ونمو نطاقات الاقتصاد الوطنى والبناء الثقافى لم يبق محتوى الادارة واشكالها التنظيمية دون تغير بل كان يجرى تحسينها على الدوام .

وكان لينين يعتبر الادارة العلمية للعمليات الاجتماعية بمثابة واحدة من المهام الاساسية للبناء الشيوعى . وهو لم يقم بصياغة مبادئ الادارة العلمية فحسب بل وكان يضع هذه المبادئ قيد التطبيق ، قيد الممارسة اليومية ، باصرار . وكان لينين على قناعة بان الاشتراكية ستفلح فى الانتصار على الرأسمالية بطرائق الادارة ايضا بجعلها قضية الادارة ملكا للشعب وبوضعها اياها فى مركز اهتمام الحزب والدولة .

وفى المرحلة المعاصرة من البناء الشيوعى ، ونظرا لنمو

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٤ ، ص ١٦٥ .

الاقتصاد الاشتراكى واستكمال العلاقات الاجتماعية وتطور الحياة الروحية ، تعقدت مهام الادارة بدرجة غير اعتيادية . ففى الوقت الحاضر يلزم اكثر من اى وقت مضى التحليل العلمى لاتجاهات تطور المجتمع ولأعقد التشابك والتفاعل فى مختلف نواحى الحياة الاجتماعية .

ويواصل الحزب الشيوعى تطوير واستكمال المبادئ اللينينية لادارة المجتمع مع اخذ متطلبات العصر الراهن بالحسبان .

ويولى اهتمام خاص لحساب واستخدام القوانين الاجتماعية لتطور الاشتراكية ، ومنها القوانين والمقولات المرتبطة بالعلاقات البضاعية-النقدية التى تشكل انتماء ضروريا من الناحية الموضوعية للمجتمع الاشتراكى . واذ تأخذ الدولة بالحسبان قابلية العلاقات البضاعية-النقدية للادارة فى ظل الاشتراكية تستخدم الروافع الاقتصادية القوية المرتبطة بهذه العلاقات (الربح ، التسليف ، الاجور وغيرها) من اجل تأمين الادارة **المثلى** سواء لمؤسسات بمفردها ام للاقتصاد ككل . ولدى ذلك ، والى جانب اتقان التخطيط ، يولى اهتمام جدى **للتحفيز الاقتصادى** واخذ مصالح الناس بالحسبان والجمع المنسجم بين مصالح المجتمع ومجموعات العاملين فى المؤسسات وبين مصالح كل شخص بمفرده . وبواسطة نظام الحوافز الاقتصادية تتكون المصلحة المباشرة لدى كل عامل ، لدى كل مجموعة من العاملين ، فى ادخال التكنيك الجديد ، وفى رفع انتاجية العمل ، وفى تحسين نوعية المنتجات ، وفى ازدياد فعالية الانتاج .

وقد حظى اليوم بتطور لاحق ايضا مبدأ **المركزية الديمقراطية** ، وهو اهم مبدأ لادارة المجتمع الاشتراكى . فنظام الفروع ، الممركز بشدة ، لادارة الصناعة على اساس خطة

الدولة الواحدة ، يتآلف هنا مع توسيع الاستقلالية الاقتصادية الفعالة للمؤسسات ، ومع المبادرة الواسعة على مستوى الجمهوريات ومحليا ،

ومع تهيئة ظروف مؤاتية لاجل اشتراك الجماهير في الادارة ولاجل تأثيرها على العمليات الجارية في المجتمع .

لقد نوقشت مسائل ادارة الاقتصاد والمجتمع ككل مناقشة شاملة في المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعي السوفييتي . فبعد التنويه بالنجاحات في هذا الميدان ركز المؤتمر الاهتمام على ازالة النواقص وحل المسائل العالقة . وطرح مهمة تحسين الميكانيزم الاقتصادي ونظام ادارة الاقتصاد بحيث يؤمن ليس فقط النمو الكمي (ان نجاحات البلاد السوفييتية هنا كبيرة ولا تقبل الجدل) بل والزيادة الحادة لفعالية الانتاج ونوعية المنتجات والعمل بأسره . وصيغ من اجل هذه الغاية برنامج شامل لمواصلة اتقان الادارة ينص على تحسين التخطيط وتحفيز تطور الانتاج وتحسين بنيته التنظيمية والاستفادة الواسعة في الادارة من الوسائل العلمية والتكنيكية المعاصرة ، ومن الاتمتة على وجه الخصوص .

الفصل الثامن

انشاء القاعدة المادية التكنيكية هو الامر الرئيسى فى بناء الشيوعية

القاعدة المادية التكنيكية هى مجموعة ادوات ووسائل العمل التى ينتج الانسان بواسطتها وسائل العيش الضرورية له . وهى مؤشر هام لمستوى تطور المجتمع .

وتقدم المجتمع هو ، بالدرجة الرئيسية ، تقدم قاعدته المادية التكنيكية . لذا ، فان عرض مهام بناء المجتمع الاكثر تقدمية على الارض – وهو ما باشر به الاتحاد السوفيتى – يبدأ بوصف قاعدته المادية التكنيكية ، بطرق ووسائل اقامتها .

١ – اهمية القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية

ان القاعدة المادية التكنيكية للطور الاول من المجتمع الجديد ، اى الاشتراكية ، هى عبارة عن انتاج آلى معاصر . بيد ان حالة ومستوى تطور الانتاج الاشتراكى ليسا كافيين بعد لكى يلبيا بوفرة حاجات الشغيلة المادية والروحية المتنامية باستمرار . وبدون ذلك لا يمكن ان تقوم للشيوعية قائمة .

ان القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية ضرورية ، قبل كل شىء ، من اجل **تأمين وفرة من القيم المادية والروحية** ، وبهذا تهيئة الشروط والظروف لاجل بلوغ المساواة الاقتصادية التامة بين الناس . وعلى هذا الاساس فقط يمكن تأمين ارفع انتاجية للعمل ، وتصفية التقسيم السابق للعمل ، وتغيير طبيعة العمل

نفسه بتحويله من واجب الى حاجة حياتية اولية ، الى مصدر المغبطة والالهام والابداع .

وعلى اساس القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية فقط يمكن **تحويل العلاقات الاجتماعية الاشتراكية الى علاقات اجتماعية شيوعية** ، والقضاء على الفروقات الجوهرية بين الطبقة العاملة والفلاحين ، وبين المدينة والقرية ، وبين اناس العمل الفكرى والعمل الجسدى .

وعلى اساس انشاء القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية فقط يمكن **تربية الانسان الجديد** ذى الذهن الوقاد والمبادئ الاخلاقية الرفيعة والكمال الجسمانى . وهذا امر مفهوم ، اذ انه يترتب على الانسان من اجل الحصول على تطور شامل ان يكون مؤمّنا تأمينا تاما من الناحية المادية ، وان يلبى متطلباته الروحية تلبية واسعة ، وان يكون لديه الكثير من اوقات الفراغ من العمل فى الانتاج لكى يشارك بشكل نشيط فى ادارة المجتمع ، ولكى يتكامل جسمانيا وروحيا . ويتبدى انشاء القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية ، على هذا النحو ، كمقدمة **اقتصادية** وشرط لبلوغ غاية التطور الاجتماعى : تكوين انسان متطور من كافة الجوانب .

٢ – خصائص القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية وطرق انشائها

ان انشاء القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية فى الاتحاد السوفييتى لا ينحصر فى النمو الكمى للقدرات الانتاجية . فهو يفترض ، فى المقام الاول ، **تغيرات نوعية** فى نفس طابع عملية الانتاج . والخصائص النوعية للقاعدة المادية التكنيكية للشيوعية هى : الكهربة التامة للبلاد ، وعلى اساسها اتقان التكنيك والتكنولوجيا وتنظيم الانتاج الاجتماعى فى جميع فروع الاقتصاد الوطنى ؛ المكننة المجموعية للعمليات الانتاجية واتمتتها بصورة متزايدة الكمال ؛ الاستخدام الواسع للكيمياء ؛ تطوير فروع

الانتاج الجديدة الرفيعة المردود اقتصاديا بشتى الوسائل ، واستحداث انواع جديدة من الطاقة والمواد ؛ استخدام الموارد الطبيعية والمادية والبشرية من جميع النواحى وبصورة رشيدة ؛ الجمع العضوى بين العلم والانتاج ، والوتائر السريعة للتقدم العلمى التكنيكى ؛ المستوى الثقافى التكنيكـــى الرفيع لدى الشغيلة .

والمكننة والاتمتة المجموعتان للانتاج هما اهم اتجاه فى التقدم التكنيكى والسمة المميزة للقاعدة المادية التكنيكية للشيوعية . فهما ترفعان انتاجية العمل وتزيدان كمية المنتجات وتخفضان ثمنها وتعتقان الشغيلة من الجهود الجسدية المرهقة وتغيران طابع العمل نفسه .

وتطور كل فرع من فروع الاقتصاد الوطنى مرتبط باستخدام الطاقة الكهربائية . وتسمية الطاقة الكهربائية بـ«خبز» الاقتصاد ليست من باب الصدفة .

فالكهربة تشكل العمود الفقرى لتطور الاقتصاد . والكهرباء تحول جميع فروع الانتاج والعمليات التكنولوجية . وعلى استخدام الكهرباء يرتكز استخدام وتطور الاتوماتيكا والالكترونيكـــا والسيبرنيتيكا والكيمياء والميتالورجيا الكهربائية والمعالجـــة الكهربائية للمعادن وتحويل الطاقة الكهربائية الى حرارة من اجل الاغراض الصناعية الخ . .

ان توليد الطاقة الكهربائية فى الاتحاد السوفييتى ينمو بوتائر سريعة . ففى حين انتج عام ١٩١٣ فى روسيا القيصرية مليارا كيلوواط ساعة فقط ، فقد انتج عام ١٩٤٠ ٤٨,٥ مليار ، وعام ١٩٦٠ ٢٩٢ مليارا ، وعام ١٩٧٠ ٧٤١ مليارا ، وعام ١٩٧٨ ١٢٠٢ مليار كيلوواط ساعة .

ويجرى توليد الطاقة الكهربائية بواسطة احراق الوقود وبالطاقة المائية . بيد ان احتياطيات الوقود والموارد المائية ، مهما كانت كبيرة ، ليست دون حدود . فقد حسب ، مثلا ، انه خلال ١٠٠ سنة قادمة ستنفد الاحتياطيات المعروفة من الوقود العادى المطمور فى الارض . فمن البديهى ، اذن ، ان تفتش البشرية عن سبل الحصول على انواع جديدة للطاقة واستخدامها .

ويتطور انتاج الطاقة الذرية بكثافة متزايدة . وقد باتت تعمل فى الاتحاد السوفييتى عدة محطات كهرذرية ضخمة . وتستخدم الطاقة الذرية فى محركات السفن ، ولاجل تحلية المياه ، وفى عدد من العمليات التكنولوجية ، وفى الطب الخ . . وتجرى بنجاح ابحاث تتعلق بتحويل الطاقة الذرية بصورة مباشرة الى طاقة كهربائية ، وبالتحكم بالتفاعلات الحرارية النووية ، وباستخدام الطاقة الشمسية .

وتشكل **كمياة الانتاج** خاصة هامة من خصائص القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية . فالانتاج المعاصر يستحيل تصوره بدون المواد التركيبية الجديدة : عنينا بذلك اللدائن والمطاط الاصطناعى والالياف الاصطناعية وغيرها من منتوجات كيمياء البوليميرات المعاصرة التى لا يندر ان تتفوق من حيث المتانة والرخص والاناقة على المواد الطبيعية العادية .

ان الكيمياء توسع قاعدة الخامات وتوفر مواد جديدة لاجل الصناعة واشد الوسائل فعالية (الاسمدة ، مثلا) لاجل النهوض بالزراعة ، ولاجل زيادة انتاج سلع الاستهلاك الشعبى واعلاء نوعيتها . والكميأة تؤدى الى تخفيف وطأة العمل ، والى الاقتصاد فى نفقات العمل . ونتيجة للكميأة يجرى توفير كمية كبيرة من المنتجات الغذائية التى تستخدم لاغراض صناعية . وتهيئ نجاحات الكميأة اكثر الظروف مؤاتاة لاجل تطوير اهم فروع التكنيك .

ان مستوى تطور الزراعة يتوقف عليه الى حد هام رفاه الشعب ، ولذا فان **النهوض بالانتاج الزراعى** يعتبر واحدة من المهام التى لا تحتمل التأجيل ، والصعبة فى الوقت نفسه ، للبناء الشيوعى .

فحاجات السكان المتزايدة على الدوام الى المواد الغذائية ، والصناعة الى المواد الخام ، تثير ضرورة مواصلة النهوض بالزراعة فى الاتحاد السوفييتى .

ويجرى فى البلاد السوفييتية تحقيق برنامج واسع لمتابعة مكننة وكميأة الزراعة ، وتجويد التربة ، والاستخدام الواسع

لمنجزات العلم الزراعى المعاصرة ، واعداد كوادر كفوءة . ان تنفيذ هذا البرنامج سيؤمن جميع حاجات الانتاج المتطور الى الخامات ووفرة المنتجات الغذائية .

٣ – تحويل العلم الى قوة منتجة مباشرة

يكتسب استخدام منجزات الثورة العلمية التكنيكية اهمية ضخمة فى انشاء القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية . فما الذى تعنيه هذه الثورة ؟

الثورة العلمية التكنيكية ، جوهرها واهميتها

تتطور فى العالم بأسره حاليا **الثورة العلمية التكنيكية** المرتبطة بالنجاحات الهائلة للاتوماتيكا والراديوالكترونيكا والتليميكانيكا ، وباستخدام الطاقة الذرية وارتياد الفضاء ، وبمنجزات السيبرنيتيكا والكيمياء والبيولوجيا .

ان هذه الثورة تجرى فى النظامين الاجتماعيين المختلفين : الاشتراكى والرأسمالى . وبما ان قوانين التطور الاجتماعى وكذلك هدف الانتاج الاجتماعى فى هذين النظامين مختلفة مبدئيا فان النتائج الاجتماعية الاقتصادية وآفاق التقدم العلمى التكنيكى هى مختلفة ايضا .

ليس بوسع الرأسمالى ان لا يتقن الانتاج على اساس احدث المنجزات العلمية التكنيكية والا يحل به الافلاس فى الصراع التنافسى القاسى . وينجم عن ذلك ان التقدم العلمى التكنيكى يشكل ضرورة موضوعية فى ظل الرأسمالية ايضا . ان رأسماليى البلدان الاكثر تطورا يستغلون بمهارة منجزات العلم والتكنيك المعاصرين من اجل زيادة القدرات الانتاجية ورفع انتاجية العمل وتحسين نوعية المنتجات ، الخ . .

الا انه لا يجوز فى الوقت نفسه عدم رؤية التناقضات العميقة للتقدم العلمى التكنيكى فى ظل الرأسمالية : فالانتاج

يبدى ميلا نحو الاتساع الى ما لا نهاية بينما القدرة الشرائية لدى السكان محدودة ، اما التصريف فى الاسواق الخارجية فيعيقه الصراع التنافسى . ويقيد ضيق السوق توسيع الانتاج ، بينما يزيد استخدام الاتمتة واحدث منجزات العلم والتكنيك الاخرى جيش العاطلين عن العمل ويقلص القدرة الشرائية بدرجة اكبر ايضا . وتولّد الفوضى والعفوية والمنافسة فى ظل الرأسمالية السر التجارى فى العلم والتكنيك مما يعرقل التعاون العلمى التكنيكى . وسبب ذلك كله يعود الى ان الربح هو هدف تطور الانتاج والعلم والتكنيك فى ظل الرأسمالية . ومن هنا ينتج تردى وضع الكادحين ، والبطالة ، وازاحة الانسان من ميدان العمل ، وبهذا تقييد الامكانيات امام تطور مؤهلات الانسان .

وانه لمغاير تماما افق تطور الثورة العلمية التكنيكية فى ظروف الاشتراكية . فالاشتراكية تنظم العملية الاجتماعية الانتاجية تنظيما منهاجيا بغية تطوير جميع اعضاء المجتمع من كافة الجوانب ، ولذا فان الاشتراكية والشيوعية وحدهما تستخدمان منجزات العلم والتكنيك لا لما فيه ضرر الناس بل لما فيه خير الانسان . ان استخدام منجزات الثورة العلمية التكنيكية يتيح فى ظل الاشتراكية تهيئة الظروف المؤاتية من اجل الابداع ، من اجل التطور الشامل للشغيل .

وابان عملية بناء الشيوعية يندمج العلم اوثق فأوثق بالانتاج الذى يستخدم منجزات العلم باتساع متزايد . **ان العلم يتحول اكثر فأكثر الى قوة منتجة مباشرة ، بينما يغدو الانتاج تدريجيا تجسيدا تكنولوجيا للعلم .**

ويساعد العلم على وضع الثروات الطبيعية فى خدمة الانسان بصورة واسعة وفعالة ، وعلى ادراك واستخدام قوانين الطبيعة وقوانين التطور الاجتماعى . ويرتبط العلم ارتباطا اوثق فأوثق بالانتاج ، وبالعمل الخلاق للشعب ، وبممارسة البناء الشيوعى . وتتحقق كلمات ماركس الذى كتب يقول ان انشاء الثروة الحقيقية ، الشيئية والروحية على السواء ، سوف يتوقف فى المجتمع الجديد ، بقدر تطور الصناعة الكبيرة ، «على المستوى

العام للعلم وعلى تقدم التكنيك او على الاستفادة من هذا العلم فى الانتاج» * .

لنتناول بمزيد من التفصيل التفاعل بين العلم والانتاج ، ودور العلم فى انشاء المقدمات الاقتصادية للشيوعية .

مستقبل العلم هو مستقبل الانتاج

ان تحول العلم الى قوة منتجة مباشرة لا يعنى ان العلم يغدو عنصرا مستقلا نسبيا ثالثا ما للقوى المنتجة الى جانب وسائل الانتاج والناس الذين ينتجون الخيرات المادية . فالعلم يكتسب دور القوة المنتجة **من خلال ادوات الانتاج التى يجد فيها تجسيده المادى ، ومن خلال الناس الذين يملكون ناصية العلم ويستخدمون منجزاته فى الانتاج .**

والعلم المعاصر لا يمكن تصوره بدون ارتباطه العضوى بالانتاج الذى يقدم له اعقد التجهيزات والاجهزة ويؤمن له كوادر المهندسين والتكنيكيين والعمال الضروريين من اجل انشاء واستثمار التجهيزات العلمية ، ويقدم للعلم قاعدة واسعة لاجراء التجارب . فمن المستحيل ، مثلا ، ادراك ألغاز نواة الذرة بدون المعجلات الفائقة القدرة واعقد الاجهزة والوحدات الاخرى التى انشأتها الصناعة الحديثة . ولا يمكن للمرء ان يتصور علم ايامنا هذه بدون المجاهر الالكترونية ، والصواريخ الفضائية ، والتلسكوبات اللاسلكية ، والكثرة الكثيرة من ادوات المعرفة البسيطة والمعقدة الاخرى . ان جميع هذه الادوات ليست نتاج نشاط الناس العلمى فحسب بل ونشاطهم الانتاجى ايضا .

وتحت التأثير التثويرى للعلم لا تنشأ فقط فروع جديدة للانتاج بل ويعاد تنظيم الفروع التقليدية «القديمة» بصورة جذرية ايضا . لنأخذ ، على سبيل المثال ، الميتالورجيا . ففى

---

* ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ٤٦ ، القسم الثانى ، ص ٢١٣ .

حين كانوا سابقا يفهمون بكلمة ميتالورجيا فقط عملية استخراج المعادن من الخامات ، فهى الآن اعقد علم عن المعادن لا يمكن بدونه وجود الصناعة التعدينية المعاصرة . ان الحديد والفولاذ والحديد الزهر والمعادن غير الحديدية تؤلف ، شأنها في السابق ، المواد الاساسية للمعادن المستعملة فى الانتاج . الا انه قد دخلت الى الانتاج حاليا وبصورة حازمة معادن «جديدة» هى الاورانيوم والثوريوم والبيريليوم والسيزيوم . ورغم ان حصتها غير كبيرة فى الحجم العام للمعادن المستعملة فانه يستحيل بدونها انتاج الطاقة الذرية ، والراديو الكترونيكا ، وتكنيك الصواريخ . ومما له دلالته ان هذه المعادن تعطى فائدة فقط لدى وجودها فى حالة فائقة النقاوة ، اى تقريبا فى حال عدم وجود شوائب فيها . ولا تستطيع الميتالورجيا العادية انتاج هذه المعادن بل ان هذا بمقدور الميتالورجيا المرتبطة بالعلم .

وفى معرض الحديث عن الارتباط بين العلم والانتاج لا يجوز فهم هذا الارتباط بصورة نفعية ومطالبة العلماء بعطاء انتاجى فورى . فالعلم يجب ان يرى لا يومنا الراهن فحسب بل واليوم المقبل ايضا ، وان يخلق «احتياطا» للمستقبل وان يحل اهم المسائل النظرية التى تمهد السبل الجديدة فى العلم والتكنيك . وبعض هذه المسائل لا تقدم منافع محسوسة على الفور ، الا ان هذه المنافع ستكون اكبر بمقدار ما تكون ابحاث العلم اكثر حيوية . هكذا حدث ، مثلا ، بالنسبة للطاقة الذرية التى بدأ الانسان باستخدامها فى حيز التطبيق غب مرور نصف قرن على اكتشافها .

٤ – الانسان فى ظروف الثورة العلمية التكنيكية

يبرز الجوهر الاجتماعى للثورة العلمية التكنيكية بوضوح فى تغير مكان ودور الانسان فى الانتاج الاجتماعى .

فى جميع مراحل التطور التاريخى كان الانسان والتكنيك يعملان فى الانتاج المادى كوحدة ما متكاملة . فالتكنيك بدون

الانسان ميت ، والانسان بدون التكنيك عاجز . وهما يشكلان سوية نظام «الانسان-الآلة» . وفي اطار هذا النظام يعاد توزيع وظائف جزئيه البشرى والتكنيكى .

ويتسم التفاعل بين الانسان والآلة بطابع تاريخى ملموس ، وهو يتوقف على العلاقات الانتاجية المهيمنة فى المجتمع . والانسان مرتبط بشبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية التى تعين فى خاتمة المطاف طابع تفاعله مع الآلة . ولا يقتصر دور الانسان فى هذا التفاعل على التحكم الجسدى البحت بروافع الآلة . فهذا التحكم يكتسب بالضرورة صبغة اجتماعية .

ان الآلات ، التى تستعمل فى الانتاج الرأسمالى والانتاج الاشتراكى ، هى آلات مماثلة من الناحية التكنيكية ، ولكنها ترتدى فى المجتمعات المختلفة طابعا غير مماثل . ويعود سبب ذلك الى ان الآلات فى ظل الرأسمالية هى ملكية خاصة ، بينما هى فى ظل الاشتراكية ملكية اجتماعية . وفى ظل الرأسمالية تقف الآلة فى المقام الاول من نظام «الانسان-الآلة» ، اما الانسان فملحق لها . والهدف الرئيسى للرأسمالى هو الحفاظ على وتائر الانتاج وزيادتها ، والتغلب فى الصراع التنافسى ، وتأمين اقصى الارباح . ومن اجل بلوغ هذا الهدف يحسّن الرأسمالى التكنيك والآلات دون ان يعير اقل اهتمام للانسان .

اما فى المجتمع الاشتراكى فان الامر الرئيسى فى نظام «الانسان-الآلة» هو الانسان . فهو ليس مجرد «مدير» تكنيكى للآلة بل ومالكها ، صاحبها ، سوية مع الشغيلة الآخرين . لذا ، فان العناية بالتقدم التكنيكى فى ظل الاشتراكية يتآلف مع العناية بالانسان ، بتطوره الذهنى والجسدى .

ومع نمو الاتمتة يغدو الانسان حلقة فى المنظومات الانتاجية المعقدة للغاية . وفى هذه الظروف تنحصر القضية لا فى تحرير الانسان كليا من المشاركة فى العمليات الانتاجية واستبداله كليا بالآلة ، اذ ان ذلك امر مستحيل ، بل فى التفتيش عن اشكال التعامل مع الآلة الاكثر ملاءمة التى تتجاوب مع مؤهلات الانسان الذهنية والجسدية . وبما ان الانسان ، فى ظروف الانتاج المؤتمت ، يؤثر على العملية الانتاجية بصورة غير مباشرة عن

طريق منظومة اجهزة التشوير والتوجيه ، فان صياغة الاشكال الاكثر عقلانية لتعامل الانسان مع هذه الاجهزة بالذات تكتسب أهمية كبيرة بوجه خاص . ويتلقى مصممو الآلات مساعدة لا تقدر بثمن من جانب السيبرنيتيكا المدعوة ليس فقط الى تصميم منظومات مثلى من الآلات بل والى وضع اساليب ادارة الاجهزة الاتوماتيكية المعقدة ، والى تصميم وسائل الادارة التى تتلاءم مع امكانيات الانسان ومؤهلاته .

هل تحل الآلة محل الانسان ؟

مع تطور الاتوماتيكا والسيبرنيتيكا تلقى على كاهل الآلة لا وظائف الانسان الجسدية فحسب بل ووظائفه العقلية ايضا . فالآلات تجرى عمليات حسابية ، وتدير الاجهزة وأعقد العمليات التكنولوجية ، وتترجم من لغة الى لغة ، وتلعب بالشطرنج والداما ، بل وتنظم اشعارا وتضع ألحانا موسيقية . وبديهى ان هذه الترجمات والاشعار والالحان الآلية بعيدة الى ما لا نهاية عن تلك التى يبدعها الانسان ، بيد ان الآلة تتفوق على مقدراته الفكرية فى شيء ما . فالآلة اسرع من الانسان بما لا يقاس (بعشرات ومئات آلاف المرة) فى اجراء الحسابات المعقدة ، وهى قادرة على تقديم التعميمات بتحليلها ، احصائيا ، كمية ضخمة من الصيغ التى ليس بمقدور عقل حتى اكثر الاشخاص ذكاء ان يحيط بها ، الخ . . والآلة قادرة على العمل حيث يكون وجود الانسان اما محفوفا بالخطر (لدى دراسة العمليات الذرية والعديد من العمليات الكيميائية ، مثلا) واما مستعصيا (فى استقصاء الرحاب الفضائية البعيدة) .

زد على ذلك انه قد تم صنع آلات اتوماتيكية ذاتية التلقين تضع الحلول وتجرى العمليات بدون مساعدة الانسان المباشرة ، وتصيغ بنفسها الاجوبة الملائمة على ما يطرح عليها من الخارج . وبكلمة اخرى نقول ان اعمال هذه الآلات مرتبطة ارتباطا مطابقا بادراك العالم الخارجى . وخطيت خطوات ملحوظة فى صنع آلات

اتوماتيكية قادرة على اصلاح عطلها بنفسها بتغيير القطع التالفة . وتجدر الاشارة فى هذا الصدد الى ان التكنيك السيبرنيتيكى لا يزال فى الواقع يخطو خطواته الاولى ، وان امكانياته فى تقليد وظائف الفكر البشرى هائلة حقا .

لقد كانت نجاحات السيبرنيتيكـــا فى تصميم آلات تقوم بعمليات منطقية بمثابة اساس لنعتها بالآلات المفكرة . وقد بدأ بعض علماء السيبرنيتيكا وعلماء الاجتماع ولا سيما الادبـــاء والصحفيون يتحدثون ، بعد الصاقهم بالآلات مقدرة التفكير ، عن امكانية انشاء آلة مفكرة تفوق من جميع النواحى المقدرة التفكيرية للانسان وتأخذ على عاتقها جميع وظائفه وتحل ، فى نهاية الامر ، محل الانسان نفسه . ويخلى عهد الانسان المكان على الارض لعهد الانسان الآلى . ويزعم ذلك ، مثلا ، عالم الاجتماع الانجليزى بيتر كلييتر الذى يؤكد فى كتابه «عهد الاناس الآليين» انه بمقدار اتقان الآلات السيبرنيتيكية يحل مجتمع هذه الآلات محل البشرية تدريجيا «وبدون عنف واهراق دماء» وسيمحو الناس الى الابد عن وجه الارض .

فهل يرتسم امام البشرية فى الواقع هذا الافق المكفهر الى هذا الحد ؟ كلا ، بالطبع .

ليس ثمة ، بادئ ذى بدء ، اية اسس لالصاق **ميزة التفكير الخاصة بالانسان** بالآلات السيبرنيتيكية . فالآلة تفكر لا بطريقة بشرية بل **تقلّد ، تنمذج** ، بعض الوظائف المنطقية الملازمة للانسان ، وفقط تلك الوظائف التى تنصاع للمعالجة المنطقية الشكلية . وواقع او دائرة عمليات التفكير التى تنصاع للمعالجة المنطقية الشكلية ، الرياضية ، تتسع على الدوام ، لا يغير من جوهر الامر . فالتفكير كان ويبقـــى اساس (substratum) الدماغ ، هذا النتاج الحى للتطور البيولوجى والاجتماعى ، لقد كان ويبقى تفكيرا **اجتماعيا** من حيث طبيعته . اما الآلة ، وحتى الآلة الاكثر اتقانا ، فقد كانت وتبقى نتاجا فيزيائيا كيميائيا ميتا صنعه الانسان ويديره الانسان .

ان الانسان يستطيع ان يفكر وهو يفكر بدون الآلة ، اما الآلة فهى عاجزة بدون الانسان عن القيام ليس بوظائف منطقية

فحسب بل وبوظائف ميكانيكية بحت ايضا . والآلة «تفكر» بموجب برنامج يضعه الانسان ، وتجرى تلك العمليات التى يرسمها لها الانسان . ولا تشذ عن القاعدة الآلات الاتوماتيكية الذاتية التلقين والذاتية الاتقان . فالفرق يكمن فقط فى ان البرنامج الموضوع فيها ذو طابع اكثر شمولا من البرنامج المعطى للآلات الاتوماتيكية العادية ، انه لا يحتوى الا على القوانين الاساسية التى يقام بموجبها الارتباط بين التأثيرات الخارجية والعمليات الجوابية للآلة الاتوماتيكية بمنحه اياها حرية معينة فى اجراء هذه العمليات .

وليس بوسع الآلة ، بتفوقها على الانسان فى شيء ما ، ان تضاهيه من حيث المقدرة على التحويل الفعال للواقع وعلى الانشاء والابداع . ناهيك عن ان الآلة لا تملك تلك المجموعة الرائعة بعمقها وتنوعها من المشاعر والافكار والانفعالات والاهتمامات والمتطلبات – اى ، بكلمة ، جميع مظاهر الحياة التى يتصف بها الانسان . والانسان قادر على الاغتباط والاكتئاب ، والاستمتاع والمعاناة ، والمحبة والبغض ، والابداع وفق قوانين الجمال الحقيقى . اما الآلة فهى محرومة من هذا كله ، لقد صنعها الانسان وهى تنفذ ارادته بعمى . وكما ان الاجهزة العادية زادت بدرجة هائلة قوة الايدى والعضلات البشرية ، فان الاجهزة «المفكرة» توسع امكانيات ومقدرات العقل البشرى ، الا انها لا تحل ابدا محل الانسان ، محل دماغه ، مثلما لم تحل الحفارة ، مثلا ، بتقليدها حركات يد الانسان محل اليد البشرية .

وهذا لا يعنى ابدا انه توجد ثمة تقييدات مبدئية ما امام اتقان الآلات «المفكرة» ، وانه من غير الممكن صنع نموذج سيبرنيتيكى (نموذج ، تقليد ، بالضبط !) للدماغ البشرى . وتأكيد عكس ذلك يعنى الوقوف موقف اللاادرية ، موقف عدم الثقة بقوة العقل البشرى . بيد ان الدماغ الالكترونى ، لو صنع ، لن يصنع من اجل الحلول محل الانسان بل من اجل تحرير عقل الانسان من العمليات الذهنية الرتيبة المرهقة .

لقد قال الاكاديمى السوفييتى فى العلوم الرياضية كولموغوروف بالامكانية المبدئية لصنع آلة اتوماتيكية قادرة ،

مثلا ، على نظم الاشعار على مستوى الشعراء الكبار ، ولكنه اكد ان انشاء مثل هذه الآلة ليس اسهل من وضع نموذج لكل تطور الحياة الثقافية لذلك المجتمع الذى يعيش فيه الشعراء فعلا . الا ان القيام بذلك امر مستحيل عمليا .

ولا يجوز عدم لفت الانتباه الى هذه الناحية من المسألة ، الى المسافة الهائلة التى تفصل بين الامكانية المبدئية لصنع نموذج للدماغ البشرى وبين واقعية تحقيق ذلك . والا تتحول الفرضيات «الجريئة» لعلماء السيبرنيتيكا ، فى جوهر الامر ، الى اكثر الطوباويات سذاجة .

كلا ، ان التكنيك لا يهدد البشرية ، والانسان لن يخلى مكانه على الارض للآلات «الذكية» والرهيبة .

متطلبات التكنيك من الانسان

ان الاتوماتيكا ، بتهيئتها الظروف لاجل التطور المنسجم للانسان ، تطلب منه تطورا منسجما ، وسعة اطلاع هائلة ، ومعارف متعددة الجوانب ، وبحوثا ابداعية يومية . لذا ، فان التقدم العلمى التكنيكى فى ظروف الاشتراكية وتقدم الفرد مرتبطان فيما بينهما ارتباطا لا تنفصم عراه . فالانتاج المؤتمت العالى التطور ، والمنظم تنظيما نموذجيا ، والقائم على احدث منجزات العلم والتكنيك ، لا يجمعه فى ظل الاشتراكية جامع بالتخصص الضيق للعامل ، وبتعلقه بمهنة واحدة ، وباحادية التطور ، عندما يضحّى بجميع المؤهلات البشرية الاخرى استرضاء للنزعة المهنية الضيقة .

ان **الانسان المثقف تثقيفا شاملا** يستطيع وحده ان يلبى بصورة كاملة متطلبات الانتاج المعاصر ، وبصورة أولى الانتاج الشيوعى .

ولكن ، من ذا الذى يعتبر انسانا مثقفا فى عصرنا هذا ، وكيف سيبدو هذا الانسان فى المستقبل ؟

أن يكون الانسان شخصا مثقفا فى عصرنا هذا معناه ان يلم باسس العلم ، وان يعرف اهم منجزاته ، وان يضطلع بتطبيقها فى الانتاج ، وان يعرف تكنيك وتكنولوجيا اهم الانتاجات . ان تكوين الشخص المثقف ، الاخصائى ، هو مهمة المستقبل غير البعيد . وقد بوشر بحلها منذ الآن فى ظل الاشتراكية .

ان عملية تطور العلم والتكنيك وتغلغل العلم الى الانتاج ، الى الحياة ، تجرى بصورة متفاوتة ، بقفزات . فما كان يحتل امس المقام الاول قد شاخ اليوم ، وما هو آنى اليوم قد يخلى المكان غدا لما هو احدث منه . وذلك كله يزيد من متطلبات اعداد الاخصائى الذى يترتب عليه ان يكون مستعدا لحل المسائل الهامة للعلم والتكنيك والانتاج ، مما يمكن فقط فى حال اعداده اعدادا واسعا ، شاملا ، قائما على وحدة المعارف النظرية والتخصصية . ان توسيع المعارف الفيزيائية الرياضية ، النظرية ، والالمام بالعمليات التكنولوجية المؤسسة على النظرية العامة ، — ذلك هو طريق اعداد الاخصائيين الذين تتزايد الحاجة اليهم بازدياد التقدم العلمى التكنيكى .

وفى ظروف الانتاج الاشتراكى المعاصر يتعاظم باضطراد دور العلوم الطبيعية والتكنيكية فى الانتاج ، وبالتالى فى اعداد الاخصائيين ايضا . الا ان الولوع بنجاحات هذه العلوم يقود احيانا التكنيكيين والباحثين الطبيعيين الى استصغار التعليم الاجتماعى والانسانى .

بيد انه يجب على المرء ، لكى يدير العلم والتكنيك المعاصرين ويضعهما فى خدمة الشغيلة ، ان يكون معدا لا من الناحية التكنيكية فحسب بل ومن النواحى الفلسفية والتأثرية والاخلاقية . وبغية اعداد الانسان للعمل فى ظروف الثورة العلمية التكنيكية ينبغى تربية عقيدته واخلاقه الرفيعة ، واستكمال ميزاته النفسية والفيزيولوجية ، ودوزنة ادق اوتار روحه ، وايقاظ اكثر مؤهلاته الابداعية تنوعا . والعلوم الاجتماعية والانسانية مدعوة الى خدمة هذا الهدف النبيل . انها تمارس تأثيرا مباشرا على تكوين الانسان الجديد وعالمه الروحى وعلاقاته بالاشخاص الآخرين وبالمجتمع وبالبشرية الكادحة .

لقد توصل انسان العمل الى الشىء الكثير ، واخذ من الطبيعة شيئا كثيرا ، وسوف يأخذ منها اكثر ايضا فى المستقبل . ان ثروات الطبيعة لا تنضب حقا . لنأخذ . على سبيل المثال ، المحيط العالمى الذى يشكل مصدرا هائلا للموارد الغذائية والوقودية والمعدنية والكيميائية الاضافية . فالاسماك والحيتان ، والرخويات الكثيرة العدد والحيوانات القشرية وغيرها من الحيوانات اللافقارية ، والاحتياطيات العلفية الهائلة – تلك هى موارد المحيط الغذائية . والنفط ، والغاز ، والحديد ، والمنغنيز ، والكوبالت ، والنيكل ، والنحاس ، والعناصر المشعة والمبعثرة والنادرة – تلك هى ثروات قاع البحر . وغير قابلة للنفاد عمليا الموارد الكيميائية لمياه البحر التى تحتوى على مختلف انواع الملح ، والبروم ، والعناصر النادرة والمبعثرة . والمد البحرى هو مصدر للطاقة الرخيصة ، الخ . . ان مهمة الانسان هى ان يسخر لخدمته ثروات بواطن الارض العميقة وطاقة الشمس والعديد من عطايا الطبيعة الاخرى .

ان الطبيعة هى صديق الانسان ، الا انها لا تطيق صبرا على معاملتها بصورة وحشية . فالاستخدام الرشيد ، المقتصد للموارد الطبيعية ، ومعاملة الطبيعة بعناية وود هما شرط لا بد منه للتقدم العلمى التكنيكى ، لتقدم المجتمع ككل . ولكننا ، كم ننسى غالبا ، ونحن نطور التكنيك والانتاج ونبنى المصانع والمعامل الجديدة والطرقات والجسور والمساكن ، ننسى هذا الصديق الكبير ، طبيعتنا ، وكم ننسى غالبا ان الطبيعة ليست ملكا لنا وحدنا ، نحن الاحياء اليوم ، بل وملكا لأناس المستقبل ، للاجيال القادمة ايضا . ان طبيعتنا قد اعطت العالم نحن ، الناس ، انها اعطتنا وتعطينا وسوف تعطينا الى الابد كل ما هو ضرورى . والطبيعة ، التى يؤثر فيها الانسان بفكره ويغير وجهها بيده ، هى الغابات والجبال الرائعة ، والحقول اللامتناهية ، والبحار والبحيرات الصافية المياه ، والسواقى والانهر الفائقة النقاوة ، وهى الحبوب ، والمواد من اجل الصناعة ، وهى مكان لا يضاهى

بشيء من اجل راحة الانسان بعد اعماله المتوترة . والطبيعة تسمو بالانسان ، وتوقظ فكره ، وتشكل مصدرا للالهـــام الابداعي . ومن دواعي الاسف انه لا تزال عالقة في ذهن بعض الاشخاص نظرة نفعية بحت الى الطبيعة : فالغابة بالنسبة لهم هي خامات ووقود ومساكن واثاث وألبسة الخ . ؛ والسواقي والانهر والبحيرات مصدر للطاقة الكهربائية ، وشرايين للملاحة ، وخزان لاجل تزويد المؤسسات بالمياه و ... مكان لتجمـــع المياه الصناعية ونفايات الانتاج .

ان ذلك لا يعني ، بالطبع ، ان نشاط الانسان العلمي التكنيكي معاد بحد ذاته للطبيعة بحيث يتوجب تقليصه . كلا ، فكما ان الموقف الهمجي من الطبيعة ، الذي يخلّف وراءه القفار ، هو موقف غريب على الاشتراكية ، فانها لغريبة عليها بنفس القدر الدعوة الرعوية الملازمة للنظام الابوي «الى الوراء نحو الطبيعة العذراء» . فاذا كانت الطبيعة «جسدنا غير العضوي» فان المهمة تقضي بان نتعلم ادارة هذا «الجسد» بمهارة وحذق ، وبان نجبره على ان يعمل بصورة مكثفة لصالحنا ، وبالا نلحق الاذى به بل نصونه كما نصون جسدنا . والمهمة تقضي بالا نستهلك ثروات الطبيعة فحسب بل نعوض عن الضرر الذي نلحقه بهـا وان نتدارك مسبقا العواقب السلبية الطابع لكي نختار من بين جميع الانواع المحتملة للمشاريع التكنيكية الجديدة تلك الانواع التي تتلاءم بصورة مثلى مع العمليات الطبيعية . ان الانسان في المجتمع الاشتراكي يصون الطبيعة ويجدد نشاطها عن طريق تربية اصناف ثمينة من الاسماك بطريقة اصطناعية ، واقامة الحمى (اماكن يمنع فيها الصيد واستغلال ثروات الطبيعـــة) والمشاتل ، وزراعة الغابات ، ومنشآت تنقيـــة المياه في المؤسسات الصناعية . والتقدم العلمي التكنيكي هو بالذات الذي يوفر الوسائل الفعالة من اجل العمل المتعلق بوقاية الطبيعة وتجديد نشاطها .

وتُطرح امام الانسان مسألة التحكم بكل بيوسفير الكرة الارضية كنظام واحد لما فيه منفعته . وتنفيذ هذه المهمـــة يتعدى طاقة دولة بمفردها ايا كانت . ان الطابع الشامل ، الذي

يرتديه التفاعل بين الانسان والطبيعة ، يتطلب توحيد جهود جميع البلدان والقارات بغية الحفاظ على ثروات الارض لاجل البشرية جمعاء .

٥ - الشيوعية والعمل

لقد حصل الشغيلة فى ظل الاشتراكية لأول مرة ، بوضعهم حدا للاستغلال الى الابد ، على امكانية العمل لا للملاك العقارى والرأسمالى بل لانفسهم ، لمجتمعهم . ونتيجـــة ذلك يجرى الانعطاف العظيم فى موقف الناس من العمل .

وستزداد اكثر ايضا اهمية النشاط العملى للناس فى المجتمع الشيوعى المقبل .

ان الشيوعية والعمل لا ينفصلان . وفى ظل الشيوعية ايضا سيبقى العمل مصدر جميع ثروات البشرية . وكل شخص قادر على العمل سوف يعمل ويضمن النمو غير المنقطع للقيم المادية والروحية . فالشيوعية ، شأن الاشتراكية ، تحرر الناس لا من العمل بل من استغلال عملهم . والعمل نفسه فى ظل الشيوعية وظروفه وموقف الناس منه سوف يتغير بصورة محسوسة . ان ذلك سوف يكون العمل الشيوعى .

فكيف يتصور الماركسيون ، اذن ، العمل الشيوعى ؟

مفهوم العمل الشيوعى

ان العمل الشيوعى هو عمل للعموم ، وطوعى ، ومتحرر من الاستغلال ، وقائم على الملكية الاجتماعية واحدث قاعـــدة تكنيكية ؛ عمل عالى الانتاجية ومنظم تنظيما علميا ؛ عمل ابداعى يجمع فى نفسه عضويا بين الجهود الجسدية والجهود العقلية ؛ عمل بدون معدل ؛ عمل مجانى يمارسه الانسان بكل ما أوتى من مؤهلات ؛ عمل يعتبر حاجة حيوية اولى .

ان عناصر العمل الشيوعى تتواجد فى ظل الاشتراكية ايضا . ففى السنوات الاولى للسلطة السوفييتية نظم شغيلة روسيا ايام سبت شيوعية بان قاموا مجانا باعمال مفيدة اجتماعيا فى اوقات فراغهم . وقد قدّر لينين عالى التقدير السبوت الشيوعية معتبرا اياها بمثابة باكورة الموقف الجديد ، الشيوعى ، من العمل . وارست السبوت بداية المباراة الاشتراكية الواسعة التى اكتسبت ، فى مختلف مراحل تطور المجتمع السوفييتى ، اشكالا جديدة وجديدة .

ان قاعدة «من لا يعمل لا يأكل» قد غدت فى المجتمع الاشتراكى قانون حياة اكثرية المواطنين السوفييتيين . فالكثير منهم يشتغلون بقدر مؤهلاتهم ولا يتصورون حياتهم بدون قضيتهم المحببة لديهم ، بدون العمل الذى يعتبر بالنسبة اليهم مصدر غبطة وحاجة حيوية .

ويشكل وجود المؤهلات والمواهب والولع الصادق بالقضية والحب لها شرطا لا بد منه من اجل نجاح القضية ، شرطا للموقف الخلاق التجديدى حقا من العمل وهو امر مميز بالنسبة لعدد هائل من المواطنين السوفييت . ومع ذلك فان اختيار الاختصاص ومكان العمل فى ظل الاشتراكية يتحدد احيانا باعتبارات مادية وبالسعى الى الحصول على اجور اكبر لقاء العمل . ان مبدأ المصلحة المادية الشخصية يشكل حافزا لتطور الانتاج فى ظل الاشتراكية وهو يتآلف مع المصالح الاجتماعية اذا استخدم استخداما صحيحا . ولكن ، اذا كانت تقود الانسان الرغبة فقط فى تقاضى اجور ارفع ، واذا كان غير شغوف بعمله ، فانه يعطى المجتمع اقل مما يستطيع ان يعطيه باشتغاله فى قضية محببة لديه .

وفى ظل الشيوعية سوف يعمل كل شخص بحماس فى ذلك المكان الذى يستطيع ان يظهر فيه مؤهلاته على نحو اكمل ، وبالتالى حيث بامكانه ان يقدم للمجتمع اكبر فائدة . ان المجتمع الشيوعى ، القائم على الانتاج الاكثر اتقانا والمؤتمت وعلى المستوى الرفيع لوعى الشغيلة ، يخلق ليس فقط ظروفا مماثلة بالنسبة للجميع من اجل تطوير المؤهلات بل واكثر الظروف كمالا ومؤاتاة لاجل تطبيق مؤهلات كل شغيل على اكمل وارشد وجه ، **فجميع**

الناس سوف يعملون **دائما** وفقا لكفاءاتهم . وقد ورد فى برنامج الحزب الشيوعى السوفييتى :«فى المجتمع الشيوعى لا يمكن للانسان الا يعمل ، فوعيه والرأى العام لا يسمحان له بذلك . ان العمل حسب الكفاءة يصير عند جميع اعضاء المجتمع الى عادة والى اول حاجة حيوية» .

التقسيم الشيوعى للعمل

ان الاشتراكية ، بقضائها على الملكية الخاصة والاستغلال ، قد قضت على اسس التقسيم الرأسمالى للعمل ، وخاصة على التضاد بين المدينة والريف ، وبين اناس العمل الفكرى والعمل الجسدى . ففى ظل الاشتراكية يتخذ تقسيم العمل شكل تعاون ومساعدة متبادلة بين شغيلة متحررين من الاستغلال . بيد انه تبقى فى ظروف الاشتراكية فروقات جوهرية بين العمل الصناعى والعمل الزراعى ، بين اناس العمل الفكرى واناس العمل الجسدى .

وسوف يتواجد فى ظل المجتمع الشيوعى ايضا تقسيم معين للعمل لانه طالما يوجد انتاج مادى فمن الضرورى وجود تقسيم للعمل . ولقد كتب ماركس : «بديهى ان هذه **الضرورة** لتقسيم العمل الاجتماعى بنسب معينة لا يمكن ان يقضى عليها ، بأى حال من الاحوال ، **بشكل معين** للانتاج الاجتماعى ، وان الذى يمكن ان يتغير هو شكل **تجلّيها** فقط» .

وفى ظل الشيوعية سيتلاشى تقسيم العمل بين العمال والفلاحين اذ سيتحول العمل الزراعى الى نوع من العمل الصناعى ، وبين اناس العمل الفكرى واناس العمل الجسدى اذ سوف تمحى الفروقات الجوهرية القائمة بينهم . الا ان تقسيم العمل بين مختلف فروع الانتاج ، وبين بعض المؤسسات ، وتقسيم العمل بين المناطق ، فسوف يبقى .

ان تغير طابع العمل على اساس التقدم التكنيكى ، والتعليم البوليتكنيكى الشامل ورفع المستوى الثقافى العام ، المرتبطين بازدياد اوقات الفراغ ، سوف تغير بشكل محسوس الوجه

الانتاجى للشغيل . وسوف يوضع حد لتعلق الشغيل بمهنة ضيقة واحدة ما ، وتتهيأ الظروف لاجل الاختيار الحر للاختصاص ولاجل انتقال الشغيلة من نشاط الى آخر . بيد ان ذلك لا يستبعد تقسيم العمل بين المهن والتخصص المعين لاعضاء المجتمع .

وسيبقى فى ظل الشيوعية تقسيم معين للعمل بين بعض اعضاء المجتمع ايضا ، الا ان هذا التقسيم سيفقد كليا طبيعته الاجتماعية الطبقية . فسوف يرتدى طابعا انتاجيا ، **مهنيا** ، بحتا ، ويؤمّن للشغيلة امكانية الانتقال الى عمل آخر ضمن دائرة الانتاج المادى .

حوافز العمل

توجد فى ترسانة وسائل النضال من اجل العمل المنتج فى ظل الاشتراكية **حوافز العمل المادية والمعنوية** .

فالحوافز المادية تكتسب شكل المصلحة **الشخصية والجماعية والاجتماعية** للشغيلة فى الحصول على مكافأة مادية لقاء عملهم . وخلافا للمصلحة الجماعية والاجتماعية ، المرتبطة بالمصالح المادية لمجموعة العاملين (المصنع ، الكولخوز ، الخ .) او المجتمع ككل ، تعرب **المصلحة المادية الشخصية** عن سعى **كل شغيل بمفرده** الى الحصول لقاء عمله على حصة معينة من وسائل العيش . علما بان هذا السعى مرتبط بكون الشغيل يدرك ان الحصة التى يتلقاها لقاء عمله تتوقف على كمية العمل ونوعيته وعلى انتاجيته .

ويستوجب ضرورة التحفيز المادى فى ظل الاشتراكية واقع ان المجتمع لم يبلغ بعد الوفرة فى سلع الاستهلاك ، وانه لا تزال توجد فروقات جوهرية بين العمل الفكرى والعمل الجسدى ، وبين العمل الكفوء والعمل غير الكفوء . والانتقال فى هذه الظروف الى دفع اجور متساوية من شأنه ان يلحق الضرر بتطور الانتاج الاجتماعى وان يولّد الكسل والاتكالية .

والمصلحة الشخصية فى ظروف الاشتراكيـــة لا تتعارض موضوعيا مع مصالح المجتمع طالما ان العمل هنا قائم على الملكية الاجتماعية بينما نتاجات العمل مخصصة لتأمين رفاه جميع اعضائه وتطورهم الثقافى . وكل شغيل يدرك انه اذ يعمل لنفسه انما يعمل للمجتمع بأسره ايضا ، وان رفاه المجتمع هو رفاهه الشخصى ايضا .

والحافز المادى ليس الدافع الوحيد الذى يحث على النشاط العملى . فالشغيل فى ظل الاشتراكية ليس بروليتاريا معدما ولا اجيرا زراعيا ، بل سيد بلاده وبانى المجتمع الجديد . والامر الهام بالنسبة اليه ليس التشجيع المادى على العمل فحسب بل والارتياح المعنوى كذلـــك . ولذا بالضبط ، فبمقدار احراز نجاحات فى البناء الشيوعى تزداد اهمية **الحوافز المعنوية على العمل** : احترام الرفاق ومجموعة العاملين والمجتمع بالاجمال ، الواجب والمسؤولية امام الشعب ، الارتياح لنتائج العمل ، الشعور باعتزاز العمل وبشرف العامل ، غبطة الابداع ، التمتع الجمالى سواء بالعمل نفسه ام بنتائج هذا العمل .

والامر الرئيسى فى تحفيز العمل فى ظل الاشتراكية هو **الجمع بين الحوافز المادية والحوافز المعنوية** . ففى الوحدة والتفاعل فقط تشكل هذه الحوافز ، من جهة ، مصدرا لرفع النشاط العملى لدى الناس بصورة دائمة ونمو الثروة الاجتماعية ، ومن جهة ثانية ، مصدرا لنمو الرفاه الشعبى وتطور الشغيل من كافة النواحى وتكوّن سماته المعنوية والروحية الرفيعة .

العمل الابداعى هو اساس تطور الفرد

يؤلف الانتاج المادى والعمل اساس الحياة الاجتماعية ، كما تؤلف المقدرة على انتاج وسائل العيش ، المقدرة على العمل ، المقدرة الرئيسية والحاسمة لدى الانسان . فالمقدرة على العمل بالذات هى التى تشكل اساسا لتكوين وتطوير جميع مقدراته الاخرى بلا استثناء . وهذا امر مفهوم : فالعمل صنع الانسان ،

والعمل اعطى الانسان الغذاء واللباس والمأوى ، ولم يحمه فقط من عناصر الطبيعة بل ومكّنه من ترويضها واخضاعها . وفى العمل تغير الانسان نفسه كل التغير وغير وجه كوكبنا . وابان العمل تكونت اليد البشرية – هذه الاداة الرائعة للانشاء والابداع .

وقد كتب انجلس انه بفضل العمل فقط «بلغت يد الانسان هذه الدرجة العالية من الاتقان التى استطاعت فيها ، ان تفجر ، كقوة سحرية ، عجائب لوحات رفائيل وتماثيل تورفالدسن وموسيقى باغانينى» * . وفى العمل نشأت وتطورت اذن الانسان الموسيقية ، وعينه القادرة على تقبُّل جمال الطبيعة المدهش ، وذوقه الرفيع وسائر حواسه . واثناء العمل اكتسب الانسان موهبة مدهشة – القدرة على التفكير والنطق .

بيد ان التأثير التكوينى للعمل على ميزات الفرد البشرى يتوقف على الظروف الاجتماعية الاقتصادية وعلى تقسيم العمل القائم فى المجتمع ومستوى تجهيزه التكنيكى وتنظيمه .

وبمقدار ازدياد نجاحات الاشتراكية وقيام العمل الشيوعى ونمو تجهيزه التكنيكى وثقافته يتعاظم بدرجة متزايدة ابدا دور العمل فى تكوين الانسان الجديد . ان قيام العمل الشيوعى يشكل اساس تكوين الشخص المتطور من جميع النواحى .

لماذا هكذا ؟

اولا ، ان العمل الشيوعى قائم على أتقن قاعدة علمية تكنيكية تتطلب من الانسان موقفا خلاقا من القضية ومعارف متعددة الجوانب ومستوى ثقافيا تكنيكيا رفيعا . وبما ان تقدم التكنيك والعلم فى ظروف الشيوعية لا يعرف حدودا فان فرص تطور المزايا الذهنية للانسان واعداده التخصصى والتعليمى العام هى ايضا غير محدودة .

ثانيا . ان عدم التعلق الدائم بمهنة واحدة فى ظروف العمل الشيوعى يوفر للانسان امكانية تغيير نوع العمل واختيار اشغال تطابق اهتماماته ، مما سيشكل حافزا غير قليل الاهمية على تحسين المعارف التخصصية والتعليمية العامة .

---

* ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ٢٠ ، ص ٤٨٨ .

ثالثا . ان التنظيم الرفيع للعمل الشيوعى ، والطابع الجماعى لعلاقات العمل ، والوحدة المنسجمة لمصالح الفرد ومصالح المجتمع ستشكل عاملا هاما لتكوين صفات اخلاقية رفيعة لدى الفرد ، ووعى الواجب الاجتماعى ، والاهتمام بمضاعفة الملكية الاجتماعية ، وحب العمل ، والاخلاص والنزاهة .

رابعا . ان الجاذبية الجمالية لمجرى العمل وظروفه ونتائجه تساعد على تكوين مشاعر وافكار وتصرفات جمالية رفيعة لدى الانسان .

ان العمل العالى الانتاجية فى ظل الشيوعية سيمنح الشغيلة حدا اقصى من اوقات الفراغ الضرورية من اجل تطوير جميع مقدراتهم الذهنية والجسدية . وان الكمية الكبيرة من اوقات الفراغ هى تلك الثروة العظمى التى ليس بوسع انسان العمل فى مجتمع الاستغلاليين حتى ان يحلم بها .

ولا ينبغى الخلط بين وقت الفراغ وبين الوقت بدون عمل ، اى الوقت الحر من العمل فى الانتاج مباشرة . ان قسما من الوقت بدون عمل مرتبط ، بشكل من الاشكال ، بالنشاط الانتاجى للانسان ، مثلا ، الوقت المبذول على الذهاب الى العمل والاياب منه ، وعلى تسليم النوبة ، الخ . . وقسم آخر منه يبذل على الاهتمام بشؤون المنزل وعلى العناية بالاطفال . وقسم ثالث يبذل على تلبية الحاجات الطبيعية للجسد (التغذية ، النوم ، التزين ، الخ .) . اما ذلك القسم من الوقت الذى يبقى بعد قيام الانسان بواجباته الانتاجية والعائلية وتلبية حاجاته الفيزيولوجية ، فهو **وقت الفراغ** عمليا .

ان وقت الفراغ فى ظل الاشتراكية يتيح للشغيلة القيام بنشاط اجتماعى ، وبالتالى اكتساب خبرات ادارة شؤون الدولة ، وهى خبرات ضرورية جدا فى المجتمع الشيوعى ؛ والقيام باعمال علمية وتكنيكية وفنية ابداعية ؛ وتعاطى التربية البدنية والرياضة ، والاستراحة المفيدة ، الخ . . ويهيئ وقت الفراغ شروطا مؤاتية امام الناس من اجل تسيير نوع نشاطهم لا فى الانتاج فحسب بل وخارجه ايضا ؛ وهو يفتح امام جميع الناس بدون استثناء الابواب نحو العلم والفن والرياضة .

ان الحزب الشيوعى والدولة الاشتراكية يبديان اهتماما دائما بزيادة اوقات الفراغ لدى الشغيلة عن طريق تخفيض ساعات يوم العمل واستخدام الوقت خارج العمل استخداما اكثر عقلانية . وتنحصر احتياطيات زيادة اوقات الفراغ فى تخفيض الوقت المبذول على الذهاب الى مكان العمل والاياب منه عن طريق توزيع المساكن توزيعا امثل وتحسين عمل وسائل النقل ؛ وعلى العمل القليل الانتاجية والعمل المنزلى الشاق للغاية عن طريق المكننة والتنظيم الاكثر رشدا ؛ وعلى ارتياد مؤسسات الخدمة المعيشية والتجارة والتغذية العامة عن طريق توسيع شبكتها وتحسين عملها ؛ وعلى العناية بالاطفال عن طريق توسيع شبكة مؤسسات الاطفال .

الفصل التاسع

انسان المجتمع الجديد

كيف يتصور الماركسيون انسان المستقبل - انسان المجتمع الشيوعى ؟ انه ، فى المقام الاول ، شغيل مثقف تثقيفا عاليا يملك اسس العلم ، وخالق القيم المادية والوفرة الشيوعية . وهو شخصية اجتماعية نشيطة قادرة على ادارة شؤون المجتمع ، وانسان يملك عقيدة علمية ، ووطنى واممى يعرف اسس الفنون وقادر ليس على خلق القيم المادية فحسب بل والقيم الروحية ايضا ، انسان ذو مبادئ اخلاقية رفيعة وكمال جسمانى .

وبكلمة نقول ان انسان الشيوعية هو انسان يملك كل تنوع مظاهر الحياة ومؤهلات ابداعية لا تنضب ، والشىء الرئيسى هو انه يحسن استخدام هذه المؤهلات لما فيه منفعة المجتمع ، وبالتالى لما فيه منفعته هو . وهذا الانسان هو بالذات تلك الثروة الحقيقية التى ستخلى المكان لها الثروة الشيئية التى هى اساس وهدف الرأسمالية .

اكيد ان هذه الصفات الرائعة للانسان الجديد لا تنشأ من تلقاء نفسها ، انها تتكون ابان عملية البناء الشيوعى . فبأية طرق يحدث ذلك ؟

١ - شروط تكوّن الانسان الجديد

يسعى خصوم الشيوعية العلمية الى البرهنة على ان الشيوعية وازدهار الفرد ينفى احدهما الآخر ، وان الملكية الخاصة وتعاطى

المشاريع الحرة يشكلان وحدهما الاساس الامين لتطور الانسان . بيد ان ممارسة الرأسمالية بيّنت كل بطلان هذا النوع من التأكيدات فاندفع بعض محاميها الايديولوجيين الى التطرف الآخر حيث انهم صاروا يزعمون بان الحديث عن اى كمال للانسان امر لا معنى له بالاجمال فى عصرنا التكنيكى هذا ، وان الانسان حاليا «يموت» ببطء ولكن بصورة محتمة مسحوقا بجبروت التكنيك .

«الانسان يموت» - ان هذا ينسحب فقط على ظروف العمل الرأسمالية . فعن طريق الاستغلال والعنف والنهب كدّست الرأسمالية ثروات لا تحصى سالبةً الانسان انسانيته فى الواقع ومشبعة اياه بالايمان والقنابل والجنس . ان الرأسمالية ، تخاف من **التجدد** الاجتماعى ، **الاشتراكى للانسان والبشرية** خوفها من النار . وأزمة الانسان فى المجتمع الرأسمالى هى ازمة الرأسمالية نفسها ، وليست على الاطلاق ازمة الانسان كانسان ولا ازمة البشرية . ويحاول المشوهون البرجوازيون للاحداث الاجتماعية العصرية ، وهم يشعرون بحتمية سقوط الرأسمالية ايهام الكادحين بان الحلم بالمستقبل السعيد والنضال فى سبيله لا فائدة منهما لان الانسان على حد زعمهم سيهلك لا محالة : اما فى حريق الحرب الذرية الذى يلتهم كل شىء واما تحت نير التكنيك الجديد .

الهدف واضح : تسميم وعى الانسان الكادح وتحطيم ما هو انسانى فيه وبالدرجة الاولى توقه الى المستقبل ، وسحق شغفه بالنضال وطموحه الى الحياة الجديدة ، والتشهير بانسان الاشتراكية وبالنظام الاشتراكى ، الشيوعى .

اما فيما يخص الواقع الاشتراكى فلا شأن لآباء الرأسمالية الروحيين به . فهذا الواقع ينطق بانه ، بمقدار انشاء الاقتصاد الاشتراكى وتحسين العلاقات الاجتماعية ، يصقل انسان الاشتراكية ذهنه ويستكمل تكوينه الاخلاقى والجسدى متحررا خطوة فخطوة من الارث السلبى للمجتمع الرأسمالي .

ان الوعى الشيوعى يكوّنه كل نظام الحياة الاجتماعية فى ظل الاشتراكية ، وابان مشاركة الشغيلة بنشاط فى بناء

الشيوعية ، وفى العمل المشترك ، واثناء عملية تطور العلاقات الاجتماعية الجديدة فى الانتاج والمعيشة . تلك قضية صعبة لانه يترتب تذليل القوة المتأصلة للعادات القديمة وتأثير الايديولوجيا المعادية .

ويجرى تكوين النمط الجديد للفرد على اساس نجاحات البناء الاقتصادى والنجاحات فى تغيير العلاقات الاجتماعية . فالناس ، بتغييرهم وتحويلهم الاقتصاد والعلاقات الاجتماعية ، يغيرون ذاتهم ايضا ، يغيرون وجههم الذهنى والاخلاقى .

ان تطور اقتصاد الشيوعية وقيام علاقاتها الاجتماعية وثقافتها يشكلان الاساس الموضوعى لتكوين الانسان الجديد . بيد ان هذه الشروط والظروف لا تضمن ، بحد ذاتها ، انتصار المبادئ والافكار الشيوعية فى وعى كل شخص . فمن الضرورى القيام **بتربية شيوعية للشغيلة** بصورة منتظمة .

المبادئ الاساسية للتربية

ان ربط العمل التربوى بالحياة ، بالمهام الملموسة للبناء الشيوعى ، بالتجربة العملية للجماهير هو المبدأ الاساسى لتربية الانسان الجديد .

والشرط الاهم لنجاح التربية الشيوعية هو الادارة الواقعية ، المعللة علميا ، للاقتصاد الاشتراكى ، والتنظيم العلمى للعلاقات الاجتماعية فى كافة حلقات النظام الاجتماعى . **ان الملموسية والطريقة العلمية ، والموضوعية والصدق ، والدقة والروح التنظيمية** ، هى المبادئ الهامة للتربية الشيوعية .

ويهيئ الاسلوب العملى لنشاط الحزب الشيوعى السوفييتى الظروف المؤاتية لاجل تكوين نمط جديد للفرد . وتعتنى الدولة السوفييتية بالعالم الداخلى للانسان ، باهتماماته ونمط افكاره ومشاعره . وهذا امر طبيعى ، اذ ان المجتمع الجديد يصنعه لا انسان مجرد ، بل انسان حى ، موجود فعلا بكل تنوع مظاهره الحياتية .

وتربية الانسان لا تعنى تكوين ذهنه وعقله فحسب بل **ومشاعره وانفعالاته** ، والحال ان الانسان هو كائن عميق الاحساس والانفعال ، مفطور على الحب والبغض والفرح والترح ، الخ . . فالناحية الاحساسية ، الانفعالية لدى الانسان تلعب دورا غير قليل الاهمية فى تقبّله للافكار الاجتماعية . فقد كتب لينين يقول انه «. . . بدون الانفعالات البشرية لم يوجد فى يوم من الايام ولا يوجد ولا يمكن ان يكون ثمة **بحث** بشرى عن الحقيقة» * . لذا ، فمن الهام جدا تعليم الانسان التحكم بمشاعره وتربية انفعالات ايجابية فى نفسه وتوجيهها لما فيه منفعة الانسان ذاته ومنفعة المجتمع على السواء .

وسائل التربية الشيوعية

خلال اعوام السلطة السوفييتية تكوّن فى الاتحاد السوفييتى نظام فعال للتربية يتألف من العائلة والمدرسة ومؤسسات التعليم الثانوى التخصصى والعالى ومنظومة التعليم الحزبى والصحافة والاذاعة والتلفزيون الخ . .

لنأخذ ، على سبيل المثال ، **العائلة** . ان العائلة تضطلع بوظيفة اجتماعية هامة ، حيث انها لا تقتصر على اعادة انتاج الجنس البشرى بل وتربى الجيل الناشئ . فهنا بالذات وقبل كل شىء يتكون جسم الطفل ، وعالمه الروحى ، وعلاقته بالمحيطين به ، وسلوكه ، وقضاياه ، وتصرفاته . وهنا يدرك المواطن الصغير ولأول مرة المبادئ الاولية للمعيشة البشرية ، ويبدأ يميز بين الخير والشر ، ويتعلم فعل الخير ونبذ الشر .

وتشكل **المدرسة** حلقة هامة فى التربية الشيوعية . فهى تسلّح الانسان باسس العلوم ، وتمكّنه من التغلغل الى اسرار الطبيعة والمجتمع ، وتكوّن عقيدته ووجهه الاخلاقى ، وتمنحه

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٥ ، ص ١١٢ .

تثقيفا بوليتكنيكيا واسعا، وبهذا تعدّ الشاب او الشابة للعمل المفيد اجتماعيا ، وتوفر لهما امكانية مواصلة الدراسة .

وانها لعظيمة اهمية **المدرسة العليا** السوفييتية فى التربية الشيوعية . فقد اكتنزت المدرسة العليا خبرة ضخمة فى تكوين الاخصائيين المسلحين لا بمعرفة مهنتهم فحسب بل وبالعقيدة العلمية ، الماركسية اللينينية لأناس قادرين على الاضطلاع بعمل تربية الانسان الجديد .

وتعتبر **منظومة الدراسة الحزبية** جامعة ماركسية لينينية حقة للملايين . ففى هذه المنظومة يتعلم الشيوعيون واللاحزبيون مؤلفات ماركس وانجلس ولينين وبرنامج الحزب الشيوعي السوفييتى وقرارات مؤتمرات الحزب وأهم الوثائق الحزبية . ويتآلف امتلاك النظرية مع دراسة مسائل الاقتصاد وتطور الانتاج ، ويرتبط ارتباطا وثيقا بالمهام العملية الملموسة الماثلة امام المصانع والمعامل والكولخوزات والسوفخوزات .

وافضل مرب للانسان هو **مجموعة العاملين** والمصنع والمعمل والكولخوز . فمجموعة العاملين بالذات قادرة على التأثير الاشد فعالية فى الانسان ، وتطوير ادب العلاقات الاخلاقية ، وتأكيد الاخلاق الشيوعية .

٢ ــ الثقافة الروحية وتقدم الفرد

ان البيئة الاجتماعية التى يتكون الانسان تحت تأثيرها ، لا تضم العوامل المادية فحسب بل والعوامل الروحية التى تلعب دورا غير قليل الاهمية فى تربية الانسان . ويدخل فى عداد العوامل الروحية العلم والتثقيف والفن والادب والاخلاق السائدة فى المجتمع ، اى بكلمة : الثقافة الروحية للمجتمع . ويشكل تطور الثقافة الشيوعية شرطا هاما لتكوّن انسان النمط الجديد ، الشغيل-المثقف ذى المستوى الثقافى التكنيكى الرفيع .

ولكى تساعد منجزات الثقافة على تطوير الفرد جعلت الاشتراكية الثقافة ملكا للجماهير الشعبية الواسعة . فان منظومة

التعليم والتثقيف والعلم والفن والادب فى ظل الاشتراكية تخدم انسان العمل وقضية تطوير مؤهلاته ومواهبه .

وتساعد **منظومة التعليم والتثقيف** فى ظل الاشتراكية على امتلاك ناصية المعارف . وهى تتسم بجماهيريتها ، لذا فهى لا تكوّن ذهنية اشخاص منفردين ومجموعات من الناس بل ذهنية ملايين الشغيلة . ان التعليم فى الاتحاد السوفييتى ، الثانوى والعالى على السواء ، مجانى . ومنظومة التعليم والتثقيف فى ظل الاشتراكية مرتبطة ارتباطا لا ينفصم بالحياة وبالنشاط العملى . وانشئت فى الاتحاد السوفييتى مدارس ثانوية مسائية وبالمراسلة من اجل الشبيبة العمالية والزراعية ومدارس ثانوية تخصصية ومؤسسات تعليم عال ، وتتطور منظومة التعليم المهنى التكنيكى ، وكذلك منظومة تعلم مهن جديدة ورفع الكفاءة مباشرة فى الانتاج .

ويشكل **الفن** عنصرا هاما للثقافة الروحية يساعد على تقدم الفرد . فان الاشتراكية ، اذ جعلت الفن ملكا للشعب ، قد وضعته فى خدمة الفرد وتطوره من كافة النواحى . وتساعد مبدئية الفن الاشتراكية واخلاقيته الرفيعة وانسانيته الحقيقية على تكوين المواقف السياسية والعقائدية والاخلاقية لدى الفرد . ويتآلف فيه الموقف الحريص من افضل تقاليد الثقافة العالمية مع البحث عن سبل واساليب جديدة لتجسيد الواقع الثورى ومع حقيقة الحياة والتفاؤل .

٣ – العقيدة العلمية
والنضال ضد الايديولوجيا المعادية

ان العقيدة العلمية ، الماركسية اللينينية ، هى نظام متناسق ومتكامل من النظرات عن العالم : الطبيعة والمجتمع ، وعن قوانين تطورهما وسبل ادراكهما وتغييرهما . انها شكل خاص لترجمة الواقع يعبّر عن موقف الانسان من البيئة الطبيعية والاجتماعية المحيطة به . وترسو فى اساس العقيدة العلمية حاجة اجتماعية عميقة : حاجة الانسان الى الاهتداء فى الواقع المحيط به ، حاجته الى معرفة هذا الواقع وتغييره .

والعقيدة العلمية هى عقيدة **مادية دياليكتيكية** اذ انها تنطلق من الاعتراف بمادية العالم ، من الاعتراف بتغيره الدائم وتطوره . وهى عقيدة **شيوعية** اذ انها مرتبطة ارتباطا لا ينفصم بالنضال فى سبيل مثل الشيوعية السامية ؛ وقد نشأت على اساس نضال الطبقة العاملة وجميع الكادحين من اجل الاشتراكية والشيوعية . والعقيدة الماركسية اللينينية ، بتعليلها نضال الكادحين تعليلا نظريا ، تشكل فى نفس الوقت بوصلة تدل على الطريق المؤدى الى التخلص من الاستغلال وشتى انواع الاضطهاد ، الطريق الى المساواة الاقتصادية والاجتماعية التامة والى المستقبل السعيد حقا .

تكوين العقيدة العلمية

فى ظل الاشتراكية تغدو العقيدة العلمية عقيدة مهيمنة وتعتبر ملكا لعدد **كبير** من الناس الذين يشكلون القسم الطليعى من المجتمع واكثره وعيا . اما فى ظروف البناء الشيوعى فتنشأ **ضرورة** موضوعية لامتلاك العقيدة العلمية من جانب **جميع** شغيلة المجتمع .

تتكون العقيدة العلمية على اساس **الماركسية-اللينينية** التى تعتبر نظاما متناسقا من الافكار الفلسفية والاقتصادية والاجتماعية السياسية . وبناء على ذلك فان امتلاك العقيدة العلمية يعنى استيعاب الاحكام الاساسية للماركسية-اللينينية وتعلّم استخدامها بصورة خلاقة فى الامور العملية المباشرة .

وبما ان العقيدة العلمية هى عقيدة مادية دياليكتيكية فان الفلسفة **الماركسية اللينينية** – المادية الدياليكتيكية والتاريخية – تتسم بأهمية حاسمة فى تكوينها . ففلسفة الماركسية بالذات تسلح الانسان باسلوب اتخاذ موقف من مختلف مظاهر الطبيعة والحياة الاجتماعية . وهى ، بهذا ، تتيح للانسان اعطاء تقدير صحيح للاحداث المحيطة به ، وفهم مكانه فى الحياة وفى حل المهام الماثلة امام المجتمع وسلوك مسلك مطابق ازاء ذلك . واذ

تكوّن الفلسفة موقف الانسان من العالم فهى تعلّمه فى الوقت نفسه طريقة التصرف ، وتربى فى ذاته الثقة بامكانية معرفة العالم وتغييره .

وامتلاك العقيدة العلمية يعنى ايضا امتلاك النظرية الاقتصادية الماركسية اللينينية . فهذه النظرية ، بكشفها قوانين تطور الميدان الحاسم للنشاط البشرى – ميدان الانتاج المادى – ، تتيح للانسان تنظيم الحياة الاقتصادية ، وعلى هذا الاساس اعادة بناء كل تنوع العلاقات الاجتماعية بما يتفق مع مصالحه .

وتقدم نظرية الشيوعية العلمية ايضا مساعدة للانسان لا تقدر بثمن فى شؤونه العملية ، وهى لا تقتصر على كشف صورة مجتمع المستقبل بل وتدل على السبل الملموسة لاقامة هذا المجتمع.

وتشكل اهم منجزات العلوم الطبيعية عنصرا لازما من عناصر العقيدة العلمية . ان هذه المنجزات تؤلف الاساس العلمى الطبيعى للعقيدة ، وتكشف قوانين تطور الطبيعة ، وتتيح للانسان اخضاع العمليات الطبيعية لصالحه ووضع الثروات الهائلة فى خدمته . وفى الترابط الوثيق فقط تعطى الماركسية اللينينية والعلوم الطبيعية نظاما علميا من النظرات بشأن الواقع .

ويحصل الانسان ، بامتلاكه العقيدة العلمية ، على امكانية النضال ضد الايديولوجيا البرجوازية . ان الامبريالية ، اذ تمنى بهزيمة تلو اخرى فى مجرى الصراع مع الاشتراكية ، تقوم بهجوم شديد على المواقع الايديولوجية للاشتراكية . وتنحصر مهمات الهجوم الايديولوجى للبرجوازية الامبريالية فى ابقاء الجماهير الكادحة اسيرة للافكار البرجوازية والتشهير بالنظام الاشتراكى فى نفس الوقت ، واثارة عدم الثقة بافكار الشيوعية وبسياسة بلدان الاشتراكية .

ويبذل منظّرو الامبريالية اقصى الجهود من اجل ان يموهوا ويستروا بطريقة ما عدم وجود افكار لدى البرجوازية الامبريالية تستطيع جذب الجماهير الشعبية وبالتالى اضعاف تأثير الافكار الشيوعية عليها .

٤ – التربية بالعمل والتربية الاخلاقية

ان استيعاب العقيدة الشيوعية ، العلمية ، يعنى لا معرفة قوانين تطور الواقع فحسب بل وحسن الاستفادة من هذه القوانين فى التغيير العملى للطبيعة والمجتمع . وتغيير الواقع امر ممكن فقط ابان النشاط العملى الابداعى للانسان .

احترام كل عمل مفيد

ان المجتمع الاشتراكى يربى الاحترام تجاه كل نوع من انواع العمل المفيد اجتماعيا ، سواء أكان عملا جسديا ام فكريا . فالجمع بين العمل الفكرى والعمل الجسدى فى النشاط الانتاجى هو الخط العام للحزب الشيوعى السوفييتى فى تغيير طابع العمل وفى تكوين الانسان الجديد .

لقد اعتقت الاشتراكية عمل الفرد من طوق الجوع وجعلته عملا حرا ، خلاقا . وانفتحت امام الانسان طرق واسعة واكثر

الفرص تنوعا . وهذه الطرق كثيرة وهذه الفرص عظيمة لدرجة تزغل معها عينا الانسان احيانا . وينطبق ذلك بصورة خاصة على الشبيبة . فمن الصواب ان يساعد المجتمع الانسان ، ولا سيما الشاب ، فى اختيار طريق العمل الذى يتوافق مع صفاته الشخصية ومواهبه . وفى سبيل هذا بالذات تعمل العائلة ، وبهذا تهتم المدرسة ومجموعة العاملين .

الاخلاق الشيوعية

ان تربية الاخلاق الشيوعية هى عملية تكوين **سلوك الانسان وعاداته وامزجته وخصال طبعه** ، السلوك المطابق لمبادئ هذه الاخلاق . فالاخلاق الشيوعية هى اخلاق عادلة ونبيلة تعبر عن المصالح والمثل العليا للاكثرية الساحقة من الناس ، اى البشرية الكادحة بأسرها . وهذه الاخلاق لا تنشأ فى مكان فارغ بل انها ترث افضل منجزات التقدم الاخلاقى للبشرية .

وتبنت الاخلاق الشيوعية **القواعد الانسانية العامة البسيطة للاخلاقية** التى وضعها الناس ابان النضال ضد العيوب الاخلاقية والتى تناقلتها الاجيال منذ اقدم العصور . فمنذ القدم ، مثلا ، يعتبر عملا اخلاقيا الحفاظ على النظام العام ، وحماية حياة وصحة الناس من مخالفى الامن الاجتماعى ، واحترام الاكبر سنا والعناية بالنساء ، ومساعدة المرضى او المصابين بنكبة طبيعية ، الخ . . ولولا هذه القواعد الاولية للاخلاق لما كان باستطاعة المجتمع ان يوجد ، بله ان يتطور .

والاخلاق الشيوعية هى ، من حيث محتواها الاجتماعى ، اخلاق الطبقة الثورية الاكثر طليعية فى عصرنا الراهن — **الطبقة العاملة** . وترسو فى اساس نشوئها حاجة الطبقة العاملة الى قواعد للسلوك محددة يمليها نضالها فى سبيل الاشتراكية والتقدم الاجتماعى .

انعكست الاخلاقية الشيوعية فى **المفاهيم الاخلاقية لباني الشيوعية** المصاغة فى برنامج الحزب الشيوعى السوفييتى . وهذه المفاهيم الاخلاقية هى مجموعة المبادئ الاساسية التى يجب ان يسترشد بها الانسان الذى يبنى المجتمع الجديد ، الشيوعى .

تضم المفاهيم الاخلاقية المبادئ الاخلاقية الاساسية التالية :

الاخلاص لقضية الشيوعية ، حب الوطن الاشتراكى ؛

العمل بخلوص نية لخير المجتمع : من لا يعمل لا يأكل ؛

اهتمام كل فرد بصيانة الثروة العامة وزيادتها ؛

الادراك العميق للواجب الاجتماعى وعدم التسامح حيال الاخلال بالمصالح العامة ؛

الروح الجماعية وتبادل المساعدة الرفاقية : الفرد للجميع والجميع للفرد ؛

العلاقات الانسانية بين الناس والاحترام المتبادل : الانسان صديق الانسان ورفيقه واخوه ؛

الاستقامة والصدق والصفاء الاخلاقى ، البساطة والتواضع فى الحياة العامة والشخصية ؛

الاحترام المتبادل فى العائلة والاهتمام بتربية الاطفال ؛

عدم التسامح حيال الظلم والروح الطفيلية والغش والوصولية والطمع ؛

الصداقة والاخاء بين جميع شعوب الاتحاد السوفييتى ، عدم التسامح حيال النفور القومى والعرقى ؛

عدم التسامح حيال اعداء الشيوعية وحيال اعداء قضية السلام وحرية الشعوب ؛

التضامن الاخوى مع الكادحين فى جميع البلدان ، مع جميع الشعوب .

ان هذه المبادئ هى التى تحدد قواعد سلوك الناس فى المجتمع الاشتراكى وتصوراتهم عن الخير والشر والشرف والعدالة والظلم .

ان الشعور الوطنى ، اى **حب الوطن** ، يرتدى طابعا **تاريخيا** ويتغير بتغير الطبيعة الطبقية للمجتمع . وحاملو الوطنية الحقيقيون هم الطبقات الكادحة التى كانت دائما وتبقى المدافعة عن مصالح الوطن ونصيرة استقلاله . والحال ان فقدان الاستقلال يعنى اضطهاد الكادحين ليس فقط من جانب مستغليهم المحليين بل والاجانب ايضا . ان الكادحين يقرنون حبهم للوطن بالحقد على الطبقات المستغلة . والسمة الهامة لوطنية الكادحين فى ظل المجتمع الطبقى التناحرى تتقوم فى طموحهم الى التحرر من الاستغلال وكسب وطنهم هم .

ويملك الاتحاد السوفييتى تقاليد وطنية غنية تكونت فى خضم نضال دام قرونا ضد المستعبدين الاجانب . واعطت الثورة والاشتراكية الكادحين وطنا حقيقيا حرا حقا ؛ لهذا بالذات فان حب الوطن يمتزج عضويا فى الوطنية السوفييتية بالحب للنظام الاشتراكى ، السوفييتى .

وتنحصر الميزة الهامة للوطنية السوفييتية فى ان العزة الوطنية وحب الثقافة الوطنية والتقاليد واللغة يتآلفان فيها عضويا مع الحب والاخلاص للدولة المتعددة القوميات – اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية . اكيد ان روسيا ، برحابها اللامتناهية وانهارها الغزيرة وشعبها ، هى اقرب الى قلب الشخص الروسى ؛ واكثر ما يروق للشخص الجورجى هو جمهوريته – مهد احدى اعرق الحضارات ، بجبالها وانهارها الهادرة وبحرها الدافئ ؛ والشخص الاوكرانى يفضل بلا شك رحاب اوكرانيا السهبية ، الخ . . بيد ان ما هو اعز من كل شىء واقرب من كل شىء بالنسبة للروسى والجورجى والاوكرانى وممثلى عشرات الشعوب الاخرى فى الاتحاد السوفييتى هو مصالح الوطن السوفييتى ، حاضره ومستقبله الاكثر سعادة ايضا . ولهذا بالذات دحروا جميعا ، يدا بيد ، غزو المتدخلين والرجعية الداخلية فى اعوام الحرب الاهلية ، وسوية بنوا عمالقة الخطط الخمسية الاولى فأنشأوا الجبروت الاقتصادى للبلاد ، وسوية

حاربوا ببطولة ضد المغتصبين الالمان الفاشيين فى الحرب الوطنية العظمى اعوام ١٩٤١-١٩٤٥ .

والميزة الهامة للوطنية السوفييتية هى ارتباطها الذى لا ينفصم **بالاممية البروليتارية** . فالاوهام القومية والعنصرية والتعصب القومى البرجوازى وشوفينية الدولة العظمى غريبة على المواطنين السوفييتيين . والحب للوطن الاشتراكى يرتبط لديهم ارتباطا لا ينفصم بالحب لجميع بلدان الاشتراكية ، وبالاحترام للشعوب الاخرى كبيرها وصغيرها ، وبشعور التضامن الطبقى الاخوى مع كادحى البلدان الاخرى .

الاخلاقية والمعارف

ان الارتباط الذى لا مراء فيه بين الاخلاقية والمعارف سبق ان اكتشفه الفكر الاخلاقى البرجوازى . بيد ان هذا الفكر لم يستطع تحديد طابع هذا الارتباط وفهم ما اذا كانت كل معرفة تقود الى الكمال الخلقى وما اذا كان كل نجاح ادبى يرسخ قوة الذهن . وليس ذلك من وليد الصدفة ، اذ انه لا يندر ان تكون المعارف فى المجتمع البرجوازى مصدرا للربح ، والربح والطمع يشوهان الوعى الاخلاقى فى نفوس الناس . وينجم عن ذلك ان العلم هنا يبقى خارج عملية الكمال الخلقى بل ويناقضها بدرجة معينة .

ان تحويل المعارف الى اداة للكمال الخلقى هو احدى اهم واعقد مهمات الثورة الاشتراكية .

فالمعارف تشكل هاديا لسلوك الانسان فى تصرفاته وشؤونه اليومية ؛ والمبادئ السامية للاخلاقية الشيوعية تتطلب فى الوقت نفسه اكتساب تلك المعارف بالذات التى تساعد على تقدم البشرية والتى ، وهذا هو الامر الرئيسى ، تعلّم الشغيلة استخدام هذه المعارف استخداما صحيحا لما فيه خير الانسان وليس ضرره . وفى هذا بالضبط تتجلى وحدة المعرفة والاخلاقية .

٥ – التربية الجمالية

ان الميزات والاذواق الجمالية ، وحسن فهم وخلق ما هو رائع فى الفن وفى الحياة ، وبناء الحياة وفق قوانين الجمال ، ان ذلك كله يشكل صفة ملازمة للانسان المتطور من جميع النواحى .

والتربية الجمالية هى ، فى الدرجة الاولى ، تربية المشاعر والاحاسيس الفنية لدى الانسان . ان اهمية الناحية الانفعالية كبيرة بوجه خاص فى الفن ، والقوة التأثيرية هى بالذات التى تضفى على المحتوى الذهنى الفكرى العميق الملازم للاعمال الفنية الحقيقية صبغة شيقة وتجعله سهل الفهم . وعليه ، فان التربية الجمالية هى تربية العقل والمشاعر ، هى تربية العقل بواسطة المشاعر . وانه لكبير بوجه خاص دور ما هو الجمالى فى المجتمع الاشتراكى الذى يوفر للجماهير الكادحة الواسعة فرصا مؤاتية من اجل خلق القيم الفنية والتمتع بها . لذا ، فبمقدار ازدياد نجاحات البناء الشيوعى سوف يتعاظم اكثر فاكثر دور ما هو الجمالى فى الحياة الاجتماعية ، اى دور الفن والادب .

يعتبر **الفن** وسيلة هامة من وسائل تربية الاذواق الجمالية . فالفن يعكس جمال الطبيعة ، ووتيرة وتناسق العمليات الجارية فيها ، ووفرة الالوان والاصوات الرائعة . وهو يربى جمال الانسان والعلاقات البشرية ، جمال العمل البشرى . علما بان التأثير الجمالى للفن على الانسان يزداد شدة بمقدار ما تكون الاعمال الفنية اكثر سطوعا وتعبيرا فنيا ، وبمقدار ما يكون فيها الترابط بين المحتوى الفكرى والشكل الفنى اكثر عضوية . وتعتبر الواقعية اثمن مكسب لعبقرية الانسان الفنية . فالواقعية وحدها ، ولا سيما الواقعية الاشتراكية ، هى الوسيلة الامينة للتربية الجمالية ، ولاشراك جماهير الشعب الواسعة فى الابداع الفنى .

ويكتسب **فن الهواة** اهمية متزايدة ابدا فى التربية الجمالية ، والذى بفضله تكوّن جماهير الشعب الواسعة فى ذاتها ليس فقط المقدرة على فهم القيم الفنية ، بل وكذلك خبرات خلق هذه القيم .

ان اكتساب كل فرد من افراد المجتمع المقدرة على خلق الاعمال الفنية لا يعنى بحال من الاحوال تصفية الفن وذوبانه فى

الانواع الاخرى من النشاط البشرى . فالفن ، بصفته شكلا خاصا للنشاط البشرى وبصفته وسيلة هامة للتربية الجمالية ، سيظل قائما فى ظل الشيوعية ايضا . ويكف الابداع الفنى فى ظروف الشيوعية عن ان يكون وقفا على الفنانين المحترفين ، وتشارك فيه جماهير الناس ، كل الناس ، اذ سيحصل كل شخص على امكانية تطوير جميع مؤهلاته بما فيها المؤهلات الجمالية .

٦ – الكمال الجسمانى

ان عملية تكوين الانسان الجديد لا يمكن تصورها بدون **كماله الجسمانى** . فالانسان الكامل جسمانيا هو ، بالدرجة الاولى ، الانسان الذى **يتمتع بصحة جيدة** . فمن المعروف ان العافية ، الجسدية والنفسية ، هى مقدمة ضرورية لنشاط الانسان العملى والاجتماعى . فالانسان المعافى فقط قادر على امتلاك كل تنوع المظاهر البشرية ، والقدرة على العمل ، والمقدرة على التمتع بجمال الطبيعة وتقبّل الواقع المحيط به بكل احساسه . ان الحاجة الى الصحة هى الحاجة الاولى والاكثر الحاحا للجسم البشرى . فالصحة ضرورية للانسان كالهواء ، كالحياة نفسها .

ورغم ان العمل فى ظل الشيوعية سوف يتطلب جهودا جسدية معينة ، ناهيك عن التوتر العصبى الهائل ، فان اتجاه تطور التكنيك المعاصر هو بحيث ان نصيب العمل الجسدى فى عملية الانتاج يتقلص على الدوام . ويشير العلماء الى ان نسبة استخدام القوة العضلية قد انخفضت فى غضون المائة عام الاخيرة من ١٥ الى ٣ نظرا لتقدم التكنيك . وهذا يعنى ان الحاجة الطبيعية للحركات الجسدية اثناء العمل تجرى تلبيتها بدرجة اقل فاقل ، ونتيجة لذلك يزداد خطر نمو الامراض واصابة الجسم بالشيخوخة المبكرة .

فاين المخرج ؟ ان المخرج فى **التطوير الجماهيرى للتربية البدنية والرياضة** . فالتربية البدنية المنظمة تنظيما جيدا تؤثر بصورة مؤاتية جدا فى قدرة الانسان على العمل وتعوض عن

النقص فى الجهود الجسدية ولا سيما بالنسبة للاشخاص الذين يتسم عملهم بقلة الحركة .

وترتدى اهمية كبيرة بوجه خاص التربية البدنية للاطفال والشبيبة ، ففى سن الشباب بالذات يتكون جسم الانسان ، وفى هذه السن بالذات تتوافر امكانية تصحيح اخطاء الطبيعة المعلومة وتربية الانسان الكامل جسمانيا . وليس من باب الصدفة ان تطرح فى برنامج الحزب مهمة «تأمين تربية جيل ناشئ قوى جسديا ، ابتداء من ابكر العمر ، وتطوير قواه الجسدية والروحية بصورة متناسقة» .

يمارس التربية الرياضية فى البلاد السوفييتية بصورة منتظمة اكثر من ٥٠ مليون شخص . والرياضة متطورة جدا فى المدارس ، وكذلك الرياضة الطلابية . وتغدو التربية البدنية والرياضة امرا عاديا محببا لدى الانسان السوفييتى ، وقد دخلتا فى حياته وعمله ومعيشته . ان التربية الشاملة لخصال الانسان الجسدية والروحية والاخلاقية هى الطريق نحو كمال الشخصية البشرية وتطورها من كافة النواحى .

٧ - الشيوعية وحرية الفرد

ان تصفية الملكية الخاصة والاستغلال واقامة الملكية الاجتماعية يشكلان شرطا لا بد منه لحرية الفرد واساسا لها . فهل يمكن للفرد ان يكون حرا فى المجتمع الذى يتوقف فيه وضع اكثرية الناس - الكادحين - على المصالح الانانية للاقلية - الاستغلاليين ، وحيث الازمات الدورية والبطالة تجعل الكادح تحت رحمة الاقدار وتحرمه الثقة بيوم غد ؟ فعندما يكون جميع الناس ذوى علاقة متساوية بالنسبة لوسائل الانتاج ، ويملكون حقا متساويا فى ادارة الدولة ، وحقا متساويا فى العمل والتعلم والراحة ، وعندما تجمعهم وحدة الاهداف ، وعندما تكون اهتمامات وقضايا المجتمع قضاياهم الذاتية ، عند ذلك فقط تتهيأ جميع الشروط والظروف من اجل التجلى الحر للفرد .

وحرية الفرد لا تنفصم عن المجتمع وعن الظروف التى يخلقها المجتمع من اجل تطوير الانسان وتلبية حاجاته واظهار مؤهلاته ومواهبه .

فالاشتراكية ، بقضائها على الملكية الخاصة والاستغلال تحرر الفرد **اقتصاديا** ، تجعله متحررا من فوضى السوق ومن الازمات والبطالة ، والفقر والخوف من المستقبل . والاشتراكية تحرر عمل الانسان اذ توفر له ، لاول مرة فى التاريخ ، امكانية العمل لا من اجل المستغلين ، بل من اجل نفسه ، من اجل مجتمعه ، امكانية سد حاجاته المادية والروحية بواسطة العمل وعلى اساسه . والاشتراكية تمنح الفرد حريات **اجتماعية** واسعة : الحق فى ان ينتخب ويُنتخب الى هيئات سلطة الدولة ، وان يشترك فى ادارة شؤون المجتمع ، والحق فى التعلم والراحة والضمان الاجتماعى فى الشيخوخة او فى حالة المرض ، وتمنحه فرصة النشاط الابداعى فى كافة ميادين الانتاج المادى والروحى . والاشتراكية تحرر الفرد **روحيا** . فهى تتيح للفرد التخلص من مختلف انواع الاوهام المثالية ، وتوفر له امكانية التمتع بجميع انجازات الثقافة الروحية والمشاركة بنشاط فى الابداع العلمى والفنى . والفرد فى ظروف الاشتراكية لا يستطيع تصور نفسه بدون المجتمع ومجموعة العاملين ، وتتهيأ الظروف المؤاتية من اجل التجلى الذاتى للفرد ، ومن اجل اظهار مؤهلاته وتطويرها .

الشيوعية تجسيد للانسانية

ان الشيوعية ، بتأمينها حرية الفرد الكادح وبتهيئتها جميع الظروف لتطوره من كافة النواحى ، تعتبر **تحقيقا عمليا للانسانية البروليتارية .**

والشيوعية العلمية ،

بتبيانها الدور الحاسم للظروف الاجتماعية فى تكوين الانسان ، قد كشفت ايضا طرق تحرره التام – القضاء الثورى على الملكية الخاصة والاستغلال ، واقامة المجتمع الجديد ، الاشتراكـــى

والشيوعي . **ففى الترسيخ الثورى للاشتراكية بهدف تأمين حرية الفرد وتطوره من كافة النواحى يكمن جوهر الانسانية الاشتراكية .**

والانسانية البروليتارية ، الاشتراكية ، تعلن الحب **لانسان العمل** ، والثقة به واحترامه ، وحماية كرامته البشرية والعلاقات الاجتماعية الانسانية حقا .

ان الانتاج الاشتراكى يخدم هدف تلبية حاجات الانسان المادية والروحية . وعلى اساس الملكية الاجتماعية تترسخ هنا العلاقات الانتاجية للتعاون والمساعدة المتبادلة بين الناس . وكما لا يحدث فى اى مجتمع آخر ترفع الاشتراكية من شأن العمل الذى يغدو محدِدا لمكان وجدارة الانسان فى المجتمع . وتضع الاشتراكية فى خدمة الانسان انجازات الثقافة الروحية وتمنحه حقوقا اجتماعية واسعة .

والميزة الهامة للانسانية الاشتراكية هى الجمع بين الحب للانسان الكادح واحترامه وبين الحقد الذى لا هوادة فيه على الاستغلال والمستغلين وعلى كل ما يعرقل اظهار شخصية الكادح . ان الروح الانسانية ، التى باتت الاساس وحجر الزاوية للتنظيم الاجتماعى ، قد اخذت تغدو تدريجيا قاعدة لسلوك كل انسان وتتغلغل الى جميع زوايا وثنايا الجسم الاجتماعى المعقد ، وتتحول الى قضية الممارسة الشاملة ، «المفصلة» اذا جاز التعبير .

الشيوعية مستقبل البشرية الوضاء

ان الشيوعيين يعلنون السلام والعمل والحرية والمساواة والاخوة والسعادة من اجل البشرية .

مجتمع السلام

ان الرأسمالية مشحونة بخطر الحرب . فعلى امتداد النصف الاول فقط من قرننا هذا اوقعت الامبريالية البشرية مرتين فى الاتون الدموى للحربين العالميتين .

وارست الاشتراكية بداية عهد جديد فى العلاقات بين الشعوب والدول ، عهد الثقة والاحترام المتبادلين ، وحرمـــة الاراضى الاقليمية ، والاستقلال الاقتصادى والسياسى ، وعدم التدخل فى الشؤون الداخلية للبلدان الاخرى .

وتشكل الاشتراكية القوة المادية والسياسية التى تُعتبر عقبة جدية فى طريق اشعال الامبرياليين حربا عالمية جديدة . وبانتقال البشرية الى الشيوعية سوف يتأمن السلام الابدى ، وسيتخلص اناس الارض الى الابد من القلق على مستقبلهم .

مجتمع العمل

لقد حولت الرأسمالية العمل الى فريضة شاقة ، الى وسيلة للحصول على العيش . ان الخوف من الجوع يجبر العامل على الكدح حتى الاضناء من اجل الرأسمالى واستنزاف قواه الجسدية والروحية الى اقصى حد .

وتمنح الاشتراكية الشغيلة حقا واسعا فى العمل والابداع فى اى ميدان كان من ميادين النشاط البشرى . ويحصل اناس العمل هنا ، وقد تحرروا من الاستغلال الى الابد ، على الامكانية التامة للعمل لا من اجل الملاكين العقاريين والرأسماليين ، بل من اجل انفسهم وشعبهم ومجتمعهم . وفى ظل الشيوعية يغدو العمل ، القائم على احدث منجزات العلم والتكنيك ، حرا وابداعيا حقا ، ويتحول الى حاجة حيوية اولية لدى الانسان ، ويشكل اساسا لتطوره الشامل والمتناسق .

الشيوعية هى الحرية

كثيرا ما يتحدث ايديولوجيو البرجوازية عن حرية المجتمع الرأسمالى المتصلة بحق اقامة مشاريع حرة والانفتاح الحر على السوق . بيد ان حرية الانفتاح على السوق شىء موهوم طالما ان

صاحب المشروع والعامل هما اسيرا سلطة الضرورة العمياء : قوانين الفوضى والمنافسة الملازمة لمجتمع المشاريع الحرة .

وفى ظل الاشتراكية فقط تنشأ الامكانية الواقعية لبلوغ الحرية الحقيقية . فسيادة الملكية الاجتماعية يذلل عنصر عفوية السوق ويحصل الناس على امكانية الادارة الواعية لحياة المجتمع الاقتصادية والسياسية والثقافية . وبمقدار استمرار تقدم المجتمع تغدو حرية الانسان اوسع فاوسع واكثر شمولا . وتزداد سيطرته على قوى الطبيعة والعمليات الاجتماعية . ويتعلم الانسان التوفيق بين مصالحه وتطلعاته الشخصية وبين المثل الاجتماعى الاعلى فاعلا ذلك بصورة طوعية وواعية .

مجتمع المساواة

الرأسمالية هى ، فى الدرجة الاولى ، اللامساواة الاقتصادية العميقة حيث يملك جزء غير كبير من المجتمع كنوزا هائلة ويغرق فى النعيم ، بينما الجزء الآخر ، الجزء الاكبر ، الذى يخلق عمله جميع القيم على الارض ، يعجز غالبا عن تلبية ابسط حاجاته . لقد اوجدت الرأسمالية قيما مادية وروحية هائلة ، ولكنها عاجزة عن توزيعها بصورة عادلة ، عن جعلها ملكا للجميع . فالذين يملكون وسائل الانتاج قد حصروا فى ايديهم السلطة السياسية ووسائل التأثير على عقول الناس : الصحافة ، الاذاعة ، التلفزيون ، الادب ، الفن ، التى يستخدمونها من اجل الحفاظ على سيطرتهم الاقتصادية وسلطتهم السياسية وترسيخ اللامساواة الاقتصادية والاجتماعية . هذا ، بينما الاكثرية الساحقة من الناس محرومة عمليا من الحقوق السياسية ، ولا تملك امكانية الاعراب عن ارادتها ، وليس فقط رسم السياسة الداخلية والخارجية بل وحتى التأثير عليها تأثيرا جديا .

اما الشيوعية فانها ترسخ المساواة الاقتصادية والاجتماعية التامة بين الناس . فكل عضو من اعضاء المجتمع سوف يعمل هنا

حسب مقدرته ويحصل على الخيرات المادية والروحية حسب حاجته . وستتوفر له فرص واقعية من اجل التعلم وامتلاك ناصية العلم والثقافة . وفى ظل الشيوعية لن تبقى طبقات ، ولن يكون ثمة تقسيم لاعضاء المجتمع الى اناس العمل الفكرى واناس العمل الجسدى . ومحل الدولة هنا ستحل الادارة الذاتية الاجتماعية وسوف يتمتع كل فرد بامكانية متساوية فى ادارة شؤون المجتمع وتطوير اقتصاده وثقافته .

مجتمع الاخوة

ان الرأسمالية تنفى الاخوة بين الناس والشعوب . ولا يمكن ان يكون الامر على خلاف ذلك ، اذ ان اساس الرأسمالية هو الملكية الخاصة التى تفرق بين الناس وتجعلهم اعداء ومتنافسين فى الصراع من اجل قدس اقداس الرأسمال - الربح . ان الفردية المتطرفة هى المبدأ الاساسى للاخلاق البرجوازية .

اما الملكية الاجتماعية للمجتمع الشيوعى فهى توحد اناس العمل وتؤمن وحدتهم وتعاونهم المتناسق لدى حل اكثر مسائل الحياة الاجتماعية اختلافا .

وتتجلى ارفع انسانية المجتمع الشيوعى لا فى العلاقات الاخوية فقط بين الناس بل وفى التضامن الاخوى بين كادحى جميع البلدان ، واحترام شعوب جميع الدول كبيرها وصغيرها . ولا يجمع الشيوعية جامع بالتعصب القومى - بايديولوجيا العزلة القومية والعداء بين الشعوب . والشيوعية ، بترسيخها الصداقة والاخوة بين اناس العمل ، لا تتسامح حيال النفور القومى والعرقى وانفصال الكادحين .

مجتمع السعادة

ان الرأسمالية عاجزة عن تأمين السعادة الحقيقية لجميع اعضاء المجتمع . فليس بوسع الانسان ان يكون سعيدا فى مجتمع

لا مستقبل له حيث تترصد له عند كل خطوة الاخفاقات والمصادفات ، وحيث انعدام الثقة والتشاؤم والخوف الطاغى من المستقبل تُعتبر مرافقات دائمة للحياة البشرية . وليس بوسع الانسان ان يكون سعيدا فى مجتمع لا يضمن الكفاف المادى لجميع اعضائه ، وحيث يسود العمل الاكراهى وحيث الاكثرية الساحقة من الناس محرومة من التمتع بقيم الثقافة المادية والروحية وتطوير مؤهلاتها واستخدامها استخداما لائقا لما فيه غبطة وخير نفسها وسائر الناس .

والامر على خلاف ذلك بالنسبة لانسان المجتمع الاشتراكى ، الشيوعى . فالانسان فى ظل الشيوعية سعيد لانه نفسه ومصالحه وحاجاته وتطوره الشامل وكماله هى الهدف الرئيسى والوحيد للمجتمع . ان امكانية وحاجة العمل من اجل نفسه ومن اجل الآخرين ، واسداء قسطه فى كنز الثقافة العالمية ، وامكانية وضع هدف رفيع نصب عينيه والسعى لتحقيقه ، والثقة الوضاءة بالمستقبل الذى لا تعكره ضرورات مادية وامكانية تطوير مؤهلاته الجسدية والروحية ، والشعور بنفسه سيدا على قوى الطبيعة وقواه الشخصية – فى هذا بالضبط تكمن ، بالدرجة الاولى ، السعادة الحقيقية للانسان . ولهذا بالذات تستأثر الشيوعية بعقول وقلوب ملايين جديدة ابدا من الناس ، ولهذا بالذات تجد لنفسها انصارا ومناضلين جددا وجددا ابدا فى مختلف بقاع الكرة الارضية .

محتويات

الى القراء

ان دار التقدم تكون شاكرة لكم اذا تفضلتم وابديتم لها ملاحظاتكم حول موضوع الكتاب ، وترجمته ، وشكل عرضه ، وطباعته واعربتم لها عن رغباتكم .

العنوان : زوبوفسكى بولفار ١٧ ،
موسكو – الاتحاد السوفييتى

فيكتور افاناسييف (من مواليد عام ١٩٢٢) - عالم سوفييتى وشخصية اجتماعية بارزة ، وعضو مراسل فى اكاديمية العلوم السوفييتية ، ورئيس هيئة تحرير جريدة «البرافدا» ، ومؤلف كتب ومقالات فى دائرة واسعة من مسائل الفلسفة وعلم الاجتماع والشيوعية العلمية . ومؤلفاته : «ادارة المجتمع العلمية» ، «الشيوعية العلمية» ، «الثورة العلمية التكنيكية ، الادارة ، التعليم» ، «اسس المعارف الفلسفية» ترجمت غير مرة الى لغات اجنبية .

فى كتابه هذا المعروض على القارئ يحلل افاناسييف مسائل نشوء وتطور نظرية الشيوعية العلميـــة ، ومسائل الثورة الاشتراكية ، وتجربة البناء الاشتراكى والشيوعى فى الاتحاد السوفييتى ، واستراتيجية وتكتيك الحركة الشيوعية والعمالية المعاصرة .

اعيدت مراجعة الكتاب وادخلت عليه تعديلات من جانب المؤلف من اجل الطبعة الحالية .